الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة الأمير عبد القادر
للعلوم الإسلامية
لرقم الترتيبي ...../2001
رقم التسجيل .....

كلية الآداب و العلوم الإنسانية
قسم اللغة العربية

جهود جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في خدمة اللغة العربية في الجزائر 1931م - 1954م

مقدمة لنيل شهادة ماجستير شعبة اللغة العربية و الدراسات القرآنية

تقديم الطالب : مراد مزعاش
تحت إشراف الأستاذ الدكتور : سامي عبد الله الكناني

ام اللجنة	الإسم و اللقب	الرتبة	الجامعة الأصلية
رئيس	رابح دوب	استاذ محاضر	جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة
مقرر	سامي الكناني	استاذ محاضر	جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة
عضو	محمد العيد تاورتة	استاذ محاضر	جامعة الإخوة منتوري قسنطينة
عضو	كمال عجالي	استاذ محاضر	جامعة الحاج لخضر باتنة
عضو	خليفة حماش	استاذ مساعد مكلف بالدروس	جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة

مناقشة يوم : 12/ نوفمبر /2001

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

عن مالك الزهري عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال : قال صلى الله عليه وسلم : " أيها الناس ، الرب واحد و الأب واحد ، و إن الدين واحد ، و ليست العربية بأحـــدكم من أب و لا أم ، و إنما هي اللسان فمن تكلم بالعربية فهو عربي " [1]

يا نشئ يا ذخر الجـــزا * ئر في الشدائد و الكرب
صدحت بلابلك الفصا * ح فعم مجمعنا الطـــــرب
و أذقتنا طعما من الـــــ * فصحى ألذ من الضـــرب
و أريت للأبصـــــار ما * قد قررته لك الكـــــتب
شعب الجزائر مسلـــــم * و إلى العروبة ينتســـــب
من قال حاد عن أصلـــه * أو قال مات فقد كـــذب
أو رام إدماجـــا لـــــــه * رام المحال من الطلـــــب
يا نشئ أنت رجاؤنـــــا * و بك الصباح قد أقتـــرب
هذا لكم عهدي بـــــــه * حتى أوسد في التـــــرب
فإذا هلكت فصيـــحـــــتي * تحيا الجزائر و العـــــرب [2]

---

[1]- رواه ابن عساكر في تاريخ بغداد .

[2]- الشهاب – الجزء الرابع – المجلد 13 – ربيع الأول 1356 هـ – حوان 1937 م .

شكر و تقدير

لا يفوتني و أنا أقدم هذا البحث أن أتقدم بالشكر الجزيل إلى أستاذي الدكتور سامي عبد الله الكنـــــاني الذي قبل الإشراف على الرسالة و تابعـــني بالرعاية و التوجيه و النصح ، إلى أن وصلت إلى شكلهـــا الأخير واستوى عودها ، وكذلك الشكر الجزيل إلى أستاذي الدكتور الربيع بـــن سلامة الذي أوحى إلي بفكـــــرة هذا الموضوع ، و إلى الأستاذين : أحمد بن نعمان و أحمد شـــرفي الرفاعي على توجيهاتهمـــا القيمة ، و إلى الصحفي القدير الأستـــاذ محمد لواتي على مساعدتـــه، و إلى كل الأساتذة الذين غمروني بفيض علمهم وخالص نصائحهم، و أخلص توجيهاتهم ، و لم يبخلوا عني بشيء .

كما لا يفوتني التقدم بالشكر إلى عمال المكتبة الجامعيـــة لجامعة الأمير عبد القادر الذين لم يبخلوا علي بالجهـــد و البحث عن كل المصـــادر و المراجع التي كنت بحاجة إليها و توفـــيرها في حينها ، و صبرهم على كثرة مطالبي و ترددي المستمر .

و إن كنت أنسى فلن أنسى الشكر و التقدير الخالصين إلى الأصدقـــاء الأعزاء و الاخوة الأوفياء الذين شجعوني و دفعوني إلى العمل في كـــل مرة يصيبني فيها فتور ، ووقوفـــهم إلى جانـــبي في كل الحـــــالات .

و بالأخص الأستـــاذ عز الدين بشير كردوسي ، و الأستاذ عبد السلام بغانة ، و الأستاذ شعيب بن نيني ، و الأستاذ محمـــــود بن الزغدة .

كما أتقدم بشكري و تقديري الخالصين إلى لجنة الأساتذة التي قبلـــت قراءة و مناقشة هذا البحث .

و إلى كل من يستحق الشكر و التقدير من قريب أو بعيد ، و ليعذرني من نسيت ذكره .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الإهداء

إلى روح أستاذي و شيخي محمد الغزالي – رحمه الله –

إلى والداي الكريمين – الحاج و الحاجة –

إلى زوجتي الحبيبة سميرة

إلى أبنائي الأحباء – نسيبة " دعاء " – وائل – رائد –

إلى هؤلاء جميعا اهدي هذا العمل المتواضع .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المقدمة

لقد بدأت عنايتي بالأدب العربي في الجزائر منذ مدة ليست قصيرة . ذلك بأني كنت طالبا في مرحلة الليسانس (بمعهد الحضارة الإسلامية سابقا) كلية الآداب و العلوم الإنسانية بقسم اللغة العربية شعبة اللغة العربية الدراسات القرآنية ، و كان مما لفت انتباهي مع بعض الزملاء أن البرنامج المقرر في ذلك الوقت في مواده الأدبية يشكو قلة الاهتمام و التطرق إلى الأدب الجزائري قديمه و حديثه و دور اللغة العربية في الحفاظ عليه و إبرازه إلى الوجود .

و كان من الأسئلة التي كنا نطرحها و نثيرها بين الحين و الآخر ، هل للجزائر أدبا ؟ وأين هو هذا الأدب ؟ و من هم رجاله ؟ و ماهي المؤسسات التي تعتني به ؟ و ما هي أهم المؤلفات التي تشير إلى ذلك ؟ و ماهي أهم الأغراض التي عالجها ؟ و ما مكانته و موقعه من الأدب العربي كله؟ و ما هو دوره في الحفاظ على اللغة العربية و إحيائها ؟ ثم ما هو دور اللغة العربية في المحافظة عليه و إخراجه إلى الوجود ؟ و غيرها من الأسئلة التي كانت تطرح نفسها بإلحاح ، خاصة و أن الساحة الثقافية و السياسية في تلك الفترة كان يدور فيها نقاشا و أحيانا جدالا طويلا حول قضية اللغة العربية و دورها في الحفاظ على ثقافة هذا الشعب و صراعها مع الفرنسية أثناء الاحتلال و بعده . و ماذا قدمت هذه اللغة للمثقف و للمواطن الجزائري ؟...

و بعد النجاح في مسابقة الماجستير ، أخذت أستشير بعض أساتذتي حول هذا الموضوع وإمكانية معالجته في الدراسات العليا ... فكان مما قاله لي الأستاذ الدكتور الربيع بن سلامة : يمكنك البحث في الأدبي الجزائري باللغة العربية فهو بحر طافح و لك في جمعية العلماء ، الوعاء الفياض الذي ستجد فيه ما يروي غليلك .

فكانت هذه الكلمة الموجه الحقيقي نحو هذا الموضوع ، ثم زادني يقينا و تشجيعا على دراسته وبحثه ، تشجيع بعض الأساتذة لي على ذلك ، منهم الأستاذ الدكتور أحمد بن نعمان حين عرضت عليه الموضوع في مراسلة بيني و بينه ، ثم الأستاذ الدكتور أحمد شرفي الرفاعي ، وغيرهما ممن حثني و دفعني إلى دراسته هذا الموضوع .

و كان لي بعد اختيار الموضوع ، تحديد الفترة الزمنية لهذا البحث حتى يستقيم أمره و تتجلى معالمه ، فاتفقت مع أستاذي المشرف على أن يعالج الموضوع مرحلة وجود جمعية العلماء المسلمين الجزائريين كلها تقريبا ، أي من بداية تأسيسها سنة 1931 م إلى غاية اندلاع الثورة التحريرية الكبرى سنة 1954 م . إلا ما كان من الفصل الأول فإني سمحت لنفسي بالرجوع إلى الوراء قليلا لأن المقام – مثلما يبدو لي – يستدعي ذلك ، لإلقاء النظرة التي من شأنها أن تجلي معالم البحث و تعطيه خلفية تاريخية تجنبه الاضطراب و الغموض و تكفيه الانقطاع الزمني

المباغت ، فكان لابد لنا من هذا الرجوع إلى الوراء لأنه يعتبر تمهيدا ضروري لما سوف يأتي بعد ذلك من فصول و مباحث .

أما لماذا جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بالذات ؟ و لماذا اللغة العربية عند هذه الجمعية ؟ و لماذا هذه الفترة بالذات ؟ .. فإن ذلك يعود إلى عوامل تاريخية و موضوعية و علمية كثيرة أو جزها في العناصر التالية :

1 – إن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين تعتبر الوحيدة – كمؤسسة أو هيئة – التي كان موضوع اللغة العربية خلال هذه الفترة – فترة الدراسية – محل اهتمامها نظريا و عمليا ، لكونها أحد أهم العناصر التي عملت لها مدة وجودها ؛ نظريا من خلال المطالبة بها كلغة وطنية و علمية و شعبية ، و من خلال الكتابات والمقالات و الأشعار...، و عمليا من خلال المؤسسات الكثيرة التي عملت على إنشائها في واقع الجزائريين ، و التي خرجت الكثير من الإطارات التي هي اليوم عمدة الوطن .

2 – و لأن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين كانت أبرز منظمة في تلك الفترة نشاطا و عملا و التصاقا بواقع الجزائريين ، و تبنيا لمطالبهم ، و تعبيرا عن آمالهم و أحلامهم ، و أقدرهم على استعاب ثقافة هذا الشعب و تراثه و العمل على إحيائهما من جديد بلغة الوطن و الشعب .

3 – أنه منذ تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و الاستعمار في قلق و اضطراب و تململ فقد أقلقت هذه الجمعية مضجعة ، و نغصت عليه وجوده ، فمهدت بعد ذلك إلى قيام الثورة – مع هيئات أخرى – بما أسست من مدارس ، و ألهمت من عقول ، و فتقت من قرائع ، وأرشدت من قلوب ،.. و ما نتج عن ذلك من حركة أدبية فكرية و ثقافية خصبة و ثرية ، كان لها الأثر الكبير على الحياة العامة في الجزائر .

4 – إن الفترة التي أتينا عل دراستها تعتبر أدبيا و ثقافيا قمة للنهضة الثقافية و الأدبية في تاريخ الجزائر خلال وجود الاستعمار الفرنسي ، فكان لابد من إعارتها هذا الاهتمام و هذه العناية ، ثم إن هذه الفترة هي فترة انبعاث اللغة العربية و البداية الحقيقية للتعريب في التعليم و الإدارة ، والإعلام ، و الثقافة بشكل عام .

5 – و أن هذه الفترة – محل الدراسة – كان التعريب فيها قد قطع شوطا بعيدا و فرض نفسه على الواقع الوطني و اعتمد في إنجازه على الإنسان الجزائري فكرا و تخطيطا و تطبيقا ، و أصبح حقيقة سلم بها حتى أعداء الشعب الذين حاربوه بضراوة شديدة .. و رغم الحرب الطويلة التي شنها الاستعمار على العربيةوالمعربين أصبح في الجزائر تعليم عربي ، و صحافة عربية ، و مؤلفات

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

عربية ، و نوادي عربية و مطابع عربية ،... يشرف عليها الجزائريون توجيها و تنفيذا وقفت أمام الفرنسية و الفرنسة و حافظت على لغة هذا الوطن و شخصية هذا الشعب و انتمائه .

6 – و التعريب في تلك الفترة لا يقصد به تعريب المصطلحات و إنما المقصود به إحلال لغة محل لغة أخرى في واقع الناس ، أي إحلال اللغة العربية التي أبعدت من واقع الناس محل اللغة الفرنسية التي فرضت عليهم في كل مجالات الحياة ، و هذا المفهوم للتعريب نجحت فيه الجمعية أيما نجاح .

و يندر أن نجد تجربة مماثلة حققت النجاح الذي حققته هذه التجربة الرائدة التي لم تتبناها حكومات رسمية ، و إنما اعتمدت على الجماهير الشعبية العريضة و على العناصر الحية في الشعب الجزائري .

7 – و بهذه التجربة الرائدة انتشلت الجمعية اللغة العربية من سكرات الموت و بعثت فيها الحياة من جديد فخاضت اللغة ميادين الحياة و الثقافة جميعها من جديد بكل عزم و ثبات فاحتلت الفصحى مكانتها ، فكانت حركة إحياء كبيرة في اللغة و الدين ، و قفزة عملاقة في الأدب ، و انفتح الباب أمام الثقافة العربية في الجزائر فتعددت جوانبها واتسعت آفاقها ، و تطورت الفصحى في أساليبها و مفرداتها و صيغها لدى الكتاب و الأدباء و الشعراء و المفكرين ..

8 – عدم ظهور أي دراسة علمية متخصصة – فيما نعلم – تعالج قضية اللغة العربية بما أحدثته من نهضة ثقافية و أدبية ظمن اهتمامات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين خلال الفترة محل الدراسة إلا ما كان من جوانب أخرى .

فاختيار هذه الفترة و هذا الموضوع يبدو إذن منطقيا ، ليثري الدراسات الأدبية و الثقافية و اللغوية في الجزائر بل و يساهم في إبراز دور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في إحياء الأدب العربي الجزائري بجميع فنونه .

و قد اقتضت منا الدراسة أن نسلك المنهج التاريخي ، و هذا لتتبع مسألة اللغة عند جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، باعتبارها ظاهرة كبرى و أبرز نقطة ضمن اهتمام الجمعية ، و ما أفرزه ذلك من نتائج عامة انعكست على المجتمع الجزائري ، و على الثقافة العربية في الجزائر ، و ما تركه من حملوا هذه القضية ، و ما قدموه من جهود من أجل النهوض باللغة و تطويرها ، ثم معرفة الظروف و الملابسات التي نشأت فيها الجمعية ، و جهودها و وسائلها و غاياتها في خدمة اللغة العربية و مراحل تطور ذلك .

و ما أنجر عنه من نتائج و غايات تحققت بفعل ذلك . و دون شك أن مثل هذه الدراسات لا يصلح لها إلا مثل هذا المنهج التاريخي ، غير أن هذا لم يمنعنا من التعريج على مناهج أخرى لاستعمالها في بعض الأحيان عندما يقتضي المقام ذلك . فقد نقدنا بعض المسائل ، أو قارناها ،

أو حللنا جوانب منها و هكذا .. غير أن مثل هذا نجده قليل و يبقى المنهج الغالب في الدراسة هو المنهج التاريخي، و قد اقتضى ذلك أن تكون فصول البحث ثلاثة :

- الفصل الأول : و قد خصصناه للحديث عن اللغة العربية في العهد العثماني و خلال فترة الاستعمار الفرنسي إلى غاية سنة 1930 م . و قد استدعى ذلك مبحثين اثنين :
- أحدهما للحديث عن اللغة العربية في العهد العثماني الذي سبق الاستعمار الفرنسي ، و ثانيهما للحديث عن اللغة العربية في العهد الاستعماري إلى غاية 1930 م . و لم نرد من هذا الفصل أن نأتي بنتائج جديدة و إنما تهيئة الجو العام للفصلين الثاني و الثالث. و وضع قاعدة متينة نستند عليها فيما يأتي من مواضع الدراسة ... ذلك أن الحديث عن اللغة العربية قبل الاستعمار أي في العهد العثماني – في المبحث الأول – يقتضي الإجابة عن الأسئلة المطروحة و هي كثيرة منها : هل كان للجزائر ثقافة ؟ و بأي لغة كانت ؟ و ما هي مكانة و موقع اللغة ؟ و مدى ازدهارها و تطورها ؟ و مكانة اللغة في المنظومة التعليمية و الفكرية ؟ و هل كان لها إنتاجا أدبيا و ثقافيا و فكريا يمثل وعاء اللغة العربية ؟ و لم نفصل الحديث في هذا المبحث إلا بما اقتضاه المقام ، و أومأنا إلى المصادر و المراجع في كثير من الإحالات للتفصيل أكثر، و ليس معنى هذا أننا احتزأنا بإعادة ما قيل ، و تكرار ما كتب ، بل أننا اصطنعنا منهجا خاصا في البحث أتاح لنا أن نستخلص نتائج مهمة .

أما المبحث الثاني فقد خصصناه للحديث عن الإرث اللغوي و الثقافي و الأدبي و العلمي ... الذي وجد الاستعمار عليه الجزائر و ماذا فعل به ؟ و كيف عمل على القضاء على هذه اللغة ؟ و كيف دمر المراكز و المؤسسات و المحاضن التعليمية و الثقافية ؟ و كيف أحرق التراث والمخطوطات الأدبية و الثقافية و العلمية ... ؟ و كيف استعمل الأساليب المتعددة و المتنوعة للقضاء على كل ما وجده ؟ و محاولة إحلال محله لغة و ثقافة و أوعية أخرى ؟

- و أما الفصل الثاني : و هو يمثل صلب الموضوع مع الفصل الذي يليه ، فقد خصصناه للحديث عن نشأة الجمعية و جهودها في خدمة اللغة العربية و محاولة العودة بها إلى ما كانت عليه قبل الاحتلال ، و الانطلاق بها بعد ذلك إلى أفاق أوسع و ارحب للرقي بها في المستقبل .

و قد استدعى ذلك مبحثين اثنين :

الأول : حاولت أن أشير فيه بشيء من الإيجاز إلى نشوء الجمعية ، و الإرهاصات التي سبقت ذلك ، و الأسباب الحقيقية التي دفعت العلماء إلى الانضواء تحت لواء واحد ، و الأهداف التي وضعتها الجمعية و عملت على تحقيقها في واقع الأمة الجزائرية و كان التركيز في الحديث عن الهدف اللغوي و الثقافي و موقع ذلك من اهتمامات الجمعية و رجالها ؟ و ما هو سر اهتمام

الجمعية بالقضية اللغوية ؟ و ما هي أهم الأسباب التي جعلت الجمعية تنجح في مسعاها لخدمة اللغة ؟ و علاقة كل ذلك بمقومات الشخصية الوطنية ؟ و العمل الجبار الذي تبع ذلك خلال المسيرة التاريخية للجمعية ؟

أما المبحث الثاني فكان الحديث فيه عن الوسائل التي عملت بها و من خلالها الجمعية لإحياء اللغة العربية ، و موقع اللغة العربية من كل وسيلة من هذه الوسائل . و كان الحديث بشيء من التفصيل ، سواء تعلق الأمر بالتعليم أو الصحافة أو النوادي أو المطبعة ، أو الكشافة الإسلامية أو التواصل مع الشرق و دور كل ذلك في إحياء اللغة العربية و نشرها و ترسيخ وجودها بين أفراد الشعب ، و ما تبع ذلك من نتائج باهرة في ذلك تدل على ضخامة الجهد و جسامة التضحيات و قوة العمل .

- **أما الفصل الثالث** : فقد خلصنا فيه إلى أهم النتائج التي ترتبت عن جهود الجمعية في خدمة اللغة العربية من خلال ما تحقق لها من إنتاج أدبي و ثقافي .. ضخم ، و النهضة الأدبية و الثقافية التي نتجت عن ذلك . ثم عرجنا على أهم شخصيتين من شخصيات جمعية العلماء و جهودهما و أراءهما في اللغة العربية و هذا من خلال مبحثين اثنين كلا تناول عنصرا من هذه العناصر .
- ثم خلصنا في نهاية هذا المبحث إلى الخاتمة و التي كانت عبارة عن أهم النتائج المتوصل إليها في هذا المحث و قد أوردناها في شكل نقاط مختصرة .

و قد رأينا أن نضع ملحقا نترجم فيه لأهم الكتاب الجزائريين الذين كانوا موضوع البحث و كان لهم الأثر الجليل أو القليل في الحركة الأدبية و الثقافية خلال هذه الفترة ، و قد ذكرنا فيه الغير مشهورين منهم . و قد توخينا الإيجاز في الترجمة و الإحالة بعد ذلك على بعض المصادر والمراجع التي ترجمت لهم بالتفصيل .

و خلال تتبعنا للمنهج الذي اصطنعناه توصلنا إلى نتائج و أحكام أقمناها ، و أراء أصدرناها .. اجتهدنا أن تكون قائمة على أصول من العلم ، و قد حاولنا أثناء كل ذلك أن نتخلص من الذاتية ما أ مكن ، و نتسلح بالموضوعية ما استطعنا ، و نتحلى بالمنطق و الحذر و الحيطة جهدنا ، لئلا تكون أ حكامنا أهواء ، و آراؤنا ضربا من الانطباعات .

و يمكن تقسيم الوثائق التي رجعنا إليها في تحرير هذا البحث إلى ما يلي :

1 – الصحف و المجلات التي كانت تصدرها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، و بعض الصحف الأخرى التي كانت تصدر خلال هذه الفترة

2 – تراث الجمعية و ما تركه رجالها من بحوث و دراسات و مقالات ، و أشعار ، مما تم جمعه بعد ذلك من طرف أهل العلم و الثقافة ، مثل تراث الشيخ عبد الحميد بن باديس ، و تراث الشيخ البشير الإبراهيمي ، و تراث الشيخ العربي التبسي ، و تراث الشيخ محمد خير الدين ، و الشيخ ابن عتيق ، و الشيخ محمد العيد و غيرهم ... و كان هذا هو المصدر الأساس .

3 – المجلات الجزائرية و العربية التي صدرت بعد الاستقلال .

4 – كتب و دراسات تاريخية و أدبية و ثقافية عامة ، و قد كثر تعويلنا على مثل هذه المصادر خاصة في الفصل الأول و الثاني .

و لا يفوتني في نهاية هذه المقدمة أن اكرر شكري إلى كل من ساعدني في إعداد هذا البحث حتى خرج في صورته الأخيرة . و آمل أن يضيف هذا البحث إلى المكتبة الأدبية الجزائرية بعض الحقائق التي كانت مبهمة ، كما آمل أن يسد الفراغ في مجال الدراسات الخاصة بالأدب عند جمعية العلماء و رجالها و لا يبق الحديث مقتصرا فقط عن الجانب الإصلاحي .. فذلك من الواجب علينا ، و من حق الثقافة الوطنية علينا ، حتى نكون قد قدمنا جزءا من هذا الواجب .

مع اعتذاراتنا عن كل تقصير أو تفريط فما ذلك منا بمقصود إنما هو جهد المقل .

و الحمد لله رب العالمين .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الأول

اللغة العربية في العهد العثماني والاستعمار الفرنسي إلى غاية سنة 1930م

المبحث الأول

اللغة العربية في العهد العثماني

المبحث الثاني

اللغة العربية في العهد الاستعماري إلى غاية سنة 1930

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تمـــهيـــــد

هذا الفصل عبارة عن مقدمة تمهيدية ضرورية للموضوع و قد خصصناه للحديث عن وضـــــع و مكانة اللغة العربية في العهد العثماني و خلال فترة الاحتلال الفرنسي إلى غاية سنة 1930 م و قد تطلب منا ذلك مبحثين اثنين :

المبحث الأول : و قد تطرقنا فيه إلى الحديث عن اللغة العربية في فترة العهد العثماني ، و قد جرنا ذلك إلى تناول المحاضن التي تعتني باللغة العربية و كل ماله علاقة بها ثم مكانة التعليم و تطوره ، و الاهتمام به ، و اعتناؤه باللغة العربية و انتشاره في مختلف الأمكنة و تعميمه على مختلف طبقات المجتمع و كثره المتعلمين و المقبلين عليه ، ثم بعد ذلك تحدثنا عن انتشار الثقافة و اللغة العربـــية من خلال المراكز السابقة و من خلال رجال الثقافة و الأدب على كثرتهم و اهتمامهم، مع وفرة الإنتاج الثقافي و الأدبي الذي أنتجوه على مر السنين في مختلف الفنون و العلـــوم على كثرة المكتبات الخاصة و العامـــة التي كانت تدل على وفرة الإنتاج الأدبي و الثقافي و انتشار المثقفين و الثقافة و الاهتمام بالقراءة و العلم . كل ذلك بلغة عربية سليمة لا تزاحمها في ذلك أي لغة أخرى .

أما المبحث الثاني فقد خصصنا الحديث فيه عن اللغة العربية إبان الاحتلال الفرنسي إلى غاية سنة 1930م أي قبل نشأة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، و قد تطلب ذلك منا أن نشير إلى الوضع الذي كانت عليه اللغة العربية من خلال الأهداف الثقافية التي رسمها الاستعمار لضرب العربية من خلال تحقيق الفرنسية و محاربة التعليم العربي و القضاء عليه و تهجير المثقفين و العلماء الذين كان بإمكانهم المحافظة على اللغة و نشرها بين الناس ، ثم عزل المجتمع الجزائري عن كل امتداد خارجي خاصة منه نحو العرب و المشرق العربي .

كما أننا أشرنا إلى الأساليب التي اعتمدها الاستعمار لضرب اللغة و الثقافة العربية و هي عديدة و متنوعة ، بداية من إصدار القوانين و المراسيم ، و مرورا بفرض التعليم و اللغة الفرنسية و إرسال أبناء الأعيان للتعليم بفرنسا لصناعة النخبة ، ثم إحياء اللهجات خاصة منها البربرية و تشجيع العاميات مع إتلاف كل التراث المكتوب و المخطوط ، ووصولا إلى استعمال الإعلام المقروء و المسموع من صحافة و كتب و راديو و غيرها لضرب اللغة العربية .

ثم وصلنا بعد ذلك إلى الحديث عن النتائج التي ترتبت عن محاربة اللغة العربية من خلال الأساليب المتنوعة و المتعددة ، و قد كان من هذه النتائج أن تفرنس المحيط شبه كليا ، مع انتشار الأمية بين أفراد المجتمع الجزائري ؛ و ضعفت الحركة الأدبية و الثقافية ، كل ذلك أدى في النهاية إلى انحسار اللغة العربية و ضعفها و تقهقرها حتى كادت أن تهلك ، أو كادت أن تموت كلية و لم يصبح لها مجال في حياة الجزائريين بل أصبحت توصف بالتخلف و الضعف فكادت أن تموت نهائيا .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول

اللغة العربية في العهد العثماني

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

اللسان العربي ليس غريبا عن المجتمع الجزائري، واللغة العربية لم تفرض نفسها بالقوة على الجزائريين، بل تقبلوها بكل حفاوة واستقبال، وبكل رضى واطمئنان وذلك منذ أكثر من أربعة عشر قرنا من الزمن حيث "بدأ انتشار اللغة العربية في الجزائر مع مطلع الفتح الإسلامي..وتعربت البلاد دون أن تجد اللغة العربية أي عائق يحول دون انتشارها كلغة دين، وعلم، وثقافة، كما لم يحدث خلال التاريخ الإسلامي للجزائر أن تقلص ظل اللغة العربية من أي منطقة دخلها اللسان العربي"[1]. ولقد وجدنا في ظل هذا التاريخ الإسلامي، أنه رغم كون الأمازيغ -البربر- استطاعوا "أن يؤسسوا دويلات أو دولا من طرابلس إلى الأندلس، ومع ذلك لم يفكروا يوما واحدا في رفض لغة العرب ودياناتهم والرجوع إلى اللغة اللاتينية والدين المسيحي"[2]. وبهذا القبول للغة العربية وللدين الإسلامي عبر القرون "ظلت الجزائر محافظة على الثقافة العربية التي تقبلتها وانصهرت في بوتقتها منذ الفتح الإسلامي، وعبر القرون التالية له، إذ حافظت على هذه اللغة بصلابة نادرة المثيل، أسهمت في إثراء التراث العربي الإسلامي بكثير من الإنتاج والشروح والتعليقات والمؤلفات القيمة، وانتفعت بالتيارات الثقافية العربية التي قدمت إليها من الأندلس، والأقطار العربية الأخرى، فازدهرت اللغة العربية بفضل هذه المدارس والجامعات الموجودة في كل من تلمسان، ووهران وبجاية، وقسنطينة والتي كانت مصدر إشعاع ثقافي باهر، وهكذا، أصبحت اللغة العربية جزءا من كيان لا ينفصل عن الشخصية القومية الجزائرية وأصبحت لتغلغلها في النفوس ومكانتها، هي الوسيلة والأداة في التعامل في كل المجالات الإدارية والعلمية والعسكرية، وهكذا كانت جميع الوثائق الرسمية للدولة الجزائرية تصاغ باللغة العربية"[3].

وبهذه اللغة التي احتضنتها وتبنتها الجزائر، وقبلتها بكل صدق واخلاص كلغة رسمية، وأثرت من خلالها الثقافة العربية الإسلامية بإنتاج علمي وثقافي وأدبي عظيم وشيدت حضارتها كلها بهذه اللغة من هنا يمكن القول : أنه أصبح "القطر الجزائري ينتمي إلى وطن واحد كبير هو الوطن العربي، والجزائريون ينتسبون إلى مجموعة بشرية واحدة هي الأمة العربية، يربطهم مع شعوبها الأخرى تاريخ واحد وينتمون جميعا إلى حوض حضاري واحد هو الحوض الحضاري العربي"[4].

وبهذا تعربت الجزائر وأصبحت " العروبة في الجزائر راسخة الجذور بالمعنى الاجتماعي والثقافي

111- د . أحمد بن نعمان -التعريب بين المبدأ و التطبيق -ص 145 - الشركة الوطنية للنشر و التوزيع الجزائر- 1401 هـ/ 1981 م

2- مبارك الميلي- تاريخ الجزائر القديم و الحديث - ص 414 - المؤسسة الوطنية للكتاب - الجزائر - دون تاريخ

3- عبد الرحمان سلامه < ابن الدويحة > - التعريب في الجزائر من خلال الوثائق الرسمية- ص 14/13 - مكتبه الشعب و الشركة الوطنية للنشر و التوزيع - الجزائر 1981 م

4- د عثمان سعدي - قضية التعريب في الجزائر -ص18 -دار الكتاب العربي للطباعة و النشر القاهرة مصر -دون تاريخ.

واللغوي ، لا بالمعنى العرقي"[1].

واستمر الأمر كذلك عند دخول العثمـــانيين إلى الجزائر، وذلك منذ استدعـــاء الأخوين عروج -خير الدين وبربروس- لصد هجمات الأوروبيين خاصة الأسبان على سواحل الجزائر "فصارت الجزائر منذ دخلها الأتراك في القرن السادس عشر الميلادي مقاطعة عثمانية مرتبطة ارتباطا مباشرا بالباب العالي بالأستانة، ورغم الارتباط المباشر فإن الجزائر كانت تتمتع بالاستقلال الـــذاتي"[2].

ولقد استمر حكم الأتراك مدة زمنية دامت أكثر من ثلاثة قرون من ســـنة 1516م إلى ســـنة 1830م. وهذه الفترة التي حكم فيها العثمانيون الجزائر أخذت حيزا كبـــيرا مـــن الجـــدول، والنقاش غير العلميين مرة، ومع كثير من التحامل والتهجم في كثير من المرات، سواء تعلق الأمـــر بالجانب السياسي، أو الاجتماعي، أو الثقافي أو الأدبي أو العلمي، أو الاقتصادي...

فكانت حملات مسعورة - وهي مستمرة إلى اليوم - ، يرفع لواءها المستشرقون والمســـتعمرون وأذنابهما..مع وجود قلة من الدراسات الجادة والأبحاث الأكاديمية والعلمية الموضوعيـــة، الـــتي تناولت هذه الفترة بالدراسة والبحث، وخاصة ما تعلق بجانبها الثقافي والأدبي والعلمي.

وحتى إخواننا المشارقة لما يتناولون الحديث عن الفترة العثمانية يتناولونه بكثـــير مـــن التـــهجم والتحامل، وفي كثير من الأحيان يعتبرون حكم العثمانيين في المشرق والمغرب شـــيء واحـــد، والحقيقة أنه غير ذلك!؟

فحكمهم في الجزائر يختلف كثيرا عما كان عليه في المشرق، وما حدث في بعض دول المشـــرق يختلف تماما عما حدث عندنا في الجزائر، وكثير من كتب التاريخ أبرزت هذا الاختلاف. ولهـــذا من الإنصاف، ومن باب إبراز الحقيقة التاريخية، ومن الموضوعية بيان هـــذا الاختـــلاف لـــدى الباحثين للتمييز بين حكم العثمانيين في الجزائر، وفي المشرق، لإعطاء النتـــائج والاســـتنتاجات الصحيحة المترتبة على ذلك.

من هنا يمكن القول : إن كلامنا في هذا المبحث عن العهد العثماني في جانبه الثقافي، - خاصة ما تعلق باللغة العربية وما يرتبط بها - ، يختلف كثيرا عن الدراسات والأبحاث الـــتي تجعـــل مـــن التحامل والتهجم على العثمانيين وما ترتب عن حكمهم للبلاد العربية من نتائج هدفـــا وغايـــة لدراساتهم وبحوثهم، وسنحاول أن نبرز جزءا من الحقيقة التاريخية لننصف فـــترة العثمـــانيين في الجزائر بكل موضوعية وإنصاف، وهذا لإبراز بعض المعالم الحضارية المتعلقة بالشخصية والهويـــة الوطنية والتاريخ الجزائري.

---

[1]- شحادة الخوري – القضية اللغوية في الجزائر و انتصار اللغة العربية – ص13/12 – مطبعة الكتاب العربي – دمشق سوريا – 1991م

[2]- إسماعيل العربي – المقاومة الجزائرية ضد الغزو الفرنسي – ص20/19 –الشركة الوطنية للنشر و التوزيع – الجزائر – دون تاريخ

اللغة العربية في العهد العثماني :

كانت الثقافة العربية راسخة في الجزائر منذ الفتح الإسلامي، وأصبح اللسان العربي هو لسان الجزائريين، وانتشر بين أبنائه بل وحافظ عليه عبر القرون التالية، وأسهم أبناء الجزائر في إغناء التراث العربي الإسلامي بمؤلفات كثيرة علمية وفقهية وأدبية..واتصلت الجزائر بالأندلس وبالمشرق، فأنشأت مؤسسات ومدارس ومعاهد علمية وثقافية في وهران وتلمسان وبجاية وقسنطينة..فكانت مصدر إشعاع علمي وثقافي باهر.

ولما قدم العثمانيون إلى الجزائر وحكموا فيها ما بين 1516م و 1830م "بقيت هذه المراكز على حالها تحافظ على نشر اللغة العربية وعلوم القرآن والفقه الإسلامي على الرغم مما أصاب العالم الإسلامي من ضعف وتقوقع"[1] كما أنه "بقيت اللغة العربية هي اللغة السائدة[2] كلغة دين، وعلم وثقافة، كما بقيت جميع المؤسسات التعليمية العربية قائمة يدرس فيها الدين والعلوم باللغة العربية فقط"[3] بل كانت هذه الفترة "على الرغم مما أصابها من فتن واضطرابات وأزمات بمثابة المعبر الزمني الذي حافظ على قيم الجزائر الحضارية وتراثها الإسلامي العربي، هذا فضلا عن أنها فترة اكتمل أثناءها كيان الشعب الجزائري، المتميز باختيار عاصمة، ورسم حدود، ووضع قوانين إدارية، وسن أنظمة اقتصادية واجتماعية"[4].

وسنرى من خلال العناصر المقبلة من هذا المبحث أن "النقد الذي يوجهه الكتاب دائما إلى العهد العثماني في الجزائر جهلا منهم بإنتاجه ، والبحث عن النصوص الأدبية والتاريخية التي هي ضالة الباحثين في هذا العصر"[5] وجهلا ربما بما في هذا العصر من مراكز ثقافية متعددة ومتنوعة ومزدهرة، وما فيه من إنتاج علمي وأدبي وفني وثقافي راقي، وما فيه من أدباء وعلماء وشعراء ومؤرخين وفنانين، وغيرهم مما يدل على الثقافة المزدهرة، واللغة الراقية، والتطور الحضاري، والرقي النفسي، والذوق الفني الذي كان يعيشه المجتمع الجزائري إبان فترة الحكم العثماني.

المطلب الأول : مراكز الثقافة والأدب

ورغبة من الجزائريين في التعلم والمعرفة، ونشر التعليم، والاغتراف من مختلف العلوم والتيارات الثقافية التي كانت موجودة في ذلك الوقت، وبتشجيع من العثمانيين لهذه الرغبة تعاون الجميع

1- ابن حمو محمد – دور التبشير و الاستشراق في الثقافة العربية الإسلامية في الجزائر – ص33 – رسالة ماجستير من جامعة عين شمس كلية الآداب – قسم اللغة العربية بالقاهرة – 1409 هـ / 1989 م .

2- رغم كون اللغة التركية هي المستعملة في دواوين الدولة .

3- د . احمد بن نعمان – التعريب بين المبدأ و التطبيق – ص 145

4- د . ناصر الدين سعيدوني – دراسات و أبحاث في تاريخ الجزائر –ص 139 – المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر 1984م

5- ابن علي-أشعار جزائرية -- تقديم و تحقيق و تعليق الدكتور أبو القاسم سعد الله – ص 09 – المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر 1988 م

لتحقيق هذه الرغبة، فأسست في الجزائر المراكز الثقافية العديدة، والمؤسسات التعليمية المختلفة خدمة للمجتمع الجزائري وحفاظا على اللغة العربية، والدين الإسلامي، وتماشيا مع متطلبات العصر، بحيث لا تكاد تخلو منطقة من المناطق أو مدينة من المدن، من مركز من مراكز العلم والثقافة، وهذه حقيقة لا يماري فيها أحد، فالشواهد التاريخية والكتابات المتنوعة للعرب والمسلمين تشهد بذلك، بل أن هذه الحقيقة لم ينكرها حتى الأوروبيين. فنجد المؤرخ الفرنسي موريس بولار – Maurice paular– يقول :"كانت للجزائر في القرن الرابع عشر وما بعده مراكز ثقافية باهرة ومزدهرة، وكانت تدرس فيها الفلسفة والآداب والعلوم المختلفة من طب وفلك وطبيعة وسياسة...وغيرها من طرف أساتذة لا معين وكانت المدارس الكثيرة العدد منتشرة في ربوع البلاد، وكان التعليم فيها دينيا ومدنيا"[1].

كما "قال السيناتور كومب في مجلس الشيوخ الفرنسي ما يلي:إن الجزائر كان فيها عند احتلالنا لها أكثر من ألفي معهد ثانوي وعالي"[2].

وقد تعددت مراكز العلم والثقافة، بل وتنوعت أشكالها، وكلها كانت تخدم اللغة العربية ،وتخدم العلم والثقافة العربية الإسلامية في ذلك الوقت، وانتشرت انتشارا واسعا حتى شمت القطر كله وقد تمثلت هذه المراكز الثقافية في المدارس التعليمية، والمساجد، والزوايا، والكتاتيب القرآنية، والمكتبات العامة والخاصة، والدكاكين التجارية، والأندية المنزلية . وعلى تعدد هذه المراكز وكثرتها نجد الدكتور أبو القاسم سعد الله في كتابه القيم تاريخ الجزائر الثقافي بعدما طاف بالمصادر التي تحدثت عن هذه المراكز و دورها التعليمي يقول : " وقد تحدثت المصادر كما لاحظنا، عن انتشار التعليم بالجزائر خلال العهد العثماني، انتشارا طيبا حتى غطى المدينة والقرية والجبل والصحراء"[3] وكل تجمع سكاني، ومن عجيب ما رأينا أنه "...بالرغم من كون الأتراك كانوا يتكلمون لغة تركية، ولهم ثقافتهم التركية الخاصة، فإن الثقافة العربية لم تفقد وظيفتها في الإدارة التركية، سواء في المحاكم الشرعية، أو التعليم، وغيرها من المرافق التي لها صلة بحياة المواطنين، وخلال ثلاثة قرون لم يحاول الأتراك فرض اللغة التركية على الأهالي، كما أنهم لم يكوّنوا مدارس خاصة بأبناء الأتراك لتعليم اللغة التركية، بل أن أحمد باي قد كاتب السلطان أحيانا باللغة العربية"[4].

1- MOURICE Poulard – L'enseignement pour Les indigenes D Algerie – p 81 – Alger - 1910

2- مولود قاسم نايت بلقاسم – اللغة و الشخصية في حياة الأمم – مجلة الأصالة العدد 17/18 ص62 السنة 4 شوال/ذو القعدة – ذو الحجة/محرم –1393 هـ 1394 هـ / نوفمبر/ديسمبر – جانفي/فيفري – 1973م – 1974 م .

3- أبو القاسم سعد الله – تاريخ الجزائر الثقافي – الجزء الأول – ص315 – الشركة الوطنية للنشر و التوزيع – الجزائر 1981 .

4-التلي بن الشيخ – دور الشعر الشعبي في الثورة 1830/1945م –ص11 –الشركة الوطنية للنشر والتوزيع – الجزائر 1983م

والجدير بالتنبيه أن الأمر لم يقتصر على أحمد باي في مراسلاته وكتاباته باللغة العربية، بل أن الكثير من الدايات أو البايات، كانوا يتقنون اللغة العربية ويكتبون بها، ويخاطبون الشعب الجزائري بها، ويكاتبون بها غيرهم ممن يراسلونهم، وقد ذكر الدكتور سعد الله في كتابه تجارب في الأدب والرحلة أربع رسائل[1] قد حصل عليها، كانت بين باشوات الجزائر وعلماء عنابة، وقد كانت باللغة العربية، حيث بيّن القيمة التاريخية والأدبية لهذه الرسائل فقال :"وإذا حكمنا على أسلوب هذه الرسائل فإن الكتاب كانوا على درجة عالية من المعرفة التاريخية واللغوية وأساليب المخاطبة، فرغم ثقل بعض العبارات على آذاننا اليوم فإن الرسائل مكتوبة بسجع مستساغ وأسلوب رشيق، وألفاظ أنيقة، بالإضافة إلى استعمال الحكم والأمثال والآيات والأحاديث والأشعار"[2] ولعل هذا من الأدلة الكثيرة التي تبين مدى حرص العثمانيين على تعلم اللغة العربية والعمل على الاتصال بعلماء الجزائر من خلالها، ومحاولة نشرها بين الجزائريين وتعليمها لهم بمختلف الطرق والوسائل.

المطلب الثاني : التعليم

شهدت القرون الثلاثة التي حكم فيها العثمانيون الجزائر انتشارا واسعا للتعليم بمختلف مراحله وأنواعه، مع كثرة المدارس والمساجد والزوايا والمؤسسات التعليمية التي تحتضنه مع اهتمام كبير به من طرف العثمانيين والجزائريين على حد سواء حيث نجد " أن كثيرا من المصادر قد تحدثت عن انتشار التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني، وعن استعداد الشعب للتعلم وحبه للعلم واحترامه للمعلمين"[3] ومع انتشار التعليم انتشرت المدارس وتعددت، " فقد كثرت في الجزائر المدارس الابتدائية حتى كان لا يخلو منها حي من الأحياء في المدن، ولا قرية من القرى في الريف، بل إنها كانت منتشرة حتى بين أهل البادية، والجبال النائية، وهذا ما جعل جميع الذين زاروا الجزائر خلال العهد العثماني يبهرون من كثرة المدارس بالإضافة إلى المساجد والزوايا والرباطات..."[4] ودليل ذلك ما " يشهد لانتشار التعليم في الجزائر كتابات فانتور دياري الفرنسي، وروزيه الفرنسي أيضا، وتقارير الباحثين الفرنسيين غداة الاحتلال التي أثبتت أن عدد المتعلمين في الجزائر عندئذ كان يفوق عدد المتعلمين في فرنسا"[5] كما يشهد على ذلك أيضا

1- انظر هذه الرسائل في كتاب تجارب في الأدب و الرحلة للدكتور أبو القاسم سعد الله من ص 54 إلى ص 62 - المؤسسة الوطنية للكتاب - الجزائر 1983 م .

2- د . أبو القاسم سعد الله – تجارب في الأدب و الرحلة – ص 52

3- د . أبو القاسم سعد الله – تاريخ الجزائر الثقافي – الجزء الأول – ص 319 – .

4- نفس المرجع – ص 174 .

5- نفس المرجع – ص 319 ، 320 .

اوجيت كومب حيث يقول :"مما لاشك فيه أن التعليم في الجزائر خلال عام 1830م –أي عام الاحتلال– كان أكثر انتشارا، وأحسن حالا مما هو عليه الآن: فقد كان هناك أكثر من ألفي مدرسة للتعليم بدرجاته المختلفة فضلا عن مئات المساجد، وقد اغلق الاستعمار الفرنسي هذه المدارس العربية بالقوة"[1] ويكفي للتدليل على انتشار التعليم وكثرة المدارس وروادها من الطلبة ذكر بعض المدن ومدى انتشار التعليم فيها، مثل مدينة قسنطينة التي ذكرها بول قافارال — Paul Gaffarel وكله دهشة وانبهار و إعجاب حيث يقول : "كانت مدينة قسنطينة على عهد الأتراك..عاصمة دينية، وكانت العلماء تتمتع فيها بالسيادة المطلقة والنفوذ التام، كما أنها كانت غاصة بعدد كبير من الطلبة يغترفون من خمس وعشرين مدرسة للعلوم الدنيوية والأخروية، ثم يتفرقون في أنحاء القطر لينشروا ما اغترفوه من العلوم، إن قسنطينة كانت –حقا– مبعث نور الجزائر، كما كانت تشرف العلماء وتقدرهم حق قدرهم"[2].

وليست مدينة قسنطينة وحدها التي كانت مقصد العلماء، وتعج بطالبي العلم، وانتشار المدارس والمراكز التعليمية المختلفة، بل يمكن القول أن ذلك شمل المدن الجزائرية كلها دون استثناء، حتى أننا وجدنا اشهر العلماء يتسمون بأسماء مدنهم أو ينتسبون إليها، فوجدنا القسنطيني، والبوني، والمستغانمي، والتلمساني، والوهراني، والبسكري والبحائي، والورجلاني، والتبسي...وغيرهم. وقد "كانت مدينة الجزائر تشتمل على مائة مدرسة، بينما كانت قسنطينة تشتمل على ست وثمانين مدرسة، وتلمسان على خمسين مدرسة، وفي القطر بأكمله كانت هناك عشرُ جامعات تقدم للطلبة تعليما عاليا، وهي موزعة على مختلف أنحاء البلاد، يؤمها الطلبة بعد حفظ القرآن، وإنهاء المرحلتين الابتدائية والثانوية..." [3] وإلى جانب المدارس "كانت المساجد تقوم بالتعليم الثانوي والعالي، ففي كل مدينة مسجد أو مساجد يرابط فيها العلماء الأجلاء المخلصون، للتعليم الثانوي والعالي، فيسارع الطلاب إليهم، ويتخرجون على أيديهم في الفضل و الصلاح، وفي علوم العربية والدين، وكان التعليم مجانا"[4].

بل يمكن القول : أنه في مجال التعليم في العهد العثماني كانت هناك سياسة متبعة وخطة مدروسة ومرسومة لتعميمه بين مختلف طبقات الشعب، فبالإضافة إلى كونه مجانا وللجميع، كان هناك

1– أنور الجندي – الفكر و الثقافة المعاصرة في شمال إفريقيا – ص 132 – الدار القومية للطباعة و النشر – القاهرة / مصر – 1385 هـ / 1965 م .

2– Paul gaffarel - l Algérie - p 123 - imprimerie de l'institut - paris 1883 .

3– حمدان خوجة – المرآة – تقديم و تعريب و تحقيق الدكتور محمد العربي الزبيري – ص 06 – ش . و . ن . ت . – الجزائر 1975 م .

4– محمد علي –دبوز نهضة الجزائر الحديثة و ثورتها المباركة – الجزء الأول – ص 19 – المطبعة التعاونية – الطبعة الأولى هـ1375/ 1965 م

تشجيع للعلماء والمعلمين والمتعلمين على حد سواء، ومحاولة جلب العلماء الأكفاء من دول أخرى مشرقية أو مغربية وتسهيل إقامتهم في الجزائر للاستفادة منهم في مجال العلم والثقافة، سواء استقر بهم المقام في الجزائر، أو مدة إقامتهم التي قد تطول أو تقصر[1]. كما تعدى الأمر إلى تشجيع طلبة العلم على تحصيله ولو خارج القطر الجزائري في دول أخرى. وقد سجل ذلك الدكتور سعد الله حيث يقول : " ويمكننا أن نلاحظ حول التعليم شبه سياسة عثمانية في تبادل الأساتذة مع البلاد الإسلامية الأخرى، فقد سمح العثمانيون لعلماء غير جزائريين باستيطان الجزائر والتدريس والتوظيف فيها، كما سمحوا لعلماء الجزائر وطلبتها بشدان العلم بالمعاهد الإسلامية خارج الجزائر، حتى مع البلاد التي كان بينها وبينهم توترات سياسية"[2] وبهذا العمل "استطاعت المراكز الثقافية في الجزائر أن تحافظ على الصلة الوثيقة التي تربطها بالمراكز المشرقية العريقة، كالقاهرة وبغداد ومكة والمدينة بفضل عملية الأخذ والعطاء التي كان يقوم بها العلماء المشارقة والمغاربة على حد سواء، ولا ينكر أحد أن فضل هذه المراكز الشرقية كان كبيرا على الجزائر وثقافتها الإسلامية".[3]

فكان لهذا التبادل ولهذه التسهيلات فوائدها الجمة وخيرها العميم على الجزائر وعلى حركة التعليم بها، وعلى تطور اللغة العربية ونموها، وازدهار الحركة الثقافية والعلمية "فمهما قيل في هذه الحركة العلمية الواردة من المغرب أو من المشرق فإنها كانت في جملتها بركة على الجزائر، فكل عالم كان مدرسة متنقلة، ومكتبة مفتوحة، وحركتهم كانت تشكل ما نسميه اليوم بوسائل الإعلام وتبادل الخبراء والكتاب، ونحو ذلك من وسائل الاتصال العلمي"[4].

وهذه الحركة العلمية المزدهرة بكثرة منشآتها ومراكزها الثقافية وكثرة الذين يؤمونها، كانت محل عناية واهتمام وتتبع، وتوفير لكل الإمكانات المتاحة في ذلك الوقت، وتشجيع من العثمانيين وبتعاون مع الجزائريين "وواصل الأتراك بمعاونة الأهالي بناء المساجد والمدارس والزوايا للحفاظ على العلم والتدريس، و لتخريج الفقهاء والعلماء والخطباء ليواصلوا الحركة العلمية وليحيوا التراث القومي"[5].

1- من اشهر من قصد الجزائر في ذلك الوقت علي بن عبد الواحد الأنصاري وابن زاكور من المغرب ، وعائلات بأسرها مثل عائلة ابن علي و ابن العنابي من المشرق ، أو مشاهير العلماء مثل الملا علي الذي تحدث عنه عبد الكريم بن الفكون في كتاب مفلور الهداية .

2- د . أبو القاسم سعد الله – تاريخ الجزائر الثقافي – الجزء الأول – ص 322 .

3- ابن حمو محمد – دور التنشير و الاستشراق في الثقافة العربية الإسلامية في الجزائر – ص 32 .

4- د . أبو القاسم سعد الله – المرجع السابق – ص 451 .

5 – ابن حمو – دور التنشير و الاستشراق في الثقافة العربية الإسلامية في الجزائر – ص 33 .

فكان من نتائج هذه المراكز الثقافية والمؤسسات التعليمية الكثيرة، أن شاع العلم بين الجزائريين، وقلت الأمية بينهم، وكانت السمة الغالبة على الجزائريين في ذلك الوقت خاصة منهم الأطفال والشباب أنهم يحسنون القراءة والكتابة على الأقل، وتلقوا تعليما لا بأس به أخرجهم من دائرة الجهلاء الأميين، يقول الدكتور الخطيب : "كانت نسبة تعليم الأولاد عام 1830م تبلغ وفقا لإحصاء بعض المسؤولين الفرنسيين 20% من مجموع الأولاد الجزائريين، وهي نسبة عالية إذا ما قيست بالمجتمعات المتقدمة في ذلك الوقت، ومواد التعليم الابتدائي تشمل مبادئ القراءة والكتابة وشيئا من النحو والفقه وحفظ القرآن، أما التعليم الثانوي فكان يلقن في الزوايا والمدارس التي أنشئت في المدن لهذا الغرض، ومواد التعليم في هذه المرحلة تشمل بالإضافة إلى القرآن الكريم، الأصول والبيان وعلم المنطق، ومصطلح الحديث، والفقه، والحديث، والسيرة والتصوف..والحساب ..وعلم الوقت، وكان يوجد في العاصمة وحدها عام 1830م، 12 مدرسة ثانوية وكان عدد الزوايا التعليمية 349 زاوية، أما الإنفاق على التعليم فكان أساسا من دخل الأوقاف والحبوس"[1].

وما بالنا نذهب بعيدا، فها هي شهادة أحد الجنرالات[2] الفرنسيين الذين شاركوا في الاحتلال الظالم للجزائر يسجل هذه الشهادة سنة 1834م بقوله :

"إن كل العرب -الجزائريين- تقريبا يعرفون القراءة والكتابة، حيث أن هناك مدرستين في كل قرية"[3]. ونفس الشهادة يسجلها الجنرال دوهوتبول سنة 1850م في تقرير رفعه لنابليون الثالث ومما جاء فيه قوله :"...بأن الدراسات الإسلامية كانت في وضع مزدهر نسبيا عشية الاحتلال"[4]، ويضيف فالسن Walsin Esterhagg وأو ربان urbain:"إن نسبة الأمية في الجزائر سنة 1830م، كانت أقل منها في فرنسا بالنسبة لتعداد السكان ، أي أنها كانت أعلى في فرنسا"[5].

ويسجل أحمد توفيق المدني هذه الحقيقة، فبعد ما يذكر فضل الزوايا والكتاتيب القرآنية والمساجد المنتشرة في كل المدن والقرى، والدور الذي يقوم به العلماء في أغلب هذه المراكز الثقافية، يذكر أنه " انتشر العلم بين الطبقات الراقية، وقلت الأمية بين الطبقات الوسطى والعاملة..." [6].

1- د . احمد الخطيب – جمعية العلماء المسلمين و دورها الإصلاحي في الجزائر – ص 62 – المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر 1985 م

2- هو الجنرال فالز .

3- د . محمد ناصر – واقع اللغة العربية في الصحافة الإصلاحية – مجلة الأصالة – العدد 18/17 –ص 260 - السنة 4 /- شوال-ذو القعدة/ ذو الحجة-محرم/1393 هـ -- نوفمبر-ديسمبر/ جانفي-فيفري/ 1973م – 1974 م .

4- نفس المرجع – ص260 .

5- مولود قاسم نايت بلقاسم – اللغة و الشخصية في حياة الأمم –مجلة الأصالة – العدد 18/17 – ص 62 .

6- احمد توفيق المدني – كتاب الجزائر – ص 86 دار الكتاب البليدة الجزائر – الطبعة الثانية 1382 ه / 1963 م .

وما كان ذلك ليتحقق لولا العناية بالتعليم من طرف مسؤولي الدولة في ذلك الوقت، و لـــولا الاهتمام الكبير من الجزائريين، بل لولا كفاءة العلماء القائمين على هذه المهمة وتفانيـهم في أداء واجبهم ورسالتهم "فكان يتولى التدريس فيها -المدارس- أساتذة على جانب كبير من التمكـن العلمي في فروع الفلسفة، والآداب، وعلم الكلام، والفقه، والتفسير، والحديث، وأصول الفقـه، والتاريخ والجغرافيا..."[1].

المطلب الثالث : انتشار الثقافة واللغة العربية

فبفضل هذه المراكز الثقافية والعلمية، من مدارس وزوايا ورباطات ومســـاجد وكتـاتيب...، وبفضل الاهتمام بالعلم والعلوم وفتح المجال أمام الممارسين له..فإنه "من الممكن القول أن اللغـة العربية كانت في الجزائر قبل الاحتلال الفرنسي، لغة العلم والأدب والإدارة، فضلا عن كونها لغة العقيدة التي بها تدين، وأنه كانت في الجزائر شبكة واسعة من الزوايا والرباطات التي كانت مهدا للغة العربية، والثقافة العربية الإسلامية، والإرشاد الديني"[2]. والأدلة على ذلك لا حصر لهـــا، حيث "أن جميع الوثائق المتوفرة عن الجزائر قبل عام 1830م تشهد بأن بلادنا قد ازدهرت فيـها الثقافة، وهذه الثقافة المنقولة بالرواية تتألف بالدرجة الأولى، من الشروح للمصنفـــات، ومـن الحواشي على الشروح، ولعلها كانت فقيرة من بحث المؤلفات المبتكرة، ولكنها تظل ثقافة وطنية أصلية...على أن رصيد هذه الثقافة هو أنها كانت تستمد قوتها من التراث القومي،و تســـتخدم اللغة القومية للتعبير عن ذاتها ..."[3] نعم ما توفر من وثائق تحدث عن ثقافة واحدة و لغة واحـدة ،هي الثقافة العربية و اللغة العربية ، و لم تتحدث أبدا عن لغة أخرى أو ثقافة أخرى غير العربيـة ، او تراث ثقافي آخر تنهل منه الجزائر غير التراث العربي الإسلامي وهذا نتيجة كون التعليـم في الجزائر في تلك المرحلة كان يمارس كله باللغة العربية "وإذا علمنا أن التعليم كله كـــان باللغـة العربية عرفنا مدى انتشارها في الجزائر قبل الاحتلال"[4].

يقول موريس بولار Maurice paulard : "لقد كان التعليم في الجزائر قبـــل الاحتـــلال الفرنسي يسير كله باللغة العربية من بدايته إلى نهايته..وكان مزدهرا إلى حد كبير"[5].

---

[1]- د . تركي رابح – الشيخ عبد الحميد بن باديس فلسفته و جهوده في التربية و التعليم 1900/1940 – ص 90 – ط.و.ن.ت. الجزائر .

[2]- شحاتة الخوري – الفصحى للغوية في الجزائر و انتصار اللغة العربية – ص 15 .

[3]- د . احمد طالب الإبراهيمي – تخليص الثقافة الجزائرية من الشوائب الاستعمارية – مجلة الثقافة — العدد 26 – ص 40 – السنة 05 – ربيع الأول / ربيع الثاني 1395 هـ – افريل/ماي 1975 م .

[4]- حمدان بن عثمان خوجة – المرآة – ص 265 – وانظر كذلك احمد بن نعمان – التعريب بين المبدأ و التطبيق ص 148/147 .

[5]- Maurice paulard - l'enseignement en Algérie avant 1830 - p 125 .

فما أشرنا إليه من شهادات يدل على المستوى التعليمي الراقي، وعلى المستوى اللغوي العالي الذي كان عليه الجزائريون في ذلك الوقت فأنشأوا بذلك علوما وثقافة وإنتاجا علميا وأدبيا ساهم "في إفادة اللغة العربية والمحافظة على بقائها"[1]. بل "وكان الوضع بصورة عامة يساعد على تحقيق نهضة علمية وثقافية"[2].

وما كان هذا ليحدث لو وجدنا العثمانيين يقيمون مدارس لأنفسهم وأبنائهم يدرسون فيها باللغة التركية، أو وجدنا الأتراك يفرضون اللغة التركية على الجزائريين ويرغمونهم على تعلمها في مدارسهم..لكن شيء من هذا لم يحدث بل وجدنا أن العثمانيين أعطوا كل عنايتهم واهتمامهم للغة العربية فتعلموها وعلموها لأبنائهم وشجعوا من يعلمها، فانتشرت اللغة ونمت، ودونت بها جميع العلوم والفنون..فقيلت بها الأشعار والمدائح والخطب..وغنت بها القصائد والموشحات والأزجال..وبنيت بها الحضارة الإسلامية خلال حكم العثمانيين في الجزائر، وتكونت بها الشخصية العربية الإسلامية، وشيدت بها القومية والوطنية، وتحقق بها الازدهار والنمو، ولم يفكر واحد من الجزائريين في يوم من الأيام أن يستبدلها بلغة أخرى مهما كانت الظروف، أو يحاربها ويتهجم عليها مهما كانت الدوافع، أو يصفها بالعجز وعدم القدرة على استيعاب العلوم والتقنيات في ذلك الوقت، أو عجزها على بناء حضارة والتفوق على لغات أخرى، شيء من هذا لم يحدث، بل الذي حدث أن أمما أخرى تأثرت بأمتنا، وشعوبا أخرى تأثرت بشعبنا، وشخصيات ليست منا تعلمت لغتنا وأخذت علومنا.

ولما دخل الاستعمار لم يجد لغة أخرى غير العربية يخاطبنا بها، ويتوجه بنداءاته إلينا، ويمضي المعاهدات معنا بها، يقول حمدان خوجة :"..وتدل على ذلك المعاهدات التي أبرمت بين الجزائريين وقادة الاحتلال الفرنسي حيث كتبت كلها باللغة الفرنسية والعربية، وليس باللغة التركية"[3]. فعشية الاحتلال حينما دخلت جيوش الاحتلال إلى الجزائر لم يجدوا غير العربية ليخاطبوا بها الشعب الجزائري ويتصلوا بها معه ليبلغوه أهداف حملتهم الاستعمارية "وكان الفرنسيون عشية اليوم الذي نزلوا فيه البر الجزائري قد وزعوا بواسطة أعوان سريين بيانا[4] باللغة العربية، وضحوا فيه على لسان القائد الفرنسي أهداف الحملة"[5].

---

[1]- د . احمد طالب الإبراهيمي – من تصفية الاستعمار إلى الثورة الثقافية –ص 19 – الشركة الوطنية للنشر و التوزيع – الجزائر 1973 م .

[2]- فحالة الخوري – القضية اللغوية في الجزائر و انتصار اللغة العربية – ص 17 .

[3]- حمدان بن عثمان خوجة – المرآة – ص 265 .

[4]- انظر البيان كاملا في كتاب : أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر – الجزء الثالث – للدكتور أبو القاسم سعد الله – ص 196 إلى ص 199 – دار الغرب الإسلامي – بيروت لبنان – الطبعة الثانية 1990 م .

[5]- د . احمد الخطيب – جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و دورها الإصلاحي في الجزائر – ص 17 .

المطلب الرابع : رجال الثقافة والأدب

لا شك أن ما ذكرناه آنفا من انتشار التعليم في كل القطر الجزائري، وكثرة المراكز الثقافية والعلمية خاصة منها المؤسسات التعليمية من مدارس ومساجد وزوايا...، إضافة إلى مؤسسات الإفتاء والقضاء في كل مدينة أو بلدة، يجرنا إلى الحديث عن الرجال القائمين على تسيير هذه المنشآت والمشرفين على عملية التعليم في المدارس والمساجد، والممارسين للخطابة في المساجد، أو القائمين بمهمة القضاء في المحاكم...

فلا شك أن كثرة هذه المراكز دليل على العدد الكبير من المشرفين عليها من علماء وقضاة، ومفتين، وأدباء..بل الأمر ليس مقتصرا على المشرفين على هذه المؤسسات، وإن ما خرجته المؤسسات من تلاميذ نجباء وبارزين ومتفوقين ممن قادوا العلم فيما يأتي من الأيام وكانوا خلفا لمشايخهم وأساتذتهم..فكان توريث العلم فيما بين أجيال منهم حتى ظهر في كل جيل جمع كثير ممن حملوا لواء العلم والمعرفة وحافظوا على ثقافة البلد، وأثروها بمؤلفاتهم وكتاباتهم، وصانوا لغة الفاتحين الأولين وحافظوا عليها جيلا بعد جيل فقد "نبغ في الجزائر ثلة من العلماء في ذلك العصر نالوا في الأوساط الأهلية والحكومية كل اعتبار، وأفادوا كثيرا"[1]. وهذا على مر القرون التي حكم فيها العثمانيون.

"فإذا عدنا إلى القرن العاشر الهجري –السادس عشر الميلادي- وجدنا الشرق الجزائري قد عرف شخصيات علمية متميزة، من بينها عمر الوزان ويحي الفكون بمدينة قسنطينة، وعبد الرحمان الأخضري من الزيبان، وقد أخرج هؤلاء الرجال مجموعة من التلاميذ البارزين منهم من قاد العلم فيما يأتي من الأيام، ومنهم من جمع بين العلم والتصوف"[2] وكان منهم صانعوا النهضة الأدبية والعلمية والثقافية، "وكما اشتهرت قسنطينة ونواحيها بهذه الحياة العلمية التي مثلها رجال اشتهروا بالوظائف والتدريس والتأليف سواء في القرن العاشر أو الحادي عشر، اشتهرت أيضا بعدد من العلماء والطلبة الراغبين في تحصيل العلم فيها"[3] من مناطق أخرى نائية وبعيدة.

وإذا انتقلنا إلى قرن آخر وإلى مدينة أخرى وجدنا أن " القرن –السابع عشر الميلادي- كان عصر ازدهار اقتصادي في الجزائر على ما يذكر المؤرخون، وقد أصبحت مدينة الجزائر تدعى استنبول الصغرى. وتقصدها علماء المسلمين مشرقا ومغربا طالبين الرزق والحظوة، ومن أشهر

---

[1]– احمد توفيق المدني – كتاب الجزائر – ص 87 .

[2]– د . أبو القاسم سعد الله – شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون داعية السلفية – ص 29 – دار الغرب الإسلامي . بيروت لبنان – الطبعة الأولى 1406 ه / 1986 م .

[3]– المصدر نفسه – ص 34 .

قصادها وقتئذ، علي بن عبد الواحد الأنصاري، وابن زاكور من المغرب، وعائلات بأسرها مثل عائلة ابن علي، وابن العنابي من المشرق، أو مشاهير العلماء مثل الملا علي..."[1] كما اشتهرت عائلات بأكملها بالعلم حيث توارثته جيلا بعد جيل وأبا عن جد، واشتهر في كل زمن شخص أو اكثر من عائلاتهم ،العلم، وعملوا على نشره والمحافظة عليه ليس بين أبنائهم فقط وإنما لعامة الناس من خلال بناء زوايا أو مدارس تحمل أسمائهم "ومن العائلات التي كان لها زوايا باسمها، عائلة الفكون، وعائلة ابن نعمون، وعائلة ابن باديس، وعائلة ابن آفوناس..." [2] وعائلات أخرى ممن اشتهرت في خدمة العلوم والمعارف..

ولقد برز كثير من العلماء النبغاء في العهد العثماني في القطر الجزائري، لا يمكن حصرهم، وإن المصادر تتحدث عن المئات لا العشرات الذين نبغوا في كل العلوم والفنون، فمنهم الأديب والشاعر، ومنهم النحوي واللغوي، ومنهم المتكلم والمنطقي، ومنهم الأصولي والفقيه، ومنهم القضاة والمفتون، ومنهم المحدثون والحفاظ، والمفسرون والمقرئون، ومنهم المؤرخون والرحالة، ومنهم العالمون بالحساب والرياضيات والفرائض، والخطباء والباحثون والمدرسون، ومنهم علماء الأنساب و الخطاطون والصوفيون...

وعلى كثرة الذين برزوا في مختلف العلوم والفنون التي كانت معروفة في ذلك الوقت لا يمكن التعريف أو الإشارة إليهم جميعا لأن ذلك ليس مجاله هذه الدراسة ولأنه لا يمكن حصرهم جميعا على كثرتهم وانما يمكننا أن نشير إلى أهم المصادر التي تحدثت عنهم وترجمت لحياتهم وأشارت إلى كتبهم ومؤلفاتهم ومختلف العلوم والفنون التي برزوا فيها[3]

المطلب الخامس : النتاج الثقافي والأدبي

إن العدد الكبير من العلماء والأدباء والشعراء الذين برزوا في هذه الفترة من التاريخ والذين أتينا على ذكر بعضهم، وأحلنا على بعض المصادر للإطلاع أكثر و الاستزادة في التعرف على غيرهم، إن هذه الكثرة من العلماء..لاشك قد تركت نتاجا علميا وأدبيا، ومؤلفات وكتابات عديدة في مختلف العلوم والفنون، خدمة للثقافة والعلم، وتدوينا لأبرز تلك العلوم والثقافات في ذلك الوقت فقد "كانت حركة التأليف حية ونشيطة، ولا نكاد نجد عالما إلا وله قائمة قصيرة أو

---

[1]- ابن علي – أشعار جزائرية – ص 15 .

[2]- د . أبو القاسم سعد الله – شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون داعية السلفية – ص 36 .

[3]- أهم هذه المصادر : تعريف الخلف برحال السلف – الرحلة الورتلانية – فهرس الفهارس – الضوء اللامع – فهرس دار الكتب المصرية – التاج المشرق – إيضاح المكنون – شجرة النور – التحفة المرضية – دليل مؤرخ المغرب – دوحة الناشر – نيل الابتهاج – البستان – الإعلام

وغيرها من المصادر و المراجع الكثيرة جدا

طويلة من المؤلفات في مختلف العلوم المتداولة، وقد تمثل ذلك في الشروح والحواشي والتقـــاييد والتعاليق والرسائل والفهارس. وفي التآليف ذات الأجزاء أيضا. ومن أشهر المؤلفـــين في هـــذه الفترة، عبد الرحمان الأخضري، وأحمد المقري، وعبد الكريم الفكون، وابن مريم، وأحمد البسوني، وأبو راس، وابن حماد وش، والزجاوي ، وقدورة"[1] هذه المؤلفات العديدة والمتنوعـــة يؤكدهـــا الدكتور سعد الله وهو يجمع المادة العلمية لكتابه القيم تاريخ الجزائر الثقافي بقوله :"..فقد وجدنا في العهد العثماني تراثا أدبيا وفنيا وعلميا في مستوى طيب، استحق منا العناية والدرس في هـــذا الكتاب..."[2]. وهذا دليل كافي للرد على الدكتور ابن عبد الكريم في تقييمه ودراســـته لفـــترة الحكم العثماني في الجزائر بقوله : "إن النتاج الثقافي في القطر الجزائري ضئيلا.."[3] كما أننـــا لا نوافقه أيضا، حين يتحدث عن ندرة الأدب في ذلك العصر الذي يصفه بالمنحط، كما أننا أيضـــا لا نوافق الدكتور الركيبي[4] الذي يصف ذلك العصر، بالذي عمّ فيه الجهل وطفت روح الجمـــود في الفكر والأدب مع انتشار الخرافات والأوهام مع كثرة الصفة اللفظية والتقليد الأعمى، بل شبه الضعف الذي انتاب الثقافة والأدب في عهد العثمانيين إلى حد كبير بالضعف الذي انتابها أثنـــاء الاحتلال.

ويكفي للرد عليهما معا، إن ابن عبد الكريم الذي يصف هذا العصر بالانحطاط ونـــدرة الأدب يذكر كل هذا وهو الذي ينقل في موضع آخر من الكتاب[5] الذي حققه قول أبي عبد الله محمـــد بن قاسم بن زاكور الفاسي في كتابه " نشر أزاهر البستاني فيمن أجازني بالجزائر وتطوان"[6] وهـــو يصف علماء الجزائر الذين أجازوه وأخذ عنهم العلم بقوله : غرر أعلام..أحبـــار كالأقمـــار، فاهتديت بأنوارهم السنية إلى قطف ما راق من أنوارهم السنية، ورتعت في آدابهـــم فتمتعـــت، ونهلت من علومهم حتى تضلعت، وكرعت في أنهار بلاغتهم حتى رويت، وهصرت من أفنـــان براعتهم ما هويت..."[7] فهذا وصف دقيق لما كان عليه العلماء من التمكن والقدرة والإبداع في

1-د.أبو القاسم سعد الله – تاريخ الجزائر الثقافي –الجزء الأول- ص295 بتصرف قليل.

2- نفسه المرجع – ص 191.

3--محمد بن ميمون – التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية – تحقيق وتقديم الدكتور محمد بن عبد الكريم – ص61.

4-- في كتابه الشعر الديني الجزائري الحديث ص11 وص489 – الشركة الوطنية للنشر – الجزائر –الطبعة الأولى 1401هـ 1981م.

5- كتاب التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية لأبن ميمون.

6- طبع هذا الكتاب بمطبعة فونتانا سنة 1902م.

7- محمد بن ميمون – مصدر سابق –ص 53/52

كثير من العلوم والفنون، كما أنه ينقل في موضع آخر كلاما آخر –يؤكد عين الذي ذهب إليه هو– وهو كلام عبد الرحمان الجامعي في رحلته المسماة :"التاج المشرق ليواقيت المغرب والمشرق":"وأما مدينة الجزائر فأول بلد لقيت بها ما فارقت من أدباء بلدي، وبها تذكرت بعض ما كان نسيه خلدي، لاجتماعي بها بالأديب الماهر، الدال وجوده على صحة القول..أديب العلماء، وعالم الأدباء، محي طريقة لسان الدين بن الخطيب..ابن عبد الله محمد بن محمد المعروف بابن علي..فرأيت صورة تدل على حقيقة الأدب ومعناه"[1] وقول الجامعي أيضا في موضوع ثالث عن مدينة الجزائر:"...وهذه المدينة لا تخلو من قراء نجباء، وعلماء أدباء وأعلام خطباء، مساجدهم بالتدريس معمورة، ومكاتب أطفالهم بالقراءة مشحونة ومشهورة"[2] وهذه النقول لا شك أنها لا تتحدث عن ندرة الأدب ولا على انحطاطه بل تدل على ازدهاره وانتشاره وتمكن علماء ذلك الوقت منه مع وجود الاهتمام والعناية به.

أما قول الدكتور ركيبي بأن الثقافة في العهد العثماني تشبه في ضعفها ما كان في العهد الاستعماري!؟ فإننا نتعجب من رجل في مكانة الدكتور ركيبي، يعقد هذه المقارنة ويتبنى هذا التشبيه!؟ فكيف لعصر فيه الحرية في جميع مجالاتها، مع كثرة المدارس والمساجد والمؤسسات التعليمية المختلفة، ووجود كثرة من العلماء والأدباء، مع إقبال الأبناء على العلم وبتشجيع من الجميع، أن يقارن بعصر يختلف عنه كل اختلاف، فاللغة فيه تحارب وتستبدل بلغة أخرى، والحريات معدومة، والمساجد والمدارس مهدومة، والعلماء ينفون أو يقتلون أو يسجنون، والأبناء يمنعون من تلقي العلوم ويلقى بهم بين مخالب الجهل والأمية، والمؤلفات والكتب تسرق أو تحرق؟؟ فكيف لعصر فيه كل هذه الكوارث في حق العلم والثقافة؟ أن يقارن بعصر أفضل منه وأحسن وفي كل شيء.

وإذا رجعنا إلى مجال الأدب..فإننا لا ننكر أن هناك تقليدا، أو جمودا، أو أن هناك صنعة لفظية وانتشارا للأوهام والخرافات، فهذا أمر لا يمكن نكرانه، غير أنه ليس هو الغالب الأعم، وليس كل العلماء أو الأدباء أو الشعراء.. يمتاز إنتاجهم بهذه المميزات والخصائص، بل رأينا في كثير من الأحيان لكثير من الأدباء إنتاجا راقيا أصحابه ذووا ذوق سليم "فقد انتج الجزائريون خلال هذا

---

[1]- محمد بن ميمون – التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية – تحقيق وتقديم الدكتور محمد ابن عبد الكريم –ص54 – 55 بتصرف قليل.

[2]- المصدر السابق – ص 54/55.

العهد أدبا راقيا نسبيا، شعرا ونثرا تناولوا فيه شتى الأغراض المتداولة عندئذ"[1]. وردا على هذا التهم التي تمس العهد العثماني والتي في الحقيقة هي تهم تمس الثقافة العربية الإسلامية والتراث العربي الإسلامي في الجزائر، اهتم الدكتور سعد الله بكتاب أشعار جزائرية لابن علي فحققه وقدم له وعلق عليه وأخرجه للوجود فيقول عن ذلك :"...كل ذلك حملني على الرجوع إلى هذه الأشعار ودراستها وتقديمها للقراء كشواهد جديدة على رقي الأدب العربي في الجزائر العثمانية، وكأداة للباحثين والدارسين ليستفيدوا منها في أعمالهم المستقبلية بدل بقائها مطمورة في دهاليز المكتبات"[2].

ويصف الدكتور سعد الله الشعر الذي في هذا الكتاب وهو شعر ابن علي، وابن عمار، وابن ميمون، ومحمد القوجلي، ومحمد بن راس العين، وأحمد المانجلاتي فيقول :"قال ابن علي وابن عمار وابن ميمون شعرهم، وكان شعرا في جملته يعبر عن متانة ثقافة هؤلاء الشعراء وتمكنهم من البيان العربي والذوق الفني، والثقافة الإسلامية الأدبية التي تمتد جذورها عبر إنتاج شعراء الأندلس، وبغداد، ودمشق، والحجاز، ومصر"[3]

والدكتور ابن عبد الكريم لما حقق كتاب التحفة المرضية بين قيمته الأدبية حيث اعتبره مصدرا هاما من مصادر الأدب الجزائري في عهد العثمانيين، ثم بين العبارة الواضحة والأسلوب الجذاب لهذا الكتاب بقوله :"يمتاز أسلوبه بمتانة اللفظ وقوة التعبير.. ويمتاز بترتيب الأفكار..وتسلسل قصة الحوادث والوقائع..فلا استطراد..يهوش القراء، ولا تكرار يمل منه الأذهان، والمؤلف يتوح أحيانا أسلوبه المعسول بالاقتباس من آي الذكر الحكيم والحديث، ويطعمه بأبيات شعرية تناسب الموضوع، ويقبلها الذوق السليم"[4]

والأدب في ذلك العصر شعرا أو نثرا لم يتقوقع على نفسه في غرض واحد أو غرضين بل تناول أغراضا عديدة وبصور مختلفة " وقد وجدنا بعد دراسة مستفيضة أن الشعر كان نسبيا مزدهرا، وأن أغراضه قد تعددت حسب براعته، وهي الدين والسياسة والاجتماعيات والذات"[5] ومن

---

[1]- د.أبو القاسم سعد الله – تاريخ الجزائر الثقافي – الجزء الأول –ص191.

[2]- ابن علي – أشعار جزائرية – تقديم وتحقيق وتعليق الدكتور أبو القاسم سعد الله –ص09.

[3]- نفس المصدر ص16.

[4]- محمد بن ميمون – التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية – تحقيق وتقديم الدكتور: محمد بن ميمون – ص85/84.

[5]- د.أبو القاسم سعد الله – تاريخ الجزائر الثقافي – الجزء الثاني – ص247.

خلال ما ذكرنا يمكننا القول عن الجزائر في عهد العثمانيين: "أنها في مجتمع راق يزدهر فيه الفن والأدب، ويجتمع فيه قيم حضارية موحدة عرفت نماذجها دمشق وبغداد والقاهرة وقرطبة"[1]

المطلب السادس : المكتبات الخاصة والعامة

وكدليل على انتشار الثقافة العربية وازدهارها في العهد العثماني وكثرة القارئين والمتعلمين لها، وازدهار تجارة الورق والكتب وكثرة المؤلفات، وجود مكتبات خاصة وعامة، عامرة بأعداد هائلة وضخمة من الكتب والمحفوظات، والمؤلفات، والوثائق التاريخية القيمة..في مختلف العلوم والفنون. والتي كان يرتادها الطلبة والأساتذة على حد سواء، من جميع نواحي الوطن، ومن خارج الوطن، للمطالعة والبحث والدراسة، لاسيما المكتبات العامة التي كانت موجودة بكثرة وفي كل مكان، حيث كان أغلبها وقفا على المساجد والزوايا والمدارس..وهذا يجرنا إلى القول بأنه :" إذا حكمنا على النشاط الثقافي لأي بلد من كثرة الكتب والمكتبات التي فيه، فإن الجزائر خلال العهد العثماني كانت في طليعة البلدان الكثيرة الكتب، والمكتبات، وقد شهد على وفرة المكتبات فيها حتى خصوم العثمانيين، كالفرنسيين الذين حكموا بأن العثمانيين لم يقدموا أي عمل لتنشيط الحياة الروحية والفكرية في الجزائر. وكانت الكتب في الجزائر تنتج محليا عن طريق التأليف والنسخ، أو تجلب من الخارج ولا سيما من الأندلس ومصر واستنبول والحجاز.."[2]

وهذا حق لا يماري فيه أحد ولا يشكك فيه أي باحث:"وتشهد عبارات الباحثين الفرنسيين الذين شاهدوا وجمعوا المخطوطات من مكتبات المدن الجزائرية غداة الاحتلال، إنهم كانوا مندهشين من كثرة الكتب التي وجدوها، ومن تنوعها وجمالها والعناية بها"[3] ففي مدينة واحدة كقسنطينة يوجد بها العدد الضخم من الكتب والعدد الكبير من المكتبات فما بالك لو عددنا مكتبات المدن الجزائرية الأخرى وكتبها، كالجزائر، وعنابة، ووهران، وبجاية، وتلمسان..يقول المؤرخ الفرنسي بول قافارال -Paul Gaffarel- :"وقد وجدت فرنسا عند دخولها لمدينة قسنطينة سبع عشرة (17) مكتبة خاصة تحتوي على أربعة عشر ألف (14000) من المجلدات"[4].

وأمام هذا الكم الهائل من الكتب والمخطوطات لم يجد الاستعمار لما دخل إلى الجزائر إلا أن يستولي عليها :"ويعهد إلى المستشرقين في فحصها ودراستها، وفهرستها وإدخالها في ملكية

---

[1]-ابن علي – أشعار جزائرية – ص 20.

[2]- د. أبو القاسم سعد الله – تاريخ الجزائر الثقافي –الجزء الأول- ص286.

[3]- نفس المرجع ص287

[4]-- Paul Graffarel – L'algerie page 123

المكتبة الفرنسية"[1]. وقد ذكر موريس فاغنر Maurice Wagner الرحالة الألماني في كتابه "رحلات في ولايات الجزائر" وقد شارك في الحملة على مدينة قسنطينة "أن جنود فرنسا قد أتلفوا عددا كبيرا من المخطوطات النفيسة التي عثروا عليها في دار ابن عيسى بقسنطينة"[2] ودون شك أن هذا الإتلاف والحرق والنهب للمخطوطات من طرف المستعمر كان مقصودا لتحقيق عدة أهداف تصب كلها في تسهيل عملية الاحتلال والإستلاء على الجزائر روحيا وثقافيا ولغويا، فقد كان يهدف إلى قطع صلة الجزائريين بتراثهم العربي الإسلامي، وبقيمهم الحضارية التي يستمدونها من هذا التراث، كما كان يهدف إلى ضرب اللسان العربي واللغة العربية لقطع الصلة مع هذه اللغة من خلال قطع الصلة بالتراث وبالأدب شعرا ونثرا، ثم محاولة منه للتدليل على أنه لم يكن للجزائر إنتاجا علميا وأدبيا وثقافيا يبرز الجهود التي بذلها العثمانيون والجزائريون في ذلك الوقت لإحداث نهضة ثقافية وأدبية والحفاظ على اللغة العربية..ولقد نجح الاستعمار في هذا من خلال ما يردده البعض اليوم من شبهات واتهامات لهذا العصر، الذي نعتبره نحن عصرا انتعشت فيه الثقافة والعلوم، وازدهر فيه الأدب والشعر، وحافظت العربية على وجودها وتموقعها وانتشارها في جميع القطر، فكانت هي اللغة الرسمية لجميع الجزائريين رغم وجود بعض اللهجات المحلية.

وهكذا يمكن القول من خلال ما تقدم من كلام أن العربية ازدهرت ازدهارا لا بأس به، وحافظت على كيانها طيلة قرون عديدة، منذ الفتح الإسلامي إلى اليوم الذي دخل فيه الاستعمار الظالم، وأن العثمانيين رغم كونهم لم يكونوا من العرب وأنهم يتكلمون لغة غير العربية، إلا أنهم شجعوا اللسان العربي، بل ومنهم من تعلم اللغة العربية و أتقنها واستعملها في حديثه وفي كتاباته وتآليفه وفي مراسلاته، وعلموا أبناءهم اللغة العربية في المدارس العربية ولم ينشئوا مدارس خاصة بهم، ثم عملوا على نشر هذه اللغة ونشر مختلف العلوم والفنون التي تكتب بها من خلال إنشاء المراكز الثقافية العديدة من مدارس و مساجد و زوايا، وكتاتيب، ورباطات ومكتبات خاصة وعامة، ونوادي ثقافية...وتشجيعهم للعلماء وتسهيل تنقلاتهم، واستقرارهم في أي مكان من أرض الجزائر، وازدهار العلم في ظل الحريات التي كانت موجودة، مع ظهور أجيال من العلماء الذين لا يمكن حصرهم وفي كل التخصصات والمجالات خلفوا لنا تراثا ضخما من المؤلفات

---

[1]- د.عائشة عبد الرحمان "بنت الشاطئ" لغتنا والحياة –ص177– دار المعارف القاهرة جمهورية مصر العربية –الطبعة الثانية دون تاريخ–.

[2]- د.أبو العيد دودو –الحركة الثقافية في الجزائر المعاصرة– مجلة الثقافة – العدد 9/8 – ص 48/47 – السنة02 – ربيع الأول /جمادى الأولى 1392هـ/ ماي جويلية 1972م.

والكتب والمخطوطات، الذي مازال بعض منه إلى اليوم شاهدا على عظمة أجدادنا ومقدار الجهد الذي بذلوه لإخراج هذا التراث المتعدد والمتنوع وبأي لغة؟ باللغة العربية، التي كانت هي اللغة الوحيدة المستعملة، في جوانب من الإدارة، وفي التأليف، وفي الحديث والتخاطب بين الناس، في العلوم جميعها...

أبعد كل هذا يأتي اليوم من يشكك في ثقافة هذا الشعب؟ أو يشكك في تراثه وتاريخه؟ أو يشكك في لسان هذه الأمة ولغتها؟ في هوية هذا الشعب وحضارته ذات البعد العربي الإسلامي؟ أو يشكك في العهد العثماني ويكيل له التهم و الانتقادات؟ أو يصفه بالانحطاط التام والركود القاتل؟ أو يقارنه بعهد الاستعمار والاحتلال..؟

لا شك أن ما رأيناه على قلة أدلته، - مع وجودها بكثرة -يكفي للتدليل على غير ما ذكره خصوم الجزائر وخصوم العثمانيين، وللرد على المستشرقين والمستعمرين وأذنابهما، أو على ما ذكره خطأ بعض أبناء جلدتنا.

نرجو أننا وفقنا في إماطة اللثام عن جزء من الحقيقة التي تخص العهد العثماني في الجزائر، وعلى تمكن الجزائريين من لغتهم العربية التي لم يصدهم عنها أحد قبل الاستعمار.

ويبقى دور المؤرخين والباحثين المختصين في إبراز كل الجوانب الخفية أو المخفية عن عمد في هذه المرحلة من تاريخنا المجيد.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الثاني

اللغة العربية في العهد الاستعماري إلى غاية سنة 1930م

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المطلب الأول : وضع اللغة في العهد الاستعماري

الحديث عن اللغة العربية في الفترة الاستعمارية هو حديث عن صراع طويل دام أكثر من قرن وربع القرن، وما يزال مستمرا إلى اليوم، هو حديث عن جريمة لا مثيل لها عبر التاريخ البشري، لأنها جريمة استهدفت هوية شعب وتاريخه وفكره وتراثه..بل جريمة استهدفت عقل أمة بأكملها يراد أن ينزع منها، وهذا الصراع كان مع نوع شاذ من الاستعمار لم يكن له مثيل في التاريخ، وقد سجل الشيخ محمد الغزالي –رحمه الله– هذا في حديث له مع الشيخ البشير الابراهيمي وهو يعرفه بهذا الاستعمار ويصفه له، يقول الشيخ محمد الغزالي :"قال لي الشيخ البشير : إنكم بليتم بالاستعمار مثل ما بلينا، وشعرتم بضراوته مثل ما شعرنا، لكنكم لا تعرفون أن ما أصابنا نوع شاذ من الاستعمار يشبه السرطان من بين أنواع العلل المهلكة، إنه كان يريد محو شخصيتنا وعقيدتنا ولغتنا وتاريخنا وحاضرنا ومستقبلنا"[1]

وإذا كان كثير من الدارسين والمهتمين بالساحة العالمية الفكرية والسياسية..يشيرون إلى أن الصراع القادم خلال الألفية الثالثة في الساحة العالمية المعاصرة، إنما هو صراع حضاري مناطه القيم الثقافية والرمزية للأمة، وأن العولمة باتت تطال الهويات الوطنية والقومية في مقوماتها الأساسية : اللغة والدين والسمات التاريخية وبخاصة وسيلة التواصل أي اللغة.

فإننا نؤكد أنه ليست فقط الألفية القادمة هي التي ستشهد هذا الصراع الحضاري في ظل القيم الثقافية وكل ما يرمز للأمة، إنما هو صراع قديم منذ الحروب الصليبية أو قبل ذلك. ومهما اختلفت التسميات اليوم من عولمة أو نظام عالمي جديد، أو غيرها من التسميات إنما هو صراع قديم يتجدد اليوم بتسميات أخرى وبوسائل مختلفة والهدف واحد والغاية واحدة..خاصة ما تعلق منه باللغة، إذ أن اللغة هي الحضارة، فبها يكون التفكير، ومن خلالها يكون التواصل عبر الأجيال وبين أفراد المجتمع، وعبرها يكون التفاعل بين العقول والأفكار، فمن هنا لا تعد أن تكون اللغة هي الحضارة، لأنها هي التي تنشئها وتتمثلها وتعبر عنها وتحمل رصيدها.

وقد عرفت بلادنا هذا النوع من الصراع الحضاري الذي شمل اللغة والدين والسمات التاريخية، وأنماط العيش والسلوك، إذ أن دخول الاستعمار الفرنسي إلى الجزائر كان يحمل في طياته صورة هذا الصراع من خلال الأهداف التي أعلن أو لم يعلن عنها من أول يوم وطئت فيه أقدامه هذه الأرض الطاهرة بل ربما قبل ذلك، حيث أبان الأسباب والدوافع التي جعلته يغتصب هذه الأرض، وعد ذلك من صميم واجباته المقدسة، لكونها حربا حضارية؛ بين حضارتين مختلفتين،

---

[1]- الشيخ محمد الغزالي – مع البشير الإبراهيمي في القاهرة – مجلة الثقافة – العدد 87 – ص98 - السنة15 - شعبان / رمضان –1405هـ - مايو / يونيو–1985م.

حربا بين الصليب والهلال، حربا بين الإسلام والمسيحية، حربا بين الإنجيل والقرآن، حربا بين تاريخ وتاريخ، حربا بين لغة ولغة، حربا بين شخصية وشخصية. وقد كان التركيز في هذه الحرب على اللغة لأنها مفتاح كل العناصر الأخرى، فإذا هوت اللغة هوت وراءها جميع العناصر الأخرى المكونة لأسس المجتمع.

إذن هو صراع حضاري كشف عنه المستعمرون من أول يوم وطئت فيه أقدامهم هذه الأرض فقد قال الكاردينال لافيجري رائد الحملة الصليبية في ظل الغزوة الفرنسية:"علينا أن نخلص هذا الشعب ونحرره من قرآنه، وعلينا أن نعتني على الأقل بالأطفال لتنشئتهم على مبادئ غير التي شب عليها أجدادهم، فإن واجب فرنسا تعليمهم الإنجيل، أو طردهم إلى أقاصي الصحراء بعيدين عن العالم المتحضر"[1] فلكونها حملة صليبية وصراعا حضاريا نجد أن "الدين الإسلامي أول ما امتدت إليه اليد الاستعمارية بالأذى والعدوان والتشويه، فالحملة الفرنسية كانت منذ بدايتها حملة صليبية في دوافعها وغاياتها فلا غرابة أن تتخذ من المبشرين المتعصبين دعاة، وتقتحم بصلبانهم المساجد ودور العبادة فتحولها إلى كنائس وبيع – فإضافة إلى قول لافيجري السابق – قال سكرتير الجنرال بيجو، آخر أيام الإسلام قد دنت وفي خلال عشرين عاما لن يكون للجزائر إله غير المسيح، أما العرب فلن يكونوا ملكا لفرنسا إلا إذا أصبحوا مسيحيين جميعا"[2] وبما أنها حربا صليبية وحضارية، فقد حددت دوافعها وغاياتها وأهدافها، ورسمت مراحلها بدقة، واتخذت لها الوسائل اللازمة، وكانت بدايتها الحقيقية هي ضرب اللغة العربية، وهذا بوعي وإدراك كاملين من المستعمر، إذ أن ذل الشعوب من ذل لغاتهم كما يقول الرافعي، من هنا فإنه "إذا كان الاستعمار في الجزائر قد استهدف اللغة العربية قبل غيرها من مقومات الشخصية الوطنية فذلك عن وعي منه، بأن اللغة هي وعاء الدين، وهي وعاء الثقافة، وهي التي توحد أفراد الشعب في

---

[1]– د. صالح خرفي –في رحاب المغرب العربي– ص10 – دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان – الطبعة الأولى 1985م – انظر كذلك مجلة العربي العدد322 المجلد 2 لسنة 1985م.

وبعد مرور مائة سنة أو تزيد على هذا القول المسعور للافيجري، مائة سنة من الحديد والنار لوضع هذه المقولة وضع التنفيذ القهري على رقاب الناس وعقولهم جاء رئيس جمعية العلماء – كما سنرى في الفصول الآتية – التي رفعت الإسلام والعروبة دستورا لها..الإمام عبد الحميد بن باديس ليقول سنة 1936:" إن هذه الأمة الجزائرية ليست هي فرنسا، ولا يمكن أن تكون فرنسا، ولا تستطيع أن تكون فرنسا ولو أرادت، بل هي أمة بعيدة عن فرنسا كل البعد، في لغتها، وفي أخلاقها، وفي عنصرها، وفي دينها، لا تريد أن تندمج، ولها وطن محدود معين هو الوطن الجزائري".

[2]– حسن عبد الرحمان سلوادي – عبد الحميد بن باديس مفسرا – ص28/30 – المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر 1984م.

أنماط تفكيرهم، وأساليب تعبيرهم ووحدة آمالهم"[1] كما أنها كذلك هي "صلة الجزائريين بأجدادهم وأمجادهم وبالعالم الإسلامي كله"[2].

ففي دراسة وضعها كور -A.Cour- في المجلة الإفريقية في عددها الصادر سنة 1924 تحت عنوان (Notes sur les chaires de la langue arabe) نقاط على منابر اللغة العربية، يقول فيجو في هذه الرسالة أو الدراسة ص230: "إن أيالة الجزائر لن تكون حقيقة من الممتلكات الفرنسية إلا بعد ما تصبح لغتنا قومية فيها، وحتى تتأقلم فيها الفنون والعلوم التي يقوم عليها مجد بلادنا، إن السماء التي تغطي الأرض الإفريقية هي سماء الشعر والآداب، وذكاء العرب لا يمكن أن يكون موضع شك، وهذه حقيقة سوف يشهد بها التاريخ إذا اقتضى الأمر.

والمعجزة التي ينبغي تحقيقها هي إحلال اللغة الفرنسية محل اللغة العربية تدريجيا، ومتى كانت اللغة الفرنسية لغة السلطة والإدارة، فإنها سوف لا تلبث أن تنتشر بين الأهالي، ولاسيما إذا وجدت مدارسنا إقبالا من الجيل الجديد، وأنا لا يساورني شك في أنه بعد مضي وقت قصير سوف يجتمع في فصل واحد وحول أستاذ واحد وفي نفس الساعات أبناء الفرنسيين والأسبان والعرب واليهود"[3]. فهذا الجزء من الدراسة يبين بوضوح تام طرفا مهما من مخطط رهيب ومكتمل وضعه دهاقنة الاحتلال للقضاء على اللغة العربية، وإحلال اللغة الفرنسية مكانها، لهذا بذل الاستعمار جهده "طوال132 سنة على إضعافها –أي العربية– ومحوها من مظاهر الحياة لأن أساتذة الاستعمار الفرنسي المخططين له يدركون جيدا خطورة الدور الذي تلعبهاللغة في المحافظة على الشخصية القومية، أو اكتساب شخصية أخرى، ورأوا أنه لكي يتم ضم الجزائر إلى فرنسا فعلا لابد من تجريد الجزائريين من مقومات شخصيتهم بالقضاء على لغتهم من مظاهر الحياة ونشر اللغة الفرنسية بينهم"[4] فهو مسخ وفسخ ونسخ للشخصية، وبتر للماضي والتراث والتاريخ لتجريد الشعب من انيته وذاتيته كما يقول المرحوم مولود قاسم نايت بلقاسم،[5] –رحمه الله–...

فكانت الحملات الضارية، والضربات القاتلة على اللغة، وعلى كل ماله علاقة باللغة فحوربت بكل وسيلة، وعدت أجنبية ودخيلة بين أهلها وفي دارها، واحتقر كل من يتكلمها، وأهين كل من يتعلمها، أو يعلمها من المشايخ والعلماء، ورفضت شهاداتهم في مجال العمل والتوظيف، كل

---

[1]- محمد مهداوي- البشير الإبراهيمي نضاله وأدبه –ص87/88- دار الفكر دمشق سورية الطبعة- الأولى 1408ه-1988م.

[2]- محمد علي دبوز – نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة –الجزء الأول- ص25.

[3]- إسماعيل العربي – الدراسات العربية في الجزائر في عهد الاحتلال الفرنسي – ص11/10 – المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر 1986م.

[4]- د..عثمان سعدي – قضية التعريب في الجزائر –ص18-

[5]- مولود قاسم نايت بلقاسم أصالة أم انفصالية –الجزء الثاني- ص 379 – المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر –الطبعة الاولى- 1411ه/1991م

كل هذا من أجل "إظهارها في صورة بدائية لا تصلح أن تكون لغة علم وحضارة"[1] و"أنها لغة قاصـــرة جامدة لا تؤهل أهلها للتقدم والرفعة"[2] فهدمت المراكز الثقافية التي تحتظنها وتعلمها وتنشـــرها بين الناس من مساجد وكتاتيب وزوايا ومدارس..والعمل على تشجيع النهجات المحـــلية وإحيائهـــا والتمكين للعاميات، لتضرب بذلك العربية، إلى جانب نشر اللغة الأجنبية الفرنسية. يقول الأستاذ صالح عوض :"لقد عمل الإستعمار الفرنسي في الجزائر على تفكيك الأبـــنية الثقافية في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين...لقد دمرت المدائن أساسا وأفـــرغت من محتواها، وقد قاد قمع الإنتفاضات الريفية إلى إلغاء معظم الكوادر الإجتماعية والـــثقافية...وساهمت الأمية في كل مكان...وترعرعت براعم من الثقافة الفرنسية..وأصبح واضـــحا أن فـــلكا جديدا يأخذ مكان الفلك الثقافي الذاتي.. شيئا فشيئا..انطلاقا من الوضع الإســـتعماري الـــراهن ومـــن أشـــكال المقاومة"[3] نعم هي حرب ضد اللغة العربية..أرادها فرنســـا..لـــتزيح ثقافة هذا الشعب..وتراثه وتاريخه، وتهيء الجو المناسب، لنمو براعم ثقافتها ولتشكل فلكا ثقافيا جديدا حتى "تمسخ شخصيتنا القومية وتبتر من ماضينا وتراثنا وتاريخنا، ثم يظل محكوما علينا أن نكون تحت الوصاية الفكرية والوجدانية للمستعمر حتى بعد أن يجلو عن أرضنا"[4] فكان من نتائج ذلك أنه : "على الزمن الطويل بدا أن الجزائر فقدت لسانها وأضاعت شخصـــيتها، وخسرت معركتها في المجال اللغوي"[5] فكانت بحق جريمة ليس مثلها من الجرائم لأنهـــا اســـتهدفت مصدر الحضارة والهوية والشخصية التي هي اللغة، ثم أنها مست أمة ممتدة الجـــذور في التاريخ البشري وفي الحضارة الإنسانية أكثر من الدولة المستعمرة كما عبرت عن ذلـــك الدكتورة بنت الشاطيء :" وكانت جريمة العصر الكبرى، محاولة الإستعمار أن يسرق لسان أمة أعرق منه في الوجود، وأغنى في الميراث العلمي"[6].

فلننظر في فصول قصة الغزو الثقافي واللغوي في الجزائر من خلال الأهداف التي رسمها وأباها المستعمر، ومن خلال الوسائل المتعددة والمختلفة التي استعملها في هذا الغزو وفي هذه المعركة الـــلغوية، ثم بعد ذلك ننظر في نتائج هذا الصراع وما ترتب عنه من انعكاسات خطيرة على جميع الأصعدة وفي كل المستويات.

---

[1]- د.التلي بن الشيخ – دور الشعر الشعبي الجزائري في الثورة –1830 – 1945م ص15.

[2]- محمد علي دبوز – نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة –الجزء الأول – ص25.

[3]- صالح عوض – معركة الإسلام والصليبية 1830 – 1962 الجزء الأول – ص211 مطبعة حلب الجزائر 1962.

[4]- عائشة عبد الرحمان "بنت الشاطيء" لغتنا والحياة – ص163.

[5]- نفس المرجع – ص164 163

[6]- نفس المرجع – ص 163/164

المطلب الثاني : الأهداف الثقافية للاستعمار

كما سبق وأن أشرنا، فإن موضع اهتمامنا في هذا المبحث ينصب على الجانب الثقافي واللغوي في الجزائر، إذ أن الجوانب الأخرى ؛ اقتصادية، واجتماعية، وتاريخية، وسياسية، ليست محل دراستنا واهتمامنا، ولا نشير إليها إلا بقدر ما تتطلبه الضرورة التي تخدم الموضوع وتبين جوانبه وتوضحها، لإعطاء صورة أكثر اكتمالا..إذن فالأهداف التي سنشير إليها هي ما مس جانب الثقافة واللغة التي أراد أن يحققها المستعمر الفرنسي من خلال غزواته للبلاد العربية وفي مقدمتها الجزائر. ويمكن حصر هذه الأهداف فيما يلي :

أولا : تحقيق الفرنسة :

تحقيق فرنسة المجتمع الجزائري كان هدفا ووسيلة في نفس الوقت، فهو وسيلة لضرب اللغة العربية وإضعافها والقضاء عليها، وهو هدف هام لتحقيق الاحتواء الحضاري وغسل العقول والأفكار، وتبديد الفضاء الثقافي والمرجعية الثقافية للأمة الجزائرية، يقول الدكتور عبد الله ركيبي :"على أن انتشار الفرنسية بدا بصورة منظمة ومدروسة ومسيسة بعد احتلال الفرنسيين لبلادنا، ليس من أجل تثقيف الشعب الجزائري، ولكن بقصد ترسيخ احتلالهم، فاللغة تساعد على بث أفكارهم مثلما تساعدهم القوة العسكرية في توطيد حكمهم، وكلاهما يخدم الهدف الذي جاءوا من أجله وهو السيطرة المادية والروحية على الشعب الجزائري، فاللغة هنا لا تقوم بوظيفة تعليمية ثقافية روحية ونفسية، ولكن تقوم بغسل العقل وجعله مستعدا لتقبل الهيمنة الأجنبية والاحتواء الحضاري"[1].

وللقارئ أن يقول بأن المستعمر لما دخل إلى الجزائر كان اتصاله بالسكان الجزائريين أول مرة باللغة العربية واستمر في ذلك، ولم يكن اتصاله باللغة الفرنسية، ولنا أن نشير إلى أنه لما اجتاحت جيوش الاستعمار هذا الوطن ليس فيه من يتكلم لغة غير العربية "فكان عليه أن يتصل بالرأي العام الجزائري عن طريق ألسنة وأقلام عربية مستعارة أو مأجورة"[2]وهذا كمرحلة أولى فقط ليحقق أهدافه ويبلغ رسالته وأوامره للشعب الجزائري، غير أنه "بدأ من اللحظة الأولى في فرنسة أجهزة الحكومة ودوائر العمل، ثم فرنسة التعليم فرنسة كاملة لم تدع للغة العربية في المنهج المدرسي غير ساعتين في الأسبوع تدرس فيها اللهجة العامية كلغة ثانوية إضافية"[3]. فكان عملا

---

[1]- د.عبد الله ركيبي – الفرانكفونية مشرقا و مغربا –ص55- شركة دار الأمة الجزائر-1993م

[2]- عائشة عبد الرحمان –بنت الشاطئ- لغتنا والحياة – ص172-173

3- نفس المرجع- ص 173/172.

جبارا بالنسبة للمستعمر قدمه لتبديل وتغيير كل شيء نحو الفرنسة، ثقافة وتعليما وإدارة ومؤسسات حكومية ، وتوجها ومحيطا اجتماعيا..فهي فرنسة في كل شيء ولكل شيء ،وتعني آخر "إحلال اللغة الفرنسية، وثقافتها محل اللغة العربية وثقافتها في الجزائر، حتى ينسى الجزائريون –بمرور الزمن– لغتهم وثقافتهم القومية، ويستعيضوا عنها باللغة والثقافة الفرنسية..إن محاولة فرض الفرنسة على الجزائريين من طرف الاحتلال هي التي تفسر لنا تلك الحرب الضارية التي شنها الاستعمار الفرنسي على اللغة والثقافة العربية حوالي 132 سنة، هي فترة وجوده في الجزائر"[1].

وهذا حتى يذوب المجتمع الجزائري في المجتمع الفرنسي ذوبانا تاما، ويتغير لسانه تغيرا كليا من العربية إلى الفرنسية "ليتحول فكره وثقافته بطريقة عفوية إلى الثقافة الفرنسية، ولو تم له ذلك لزال المجتمع الجزائري ككيان مستقل إلى الأبد"[2]

من هنا يمكن الاستنتاج أن، الاستعمار الفرنسي في الجزائر إضافة إلى الاستغلال الاقتصادي لخيرات البلاد، ومواردها الطبيعية، والاستحواذ السياسي على رصيد التجربة الجزائرية كان يهدف كذلك إلى "جعل الجزائر قطعة لا تتجزأ من التراب الفرنسي، أرضا ولغة، وثقافة، ودينا، ولقد انتهج لذلك سياسة الفرنسة، وهي إحلال اللغة الفرنسية، محل اللغة العربية في جميع مجالات الحياة الاجتماعية، حتى يصبح المجتمع الجزائري فرنسي اللسان والثقافة، وينقطع بذلك عن تاريخه، ويفقد مقومات شخصيته القومية تدريجيا، ويذوب في بوتقة الأمة الفرنسية"[3]

ثانيا محاربة التعليم العربي :

إن الذين دخلوا الجزائر محتلين كانت أغلبيتهم من الأميين والجهلة الذين لا علم لهم ولا ثقافة، شحنوا حقدا وكرها ضد الشعب الجزائري وكل ما له صلة بحضارته وتاريخه، وهويته، وشخصيته، فكانت حملتهم أشبه ما تكون بالطوفان الذي لا يترك شيئا في طريقه، أو كالجراد الذي يخرب كل الحقول أو المروج أو البساتين ، أو أرض خضراء عامرة يمر عليها، فما يتركها إلا قاعا صفصفا لا شيء فيها..فكذلك كانوا ولربما أكثر من ذلك، لأنهم أرادوها إبادة لشعب ومقوماته الحضارية...

---

[1]- د.تركي رابح – التعليم القومي والشخصية الجزائرية 1931-1956م – ص107/106 الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الطبعة الثانية – 1981م.

[2]- د.أحمد بن نعمان –التعريب بين المبدأ والتطبيق– ص210

[3]- د.أحمد النعمان –فرنسا والأطروحة التبريرية في الجزائر– الخلفيات، الأهداف، الوسائل، الدلائل –ص82 –مطبعة دحلب الجزائر– دون تاريخ.

ولقد رأينا في المبحث السابق أن التعليم كان منتشرا بشكل كبيرا في كل ربوع الجزائر قبل الاحتلال، وأن المؤسسات التعليمية والمراكز الثقافية كانت من الكثرة حيث يصعب إحصاؤها أو عدها، وأن المستعمر لما دخل الجزائر بهرته كثرة المدارس والمؤسسات التعليمية التي بزخر بها القطر الجزائري، وبهره انتشار العلم والتعليم بين جميع الطبقات الاجتماعية مع قلة الأمية، والاهتمام الكبير والمتزايد من الجميع بالتعليم، والتعاون المستمر والإيجابي بين كل الجزائريين لخدمة التعليم والنهوض به، ونشر الثقافة والعلوم والفنون... وما كان هذا ليسر أو يفرح الاستعمار، وهو يريد تغيير وتدمير كل شيء لإقامة حضارة جديدة غير التي وجدها عند الجزائريين.

ووجود مثل هذه المراكز والمؤسسات التعليمية سيكون حاجزا قويا ومانعا كبيرا للمستعمر من تحقيق أهدافه التي جاء من أجلها، لأنه أن يحكم أمة جاهلة أمية، خير له من يحكم أمة متعلمة ومثقفة، وشعبا مستنيرا، يفقه آليات الصراع ويدير كفته بعلم ودراية..فكان "من الطبيعي أن يمتد السعار الاستعماري والحقد الصليبي إلى كتاتيب القرآن ومعاهد التعليم الأساسي، تلك المحاضن التي ربت القادة والعلماء والمجاهدين، وساهمت بصورة أساسية في تكوين وبناء الشخصية العربية الإسلامية للجزائر..فحوصرت وضيق عليها، وأخضع تعليم القرآن منذ سنة 1852 لرقابة شديدة من قبل السلطات الاستعمارية"[1]. كما أن هذه المدارس تعد هي المصادر الأساس والرئيسة للثقافة واللغة الوطنية، واللسان العربي، فما كان من المستعمر وقواته إلا أن وجهوا ضرباتهم الأولى لمصادر هذه الثقافة لأنه "وجد أن الثقافة واللغة العربية يشكلان خطرا على بقائه واستقراره إذ أنه من الأسهل له أن يحكم جهلة أميين، ويسلبهم حريتهم، من أن يحكم متنورين متعلمين يذودون عن حريتهم ويبذلون من أجلها النفس والنفيس، وهكذا عمل جادا على إطفاء نور المعرفة والعلم والتقدم"[2] فلإبطال الدور الذي يمكن أن تؤديه هذه المراكز والمؤسسات، وما يمكن أن تسببه من صراع عنيف، عمل المستعمر على إزاحتها من طريقه "حيث قام بتهديم معظم الزوايا والمساجد والكتاتيب القرآنية التي كانت تعلم أبناء الجزائر لغتهم ودينهم، وحول الجزء القليل الذي نجا إلى إسطبلات أو كنائس، وأسس في مكانها مدارس تبشيرية فرنسية"[3] كما أنه

---

[1]- استطلاع – من كتاب ابن باديس إلى جامعة الأمير عبد القادر الإسلامية –مجلة الأمة – العدد 49 –ص 49-السنة الخامسة المجلد5 محرم 1405هـ / تشرين الأول – أكتوبر –1984م.

[2]- شحاته الخوري – القضية اللغوية في الجزائر وانتصار اللغة العربية –ص17

[3]- حشلاف علي – المواقف السياسية لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين من خلال صحفها – 1939/1931 – ص73 رسالة ماجستير من جامعة الجزائر معهد علوم الإعلام والاتصال – 1414هـ / 1994م.

"قضى على معظم مراكز الثقافة العربية واللغة العربية التي تتمثل في المدارس والجوامع والزوايا، التي كانت قائمة في البلاد قبل الاحتلال فبعضه حوله إلى معاهد للثقافة الفرنسية، وبعضه سلمه إلى الهيئات التبشيرية المسيحية الذي اتخذته مراكز لنشاطها في هدم عقيدة الجزائريين، والبعض الآخر قام بهدمه تحت دعوى إعادة تخطيط المدن الجزائرية"[1]. ففي مدينة واحدة كالجزائر العاصمة مثلا دمرت بها السلطات الاستعمارية في سنة الاحتلال فقط - أي سنة 1830م -"ثلاثة عشر (13) مسجدا كبيرا، ومائة وثمانية (108) مساجد صغيرة واثنان وثلاثون (32) جامعا، واثنتا عشرة (12) زاوية"[2]، وهذه الأرقام مرعبة في مدينة واحدة فما بالك بالمدن الأخرى، خاصة منها الكبرى، وهذا الذي ذكرنا طرفا منه حقائق ولا دخل للخيال فيها إطلاقا، ذكرت في مصادر وكتب التاريخ خاصة، كما أنها شهادات تاريخية من الفرنسيين أنفسهم، فقد قدم المؤرخ الفرنسي الكسي دوتوكوفيل D.K.Alexi شهادة صريحة لكنها غير مشرفة عن مدعي المدنية، في تقرير كتبه عام 1847م قال فيه :

"لقد استحوذنا على جميع الموارد التي كانت مخصصة لسد حاجات المعوزين، وللتعليم العمومي، وصرنا نستعملها في غير ما كانت معدة له، لقد هدمنا المؤسسات الخيرية وتركنا المدارس تندثر، وشتتنا المحاضر، لقد انطفأت الأنوار من حولنا، وتوقف انتداب رجال الدين والقانون، ومعنى ذلك أننا صيرنا المجتمع الجزائري أكثر بؤسا وفوضى وجهلا وبربرية، أكثر مما كان عليه قبل أن نعرفه"[3] وينقل الدكتور مصطفى الأشرف شهادة أخرى لأحد الموظفين الفرنسيين معترفا بجريمتها في حق التعليم فقال:"إن فرنسا قد جعلت مستوى تعليم المواطنين أدنى بكثير من المستوى الذي كان قائما قبل الاحتلال"[4].

وعمل المستعمر ليس فقط على تقليص هذه المؤسسات التعليمية أو هدمها، بل وضع لما تبقى منها أو لما يراد إحياؤه من جديد، العراقيل المتعددة والعقبات الكؤود حتى لا تحيا من جديد، أو يبقى فيها بصيص من الأمل أو النور، فعمد إلى تجفيف المنابع الرئيسة المغذية لمؤسسات التعليم بأن "استولى الفرنسيون لما احتلوا الجزائر على الأوقاف الإسلامية التي هي حياة العلم

---

[1]- د.رابح تركي -التعليم القومي والشخصية الجزائرية- 1931 / 1956م ص73.

[2]- د.أحمد الخطيب -جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها الإعلامي في الجزائر -ص49

[3]- شحاته الخوري -القضية اللغوية في الجزائر وانتصار اللغة العربية -ص15-16.

[4]- د.مصطفى الأشرف -الجزائر الأمة والمجتمع- ص314 -ترجمة الدكتور حنفي بن عيسى -المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1983م.

والمؤسسات الدينية"[1]، بل أن الأوقاف الإسلامية تحولت خدماتها إلى المؤسسات التبشيرية وضرب التعليم العربي، هذا في مرحلة.

وفي مرحلة أخرى كانت القوانين والشروط المجحفة في حق من أراد أن يزاول التعليم، منها قانون الرخص، حيث ألزم المعلم العربي بالحصول على رخصة لمزاولة هذه المهنة، ولم يكن ليحصل عليها بسهولة ويسر، وإن أعطيها فبشروط قاسية قد يعجز عن الوفاء بها، والتي إن خالفها كان مصيره السجن أو التوقيف عن مزاولة التعليم، ومن بين هذه الشروط أن لا يتم "تدريس الأدب العربي، والتاريخ العربي والإسلامي وجغرافية البلاد العربية"[2].

وفي مرحلة ثالثة "شردوا العلماء، واضطهدوهم وعزلوهم عن العامة"[3] ليس هذا فقط وانما عمل الاستعمار على "طردهم ونفيهم من الوطن"[4] مما أدى إلى أن "هاجر مئات من علماء الجزائر ومئات من الأسر الشريفة"[5]. هذا التضييق وهذه الحرب ضد التعليم العربي ومراكزه أدت إلى أنه في "سنة 1890م لم يكن في الجزائر سوى المدارس الرسمية الثلاث في مدينة الجزائر و قسنطينة وتلمسان، وفيها كلها أربعة وثمانون (84) تلميذا، وقد تخرج في هذه المدارس في سنة 1890م أربعة عشر (14) تلميذا، وهذا من دلائل تدني مستوى التعليم وانحساره"[6].

فكان من نتائج ذلك أن حدثت بعثرة في التراث، وتعليم المدارس، و اضطهاد للعلماء وتقلص للسان العربي، وانكماش في الفكر والثقافة العربية، وانتشار للغة الفرنسية، ووقوع الكثير من الجزائريين بين ذراع الأخطبوط التغريبي، والتجنس بجنسية فرنسا، والاندماج في شعبها وحضارتها، والانقطاع عن الماضي وعن التراث... كل هذا من خلال القضاء على اللغة العربية وتجفيف منابعها وغلق مصادرها ومراكزها..

ثالثا : عزل الجزائر عن المشرق والعالم العربي والإسلامي :

المستعمر يدرك جيدا أن الامتداد الطبيعي للجزائر هو العالم العربي والعالم الإسلامي، وأن جذور الحضارة التي تحياها الجزائر في ظل الإسلام ممتدة نحو منبع الوحي والفاتحين الأولين، فتشكل بذلك رباطا قويا ومتينا، مع العالم العربي والإسلامي، ومعرفة هذا الأمر من طرف المستعمر جعله

---

[1]- محمد علي دبوز – نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة –الجزء الأول- ص22.

[2]- شحاته الخوري –القضية اللغوية في الجزائر وانتصار اللغة العربية- ص17

[3]- محمد علي دبوز –المرجع السابق - ص22.

[4]- د.محمد العربي الزبيري -- الغزو الثقافي في الجزائر 1962-1982- ص18 –المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر 1986م

[5]- محمد علي دبوز –المرجع السابق- ص22.

[6]- المهدي البوعبدلي – الاحتلال الفرنسي للجزائر ومقاومة الشعب في الميدان الروحي مجلة الأصالة ص315 – العدد الممتاز –1972م.

يبادر ويسارع منذ الوهلة الأولى التي احتل فيها الجزائر إلى ضرب حصار حولها لتحقيق هدف العزلة عن العالم العربي، لتجفيف المنابع الحضارية التي يرتوي منها الشعب الجزائري روحيا، وتاريخيا ولغويا..فسارع بذلك إلى "فرض حصار محكم على المجتمع الجزائري، وغلق جميع النوافذ المشرقية التي يمكن أن يتسلل منها شعاع المعرفة والوعي القومي والفكر الإسلامي النقي واللغة العربية"[1].

لأن عروبةالجزائر، وازدهار الفكر القومي فيها، وانتشار العلوم والثقافة، واعتراف العلماء والطلبة فكريا وعلميا ولغويا، وبروز النهضات الأدبية والثقافية..كان في كثير من الأحيان يمر عبر اتصال الجزائريين بالعرب المسلمين وبمراكزهم الثقافية والعلمية العامرة والمزدهرة، خاصة مصر التي كان الأزهر فيها قلعة للعروبة والإسلام والأدب وفي تخريج الأدباء والعلماء والقادة والسياسيين...وهو العقل والحصن الحصين عبر تاريخه للعربية والإسلام، فكان محج الطلبة والعلماء والقادة الجزائريين. وكذلك الزيتونة بتونس، والقرويين بالمغرب، وغيرها من معاقل العروبة والإسلام والحضارة.

وما كان هذا ليسعد المستعمر أو يبهجه، وما كان هذا ليسمح له بتحقيق الفرنسة الكاملة التي يهدف إليها، في اللغة والثقافة والمحيط، فعمل جهده لوضع العراقيل في كل مكان لعزل الجزائر عن العالم الخارجي، فبنى حول الجزائر جدارا من حديد، حتى يصبح الجزائريون لا يرون إلا ما يراه المستعمر، ولا يسمعون إلا ما تقوله فرنسا، ولا يتعلمون إلا ما تلقنه لهم فرنسا في مراكزها ومحاضنها وعن طريق رجالها وكوادرها، ففرنسا هي سمعهم، وبصرهم، ونورهم، وعقلهم وفكرهم..هكذا أرادتهم فرنسا أن يكونوا.

حتى أن بعض الحكومات التي أرادت أن تمد يدها بالعون للجزائريين العرب من خلال إنشاء مراكز أو معاهد ثقافية، قوبلت طلباتها بالرفض ومثال ذلك "أن حكومة مصر 1952 طلبت من فرنسا السماح لها بإنشاء معهد ثقافي في الجزائر باسم (معهد فاروق للدراسات العربية، فلم يأتها إلا الرفض القاطع من الإدارة الفرنسية على الرغم من أن لفرنسا عشرات المعاهد المماثلة في مصر والبلاد العربية)[2].

رابعا : هجرة العلماء وتهجيرهم :

إن الإضطهاد الكبير الذي مورس على الجزائريين خاصة منهم الكوادر المثقفة، أحدث اضطرابا كبيرا في الثقافة العربية وفي تلقي العلوم ونشرها، و المحافظة على اللغة العربية، وهذا الإضطهاد

---

[1]- د.أحمد بن نعمان – التعريب بين المبدأ والتطبيق –ص171.

[2]- ذكر ذلك جريدة البصائر-العدد19-السنة3 - مايو 1952م.

للمثقفين والمتنورين كان مقصودا ومتعمدا، لأن الهدف والغاية منه هو دفع هـــذه الإطـــارات والكوادر المثقفة "لكي يفروا من الجزائر، وكانت غايته -أي الاستعمار- أن يخلو له الجو فيسهل عليه العبث بعقول عامة الشعب"[1]

فما فعله المستعمر من جرائم وفضائع في حق الثقافة أحدث ارتباكا عظيمـــا وفظيعـــا في حيـــاة المجتمع الثقافية والأدبية "لأن الثقافة كانت تستدعي شيئا من الاستقرار والأمن والرعاية، في حين أن هذه العناصر كانت، كلها مفقودة، فاظطر كثير من العلماء الجزائريين إلى الهجرة نحو البلـــدان العربية الإسلامية"[2] وليس فقط انعدام الأمن والرعاية والاستقرار، بل كذلك انعدام الحريـــة في شتى الميادين والمجالات والذي كان سببا قويا ودافعا نحو خروج العلماء وهجرتهم نحو بلدان أكثر استقرار، وأكثر أمنا، وأكثر حرية لممارسة نشاطاتهم العلمية والثقافية، يقول الدكتور مرتـــاض :"بأن المثقفين الجزائريين حين عدموا حرية التعليم وحرية التعبير، فـــروا بأنفســـهم إلى مواطـــن الأمن"[3].

ولقد أشار الدكتور عبد الكريم بوصفصاف إلى أول من مسته عملية التهجير أو الهجر من علماء الجزائر بقوله :"ولعل أول نخبة جزائرية مثقفة طردها الاستعمار كانت سنة 1833م عندما قامت سلطات الاحتلال بنفي كل من حمدان بن عثمان خوجة، وأحمد بوضربة وغيرهما من المثقفـــين الذين قضوا بقية حياتهم في المنفى"[4]. كما يذكر الدكتور أحمد بن نعمان رجلا آخر من النخبـــة الجزائرية المثقفة الذين اظطرتهم الظروف إلى الهجرة فيقول :

"وعلى سبيل المثال نذكر ابن العنابي وهو من العلماء الجزائريين الذين عاصروا الغزو الفرنســـي للجزائر، وقد هاجر إلى مصر، وكان له كتاب قيم اسمه "السعي المحمود في تأليف الجنود""[5].

ولاريب أن هذه الأسماء من النخبة ليست هي فقط التي هاجرت أو هجرت إلى خارج الجزائـــر فهناك أسماء كثيرة وأسر عديدة شملها هذا التهجير مثل الأمير عبد القادر الذي نفي مع أكثر مـــن مائة عالم ومثقف وأسرهم إلى بلاد الشام، والشيخ بلحداد الذي نفي هو ومن سانده في ثورتـــه وغيرهم كثير..وهذه الهجرة لخيرة الإطارات المثقفة الجزائرية كانت تبهج المستعمر وتسعده، لأن الذين وقفوا في طريقه ورفعوا راية الجهاد سقطوا في ميدان العزة والشرف، وأما "البقية الباقية من

---

[1]- د.عبد المالك مرتاض - فنون النثر الأدبي في الجزائر 1931/1954- ص77 -ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر- 1983م

[2]- نفس المرجع – ص76.

[3]- نفس المرجع – ص76.

[4]- د.عبد الكريم بوصفصاف –جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية 1931م/ 1945م –ص45 – دار البعث والتوزيع قسنطينة -الجزائر- الطبعة الأولى 1401هـ / 1981م.

[5]- د.أحمد بن نعمان – التعريب بين المبدأ والتطبيق - ص147

حملة الثقافة العربية..قد اضطر عدد منهم إلى الهجرة خارج الجزائر حيث توجهوا إلى تونس، أو المغرب، وإما إلى تركيا، أو أقطار المشرق العربي، مما أدى إلى فقر البلاد من العناصر المتنورة التي كان من الممكن أن تبعث النهضة التربوية والعلمية فيها، وتحافظ على الثقافة العربية من الاضمحلال"[1].

وهذا الذي كان يرمي إليه المستعمر حتى يفرغ البلاد من مثقفيها وعلمائها، ونخبها، وكوادرها ليسهل له طريق القضاء على مقومات الشعب الجزائري، ولينشر الجهل والأمية، وليمكن للفرنسة والفرنسية، وليمهد الطريق نحو القضاء التام والنهائي على لغة الوطن.

المطلب الثالث : أساليب الاستعمار لضرب اللغة والثقافة العربية

كانت تلك بعض الأهداف التي كان يرمي إليها الاستعمار ليحقق غايته الكبرى، وهي السيطرة الحضارية في جميع جوانبها على الأمة الجزائرية، وضربها في مقومات شخصيتها وهويتها الحضارية، وكان التركيز فيها قائما على القضاء على اللغة العربية لاعتبارها الوعاء الحضاري للجزائريين، فكانت رحى الصراع كلها تدار حول هذه اللغة.

وليصل المستعمر إلى تحقيق تلك الأهداف وضف عدة سبل واستعمل مختلف الوسائل ليصل إلى ما يصبو إليه، وكانت أهم تلك الوسائل والأساليب :

أولا : إصدار القوانين والمراسيم

لم يكتف الاستعمار في محاربته للسان العربي بأن يضرب التعليم من خلال هدم مراكزه التعليمية والثقافية، والضغط على العلماء وتهجيرهم إلى الخارج...فما تبقى من التعليم على ضعفه وقلة مراكزه وقلة الإقبال عليه من التلاميذ، وضعت فرنسا في طريقه العراقيل والعقبات المختلفة من خلال إصدار القوانين والمراسم المتعددة التي كانت تصدر بين الحين والآخر على طول سنوات الاحتلال، وهذا حتى يتسنى للمستعمر أن يجهز على ما تبقى من التعليم وروافده، لتحقيق الفرنسة الكاملة والتغريب الشامل، فعمد الاحتلال إلى التمهيد إلى ذلك أولا باعتبار الجزائر قطعة من فرنسا أي جزئها الجنوبي حين صوت البرلمان الفرنسي على ذلك في بداية الاحتلال.

وبعد أن اعتبر الجزائر جزءا منه وقطعة منه توالت قرارات المستعمر التي أصدرها، فكان منها ذلك القرار الذي يهدف إلى فرنسة الإدارة الجزائرية الذي صدر سنة 1849م والذي جاء بعد توصية رفعت في تقرير رسمي ،والذي يقول فيه صاحبه :"لا ننسى أن لغتنا هي اللغة الحاكمة : فإن قضاءنا المدني الجزائي والعقابي، يصدر أحكامه على العرب الذين يقفون في ساحته بهذه

---

[1]- د تركي رابح – الشيخ عبد الحميد بن باديس فلسفته وجهوده في التربية والتعليم 1900/1940م– ص 129.

اللغة، وبهذه اللغة يجب أن تصدر – بأعظم ما يمكن من السرعة – جميع البلاغات الرسمية، وبها يجب أن تكتب جميع العقود، وليس لنا أن نتنازل عن حقوق لغتنا، فإن أهم الأمور التي ينبغي أن يعتني بها قبل كل شيء، هو السعي وراء جعل اللغة الفرنسية دارجة وعامة بين الجزائريين، الذين عقدنا العزم على استمالتهم إلينا وتمثيلهم بنا، وإدماجهم فينا وجعلهم فرنسيين" [1].

ولم يقف الأمر عند فرنسة الإدارة وحدها، وتحرير جميع وثائقها ومراسلاتها، وجميع خطاباتها بالفرنسية، بل هذه الإدارة التي تحولت إلى اللسان الفرنسي "تخوفت من عودة انتشار التعليم الوطني فأصدرت بتاريخ 18 أكتوبر 1892م مرسوما يقضي بعدم فتح مدارس عربية إلا برخصة من الحكومة"[2] ثم جاء القانون الظالم الخاص بمهنة التعليم الذي صدر سنة 1904م. هذا كله من أجل إغلاق ما تبقى من المدارس العاملة، فترتب عن هذا القانون "أن قل عدد المعلمين، وأغلقت المعاهد والمدارس، وفشت الأمية والجهل، ولجأت اللغة العربية إلى الجبال وما يحيط بها من أماكن وعرة ونائية لتتخذ منها معاقل في المساجد والزوايا حفاظا على وجودها واستمرارها"[3].

ويا ليت الرخصة المطلوبة للتعليم كانت تعطى لمن يطلبها، أو كانت تسهل له إجراءات طلبها واستلامها، بل وضعت الشروط القاسية التي يجب أن تتوفر في طالبها، والتي من بينها أن يكون "مخلصا لفرنسا، وينتمي لطريقة مخلصة لفرنسا، وبعد ذلك يشترط أن لا يزيد عدد التلاميذ عن ثمانية، وهناك رخص تفرض عدم قبول أكثر من تلميذين في المدرسة...وأن تجري الدروس خارج أوقات التعليم في المدارس العامة الفرنسية"[4]

ولم يكتف قادة الاحتلال بهذه التعليمات والمراسيم، وإنما استمرت الحرب ضد التعليم العربي واللغة العربية من خلال سن القوانين، وقد بلغت الحرب ذروتها بالقرار الذي أصدره وزير الداخلية الفرنسي شوطان –Chautan– في مارس 1938م[5] الذي يعتبر بموجبه اللغة العربية لغة أجنبية، ويا للعجب اللغة أجنبية ! ! وأين ؟؟ وكيف ؟؟ وهي في دارها وبين أهلها وعند متكلميها !؟.

---

[1]- ساطع الحصري "أبو خلدون" –ماهي القومية؟ –ص60– مركز دراسات الوحدة العربية– بيروت لبنان 1985م وكذلك أحمد بن نعمان فرنسا والأطروحة البربرية في الجزائر– ص84.

[2]- د.أحمد الخطيب – جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها الإصلاحي في الجزائر –ص63.

[3]- شحاتة الخوري – القضية اللغوية في الجزائر وانتصار اللغة العربية –ص17.

[4]- صالح عوض – معركة الإسلام والصليبية 1830م/ 1962م– الجزء الأول– ص213/212.

[5]- وقد عرف هذا القانون بقانون شوطان وقد سن عليه ابن باديس ورجال الجمعية حملة ضارية في مجلة الشهاب والبصائر. وسنرى في الفصل الثالث كيف واجهت الجمعية هذا القانون.

فاعتبرت العربية أجنبية "ومعاقبة كل من يتصدى لتعليمها بدون رخصة مسبقة، بالسجن والتغريم"[1]، وفي حالات أخرى الإعدام والقتل، وكان لهذه القرارات المتعاقبة نتائجها السلبية والوخيمة على التعليم وعلى المجتمع الجزائري، واللغة العربية، حيث "انتشر الجمود، وعم الجهل، ووجد كثير من الجزائريين أنفسهم مضطرين إلى تعلم اللغة الفرنسية، بل أن بعضهم اتخذها مادة لثقافته، ووعاء لتفكيره، وتمكنت هذه اللغة الغريبة من التسلل بوسائل عديدة إلى اللغة العامية الدارجة وأصبح الجزائري –ولاسيما في المدن- يخلط حديثه بعبارات كثيرة منها"[2].

ثانيا : فرض التعليم الفرنسي :

موازاة مع الحرب التي كان يمارسها المستعمر ضد التعليم العربي ومراكزه، والتضييق على المتعلمين والكوادر الثقافية..من خلال القوانين المجحفة التي كانت تصدر بين الحين والآخر، كان الاستعمار يعمل على إنشاء محاضن أخرى بديلة تستوعب هذا الشعب وأبنائه، للتمكين للفرنسة الكاملة وإلغاء اللسان العربي، فانشأ مراكز ومؤسسات تعليمية أخرى بديلة يمارس فيها التعليم باللغة الفرنسية فقط في جميع مواده ومقرراته وساعات الدوام فيه، وكانت وسيلة فعالة اعتمدها المستعمر، فقد تم "إنشاء المدارس الأجنبية، وسمح للإرساليات التبشيرية بأن تركز نفوذها، وتحتوي أبناء المسلمين والعرب في معاهدها التي كانت أعدت مناهج غاية في الخطورة"[3].

وللقارئ أن يسأل أو يقول : إن إنشاء المدارس والمراكز التعليمية للجزائريين يعد شيئا إيجابيا، حيث يمكنهم من معرفة لغة أخرى، والاستزادة من العلوم، والاغتراف من ثقافات أخرى؟. ولنا أن نقول : لو كان الأمر كذلك لأزدهر التعليم في الجزائر، ولتطور الفكر، ولكن الأمر كان الهدف منه هو ضرب اللغة العربية وإبعادها عن حياة الناس، ه ثم أن هذه المدارس التي أنشأها المستعمر ما كانت تريد ذلك للجزائريين، بل أصلا كان أن رفض بعض القادة الفرنسيين في بداية الأمر كلية أن يدخل جزائريون إلى مدارسهم، ومراكزهم لأن ذلك في نظرهم يشكل خطرا سياسيا واقتصاديا ولغويا عليه. فحينما "عقد مؤتمر المستعمرين في الجزائر سنة 1908 م احتج أعضاؤه على قبول عدد قليل من الجزائريين في المدارس الابتدائية، اعتقادا منهم بأن تعليم الجزائريين ينطوي على محاذير حقيقية في المضمار الاقتصادي بالنسبة للمستعمرين، وأعرب المؤتمر

---

[1]- حسن عبد الرحمان سلوادي –عبد الحميد بن باديس مفسرا- ص29 .

[2]- نفس المرجع - ص29/30

[3]- أنور الجندي – الثقافة العربية إسلامية أصولها وانتمائها – ص329 -- دار الكتاب اللبناني –مكتبة المدرسة- بيروت لبنان –الطبعة الأولى- 1982م.

عن رغبته في إلغاء هذا التعليم نهائيا"[1] هذا في مرحلة أولى، ثم جاءت المرحلة الحقيقية التي أبان فيها عن الهدف من انتشار مدارس فرنسية للتعليم، فلننظر بتمعن إلى قول أحد رجالات التربية الفرنسية الذي بين الغرض الحقيقي من انتشار وفتح المدارس بالنسبة للجزائريين فقال : " ليس الغرض من فتح المدارس الفرنسية في شمال إفريقيا أن نكون عقولا من عقل مونتسكيو، أو جلن جاك روسو، أو فولتير، وإنما لنبدل لغة بلغة، وعادات بعادات"[2].

وحين قبلوا في مدارسهم بعضا من الجزائريين، وضعوا برامج مدروسة بدقة لذلك، حيث كانت "تعلمهم مع الفرنسيين تعليما فرنسيا محضا، يمجد الحضارة الفرنسية، ويدرس التاريخ الفرنسي، ويمقت كل ما هو عربي، وهذا حق مبين لا يرتاب فيه إلا من كان جاهلا بالأوضاع الثقافية التي كانت سائدة في النصف الأول من هذا القرن في الجزائر"[3]. ولقد ضمت هذه البرامج في موادها مكانا للغة العربية، ولكنها لا تعد أن تكون "مكانة اللغة العربية في هذا التعليم بمختلف مستوياته الثلاث، ابتدائيا وثانويا وجامعيا، لا يزيد في الأول على تحفيظ بعض القواعد، وفي الثاني عن قطع هزلية من قصص السندباد، وألف ليلة وليلة، وفي الثالث لا يخرج عن التعريب والتعجيم، وفوق هذا فإن التعليم العالي للغة والأدب العربي كان باللغة الفرنسية"[4] فلاحظ كيف أن "حظ اللغة العربية معدوما تماما في المرحلة الابتدائية وضئيلا جدا"[5] في المراحل الأخرى، بل أن تدريسها كان باللهجة العامية في شكلها المنحط، ولم تعتبر مناهج التعليم الفرنسي و"لم تقرر تدريس اللغة العربية حتى كلغة أجنبية مثل الإنجليزية، أو الإسبانية، والألمانية"[6]. وبذلك استطاع المستعمر أن يبسط سيطرته الكلية "على التعليم المدرسي، نظاما، وخطة، ومنهجا، ولغة، ومادة، ومناخا..."[7]. هذه السيطرة الكلية كان الهدف منها هو "القضاء على اللغة العربية، والتاريخ والإسلام والقرآن، وتزييف كل معالم هذه الثقافة العربية الإسلامية، والغض من قدرها، وإثارة

---

[1]- د . نور سلمان –الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرير –ص64 - دار العلم للملايين – الطبعة الأولى

[2]- د. صالح خرفي – شهيد الثورة الجزائرية احمد رضا حوحو في الحجاز 1934/1954م – ص29 – دار الغرب الإسلامي –بيروت لبنان – الطبعة الأولى 1412 هـ/1992م

[3]- د. عبد المالك مرتاض –نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر 1925م/1954م-ص- 21 - الشركة الوطنية للنشر والتوزيع – الطبعة الثانية 1983م.

[4]- د.عبد الله ركيبي – الشعر الديني الجزائري الحديث-ص29 – نقلا عن نشرة جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين بفرنسا من ص77 إلى ص79 تونس عام 1971م.

[5]- د.تركي رابح –الشيخ عبد الحميد بن باديس فلسفته وجهوده في التربية والتعليم 1900م/ 1940م–ص150.

[6]- التلي بن الشيخ – دور الشعر الشعبي الجزائري في الثورة 1830م– 1945م-ص37.

[7]- د.عائشة عبد الرحمان "بنت الشاطئ"- لغتنا والحياة –ص179.

الشبهات حولها وتغذية الشباب المتعلم العربي الإسلامي بجوانب معينة من الثقافة الغربية...وإخراج الشباب المسلم العربي من قيمه ومجتمعه، وتحقير كل صور هذا المجتمع العربي الإسلامي وتراثه ولغته... وإعلان شأن الدولة المحتلة وتاريخها وبطولاتها ولغتها، وخلق جو من التبعية، والولاء الفكري والروحي"[1].

فكان لهذا التعليم ولهذه السياسة الفرنسية نتائجها السلبية على المجتمع الجزائري، وكثير من الضحايا من أبناء الشعب، فقد "بسط الاستعمار ألسنته في اللغة العربية..فوصفها بالعجز والقصور والجمود والجفاء والصعوبة، وأنها لا تليق للحضارة الحديثة، ولا تتسع للعلوم العصرية، وأنها خالية من سلاسة الفرنسية وحلاوتها، وسهولتها في النطق والتعلم..فوصفوا العربية لتلاميذهم الجزائريين في المدارس بكل ما يمليه عليه حقدهم على الدين وجهلهم بالعربية، فانشئوا طائفة من الجزائريين على ذوقهم، ينظرون إلى دينهم ولغتهم العربية، وإلى حضارتهم الإسلامية كلها نظرة الاستعمار... "[2].فنشأت بذلك نخبة من الجزائريين تحمل لغة العدو ولسانه وعقله وأفكاره، وتدافع عن حضارته وتاريخه بل وكانت تتولى نيابة عن المستعمر مهمة الدفاع عن قيمه وغاياته وأساليب حضارته وعزه ومجده، فنسيت تلك النخبة وطنها وحضارتها وحطمت بذلك نفسها، وضيعت أمالها وأحلامها وتطلعاتها لأنه كما يقول الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي عن فرنسا "بل علمتهم أيضا أنه ليس هناك شيء خارج هذه الثقافة".[3]

ثالثا : إرسال أبناء الأعيان للتعلم بفرنسا

ويستمر زحف الفرنسة بكل قوة مدعما من طرف الآلة الاستعمارية، فإضافة إلى محاربة اللغة والتعليم العربي واضطهاد علماء العربية، وتسخير كل الوسائل لإنشاء تعليم فرنسي اللسان والمنهج والخطة والهدف في كل مراحله وهذا "بقصد تنشئة أفراد المجتمع الجزائري على اللغة الفرنسية وحدها، فيذوقونها، ويطلون بها على الثقافة الفرنسية فيتأثرون بها ويتحمسون لها في غياب معرفتهم للغة العربية"[4] فلم تكتف الإدارة الاستعمارية بهذا وإنما "فتحت بعد ذلك باب التجنيس للمتنورين ومن بهرهم بريق الحضارة الزائف"[5] ثم بعدها كانت السلطات الاستعمارية

---

[1]- أنور الجندي – الثقافة العربية إسلامية أصولها و انتمائها – ص 329 -

[2]- محمد علي دبوز – أعلام الإصلاح في الجزائر –الجزء الأول- ص27- دار البعث قسنطينة – الطبعة الأولى 1400هـ 1980م –الجزائر.

[3]- د.أحمد طالب الإبراهيمي – من التحرير إلى الثورة الثقافية – ص13/12.

[4]- د.أحمد بن نعمان – فرنسا والأطروحة البربرية في الجزائر –ص82.

[5]- ابن حمو محمد – دور التنشير والاستشراق في الثقافة العربية الإسلامية في الجزائر – ص149.

تطلب من الأعيان الجزائريين أن يرسلوا أبناءهم إلى فرنسا ليتعلموا لغتها، ويغترفوا من حضارتها، وعن ذلك يحدثنا المؤرخ الجزائري حمدان بن عثمان خوجة، وكان قد عاصر كل أحداث الغزو الفرنسي في الجزائر، وقد نفاه الاستعمار سنة 1833م : "وبهذه المناسبة جمع السيد كادي دوفر شيخ البلدية والمجلس البلدي، وكنت عضوا فيه لتهنئة الجنرال كلوزيل بالعودة سالما، وعلى إثر الزيارة أخبرنا بالتقارير التي وصلته وقال : بأنه عمل على راحته، وللتدليل على الثقة للحكومة الفرنسية، يجب أن يجمع على الأقل خمسون (50) طفلا من أبناء الأعيان ليرسلوا إلى فرنسا ليتعلموا اللغة.."[1] وبذلك تصنع النخبة المتفرنسة من أبناء الجزائريين لتتولى المهمة الموكلة لها دفاعا عن المستعمر وحربا لأبناء وطنهم ولقيمهم الحضارية واللغوية.

رابعا : محاربة العربية بالبربرية

وتختلف الوسائل وتكثر الأساليب وتتعدد البدائل من أجل الهدف الواحد وهو محو الشخصية والهوية الوطنية بكل مقوماتها وعلى رأسها اللغة العربية.

ويدرك المستعمر أن أهم عنصرين بشريين يكونان المجتمع الجزائري هما الأمازيغ -البربر- والعرب، ورأى أن هناك ترابطا وثيقا، وتفاهما كليا بين هذه العنصرين، حتى أنه لا يكاد أحد أن يفرق بينهما، لأن الدين جمعهما ووحدهما، واللغة العربية هي لغة التفاهم بينهما، وقد انصهروا فيما بينهما فكونوا مجتمعا واحدا زادته المصاهرة ترابطا وتقربا، وما كان هذا ليغيب عن المستعمر ولا ليرضيه، فحاول في أول خطوة له "انتزاع البربر -الامازيغ- من الإسلام وضمهم إلى فرنسا بتدابير متعددة الأوجه، من توعيتهم، ومحاولة تنصيرهم، وتمييز أصلهم، وتثبيت قانونهم المحلي، الذي كانوا يعتبرونه تقليدا من تقاليدهم..."[2] وهذه العناية الاستعمارية بالأمازيغ -البربر- جعلته يولي أهمية خاصة لهذه المنطقة —منطقة القبائل الكبرى خاصة- محاولة لكسب أهلها. والتركيز على أهميتها حيث :"بدأت محاولات التعليم في بلاد القبائل البربرية قبل سائر المنطق في الجزائر، وأسس فيها الأباء البيض والراهبات ما بين 1873م-1880م مدارس متعددة، قامت وراء توعية البربر محاولة لفصلهم عن العرب، ولإضعاف الجبهة المحلية، وكانت محاولات تنصيرهم إحدى وسائل تقريبهم من محيط الأوروبيين والمستوطنين..."[3].

---

[1]- حمدان بن عثمان خوجة -المرآة- تحقيق وتعريب وتقديم الدكتور العربي الزبيري —ص54.

[2]- د.نور سلمان — الأدب الجزائري في رحاب الرفض التحرير — ص80/79.

[3]- —المرجع السابق- ص 81/80.

وفي خطوة ثانية بعد تقريب البربر إليهم لضرب الوحدة الوطنية وللقضاء على اللغة العربية، "توجه انتباه الاستعمار إلى اللغة البربرية محاولا تقويتها لجعلها حاجزا بين البربري والعربي"[1] ليقنع بذلك ضعاف النفوس والمغرورين أو المغترين بحضارته فطرح قضية اللغة البربرية على هذا النحو "..هذه دخلت -أي اللغة الفرنسية- الجزائر مع دخول الفرنسيين، وتلك -أي اللغة العربية- دخلت الجزائر مع دخول العرب الفاتحين، فليس للعربية بالتالي فضل أصالة على الفرنسية، وإنما اللغة الأصلية لسكان الجزائر هي اللغة البربرية لغة الأمازيغ.."[2]. وهكذا استطاع المستعمر عن طريق أعوانه أن يجد منفذا يتسلل منه لضرب اللغة العربية من خلال "ربط العرق البربري باللغة البربرية التي لا يزال لها رواسب في الجزائر"[3]

وبذل المستعمر في ذلك جهودا جبارة لإحياء اللغة البربرية بلهجاتها المختلفة و"أقدموا على كتابة اللهجات البربرية، كما ألفوا كتابا في تاريخ آداب اللغة البربرية، بحروف لاتينية"[4] كما وضعت لهذه اللغة قواعد خاصة بها، وقواميس تضبط كلماتها، رغم أنها لم تكن لغة مكتوبة من قبل، فما هي إلا لهجة منطوقة فقط، ونشرت الكتابات والبحوث والدراسات المختلفة، التي تتحدث عن هذه اللغة أو اللهجة كما "أنشأت فرنسا سنة 1914م في الرباط معهدا عاليا للغة البربرية، وصدر قرار سنة 1915م بتأليف لجنة للأبحاث البربرية، وتأليف لجنة في الرباط برئاسة سكرتير الحماية العام، وأصدرت نشرة عنوانها (الأرشيف البربري) كما ألفت لجنة أخرى للبحث في تنظيم القضاء البربري"[5].

وهذه الدراسات والكتابات المختلفة يتذرع بها أصحابها تحت غطاء البحث العلمي والدراسات الأكاديمية العلمية والموضوعية، والحقيقة أننا "نجد من يكتبون باللهجات البربرية سواء أكانوا أجانب أم جزائريين يخفون نواياهم وراء ستار البحث العلمي، ولكن هدفهم الحقيقي هو إضعاف اللغة العربية وتفتيت وحدة الشعب الجزائري"[6]، وليس فقط إضعاف اللغة العربية بل القضاء عليها نهائيا، لأن الهدف الحقيقي للمستعمر ليس التمكين للبربرية وإنما التمكين للفرنسية والفرنسة من خلال اللهجة البربرية "وهكذا وظف الاستعمار هذه اللهجة القائمة في بعض أنحاء

---

[1]- نفس المرجع – ص83

[2]- شحانة الخوري –القضية اللغوية في الجزائر و انتصار اللغة العربية – ص 19.

[3]- د.لطفي بركات أحمد –التعريب والتقدم في الوطن العربي –ص173-دار المريخ –الرياض –المملكة العربية السعودية 1399هـ- 1979م.

[4]- د.نور سلمان المرجع السابق –ص84.

[5]- علال القاسمي – الحركات الاستقلالية في المغرب العربي ص- 116 -مطبعة الرسالة -القاهرة- مصر- 1948م.

[6]- عبد الله ركيبي – الشعر الديني الجزائري الحديث - ص382.

الجزائر لمحاربة اللغة العربية إلى جانب توظيف الفرنسية ، وطرح القضية بالصورة التالية: البربرية تمثل الأصالة، واللغة الفرنسية تمثل الحداثة، فلا يبقى بعدئذ مكان للغة العربية، فلا هي أصيلة، ولا حديثة في نظر المحتلين، وهذا هو قصدهم"[1] إذن فهي دخيلة وغازية ومتعدية بحسب محاربتها، ولقد نجحوا فعلا أو كادوا في تحقيق أهدافهم من خلال إحياء اللهجات البربرية لضرب العربية، وعانى الشعب الجزائري الكثير في هذه المعركة وقدم الجهد الكبير لإثبات ذاته، وشخصيته، ولقد تصدت جمعية العلماء لهذه الفكرة بكل قواها، من خلال جميع الوسائل المتاحة لها في ذلك الوقت خاصة رئيسها الشيخ عبد الحميد بن باديس وبعده الشيخ محمد البشير الابراهيمي[2].

خامسا : التشجيع والتمكين للعامية

أشرنا فيما سبق أنه من أهداف المستعمر هو محاربة الدين الإسلامي، وعزل القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة عن حياة الجزائريين، لقطع الصلة عن ماضيهم وتراثهم الثقافي، والمستعمر يدرك جيدا أن مفتاح ذلك هو اللغة العربية "لأن اللغة الفصحى هي الوسيلة الفعالة دون غيرها من اللهجات العامية لفهم القرآن الكريم والسنة النبوية، وهي وحدها القادرة على التنقيب عن التراث العربي الإسلامي الذي يساهم في بعث الجزائر ويساعد على تصديها لمحاولات الغزو الثقافي والتغريب وانتشار الجهل والأمية والإلحاد"[3].

هذا الإدراك لأهمية اللغة في عملية البعث الحضاري للجزائريين، جعلت المستعمر يعمل على إزاحتها من طريقه والقضاء عليها، وهذا من خلال الدعوة إلى اللسان العامي، وتشجيع العاميات والمحلية، وقد بدأ ذلك مع حملة الغزو للجزائر ومن خلال علاقته بالشعب الجزائري، حيث كان يتصل به من خلال اللغة الدارجة –لمحاربة الفصحى–...وهذا الاتصال اليومي والمتكرر شمل جميع مجالات الحياة، حتى مجال الإعلام والصحافة فمنذ "سنة 1847م إلى سنة 1929م كانت جريدة المبشر الرسمية تصدر بالفرنسية وبعربية ركيكة مسفة موجهة إلى الشعب"[4]

ومن عجيب ما رأينا من هذا المستعمر أن تصل به عبقريته الفذة إلى عملية توليد للغات ولهجات أخرى، وإلى استنتاجات من وحي خياله وادعاءاته وافتراءاته وشبهه المتعددة، فعمد إلى أن "ابتكر مسؤولوا التعليم في الجزائر ما أسموه باللغة العربية (الكلاسيكية) وهي العربية الفصحى، واللغة

---

[1]- شحاتة الخوري – القضية اللغوية في الجزائر وانتصار اللغة العربية – ص19.

[2]- انظر محاولات الجمعية للرد دعاة البربرية وموقفها منها كلهجة في الفصل الثاني و الثالث

[3]- ابن حمو محمد – دور التبشير والاستشراق في الثقافة العربية في الجزائر – ص155.

[4]- د.عائشة عبد الرحمان "بنت الشاطئ"- لغتنا والحياة –ص173.

العربية (الحية)، وهي اللغة العامية الجزائرية، ونشط بعض أعوان الإدارة الفرنسية –من الجزائريين مزدوجي اللغة – تحت إشراف المستشرق الفرنسي بيرسي H.Peres –– في وضع بعض الكتب المدرسية باللهجة العامية الجزائرية التي هي خليط من البربرية والعربية والتركية والفرنسية واعتبروها من اللغة العربية الحية، على اعتبارها أنها هي اللغة المتداولة بين الناس"[1] بل جعلوها لغة ثالثة وسطى بين العامية والفصحى ابتكرها[2] المستعمر بعبقريته وعبقرية أعوانه الخونة المرتزقة وذلك كله من أجل "إنزال مستوى الثقافة العامة إليها، وعزل اللسان العربي والثقافة عن مستوى القرآن من الفصاحة ومن وراء ذلك كله..إقصاء القرآن عن اللغة"[3].

وقد أوكل هذه المهمة في القضاء على اللغة العربية من خلال تفكيكها إلى لهجات مختلفة أو عاميات متعددة، إلى المستشرقين، الذين حاولوا جهدهم لإحياء العاميات وحاول كثير منهم بمساعدة المبشرين "خلق سند تاريخي من التراث، كالأغاني والأمثال لتعزيز دعوى العاميات والإقليميات وجرى التغريب في ذلك شوطا طويلا"[4].

و"قد اجتهد كثير من المستشرقين في التأليف في العربية، وليس غرضهم هو خدمتها أو نشرها، وإنما هو مخالف لذلك تماما، وقد ألفوا كثيرا من الكتب والرسائل من اللغة العامية، فقد كتب ديجا (1824م-1894م) Dugant.G عن الشعر العامي وترجمته، ومن كتب في العامية الدكتور برون (1805م-1876م) -prron.D.- وهو طبيب تخرج من باري، وألف (قواعد العربية) باريس 1832م، و(العربية العامية في الجزائر) 1832م، وألف فيها المستشرق بوسييه (1821م-1873م) -Beaunssier.A- الذي قضى زمنا طويلا في الجزائر، وصنف المعجم العلمي العربي الفرنسي، وقد جمع فيه التعابير اللغوية المستعملة في لهجات شمال إفريقيا (الجزائر 1887م)"[5] فكان نتيجة ذلك أن "امتزجت اللغة العامية بالعديد من المفردات الفرنسية، وأدت هذه الحالة إلى انتشار الحديث باللغة الفرنسية، حيث أصبح الجزائريون المتعلمون باللغة الفرنسية يصعب عليهم التعبير عن الكثير من الأمور باللهجة العامية فيلجأون إلى التحدث باللغة الفرنسية"[6]، وهكذا أصبحت لغة الحوار بين كثير من الجزائريين هي اللغة الفرنسية أو عامية تضم

---

[1]- د.أحمد بن نعمان –التعريب بين المبدأ والتطبيق- ص169.

[2]- هذا الخليط من صنع الاستعمار أما العامية الجزائرية فبقيت محافظة على صفائها ونقائها وصلتها بالعربية في بعض المدن.

[3]- أنور الجندي - الثقافة العربية إسلامية أصولها وانتمائها –ص318/317.

[4]- نفس المرجع –ص316.

[5]- ابن حمو محمد –دور التبشير والاستشراق في الثقافة العربية الإسلامية في الجزائر –ص151.

[6]- د.أحمد بن نعمان – التعريب بين المبدأ والتطبيق - ص188.

سادسا : إتلاف التراث القومي وحرق المخطوطات

اللغة العربية جاءت مع الفاتحين الأولين، فامتدت جذورها طولا وعمقا وعرضا حتى شملت الحضارة الإسلامية كلها، واحتضنت جميع العلوم والثقافات فعربتها وأخرجتها في صورة جديد بلسان عربي مبين، والجزائريون يعتزون بهذا الانتماء التاريخي للغة، فمنه يغترفون ويرتشفون ومنه ينطلقون وبه يعبرون..وليقتل المستعمر لغة هذا الشعب ويصده عن دينه، ويقطع الصلة بالماضي ويبتر الشرايين التي يتزود من خلالها هذا الشعب، بتره عن تراثه وثقافته وتكريس عملية المسخ المستمرة، "فحاولت سلطات الاحتلال أن تقطع الصلة النفسية والعاطفية بين المواطن الجزائري وماضيه، فأدعت أن الجزائر لم تشهد أي نوع من الازدهار الحضاري إلا في ظل الدولة الرومانية، أما الحضارة العربية الإسلامية، التي طبعت الشمال الإفريقي بطابعها وصهرته في بوتقتها فلا تعدو أن تكون حضارة وافدة دخيلة تسللت مع أصحابها الغزاة دون أن تترك أثر يذكر في حياة شعوب المنطقة"[1]

بعدها عمد الاستعمار إلى الاستيلاء على كنوز التراث الثقافي العربي الجزائري، الذي عثر عليه عند دخوله إلى الجزائر في جميع المدن والمراكز الثقافية والعلمية التي كانت تزدهر فيها الثقافة، فنهب ذلك التراث الذي "عثر عليه في المكتبات الجزائرية مثل المخطوطات والوثائق والكتب فقد كان ضباط جيش الاحتلال الفرنسي، ورجال الدين المسيحي الذين رافقوه في عمليات الغزو (1830-1900م) التي استمرت مدة سبعين عاما، ينهبون المكتبات الجزائرية التي يعثرون عليها في مختلف جهات القطر سواء كانت عامة أو خاصة، ويرسلون بمحتوياتها إلى ذويهم فرنسا، أو يبيعونها لتجار الكتب الأروبيين الذين يأخذونها إلى أروبا.

هذا فضلا عن المكتبات والكتب التي أحرقوها أو بعثروها، كما فعلوا بمكتبة الأمير عبد القادر قائد المقاومة الجزائرية في سنوات الاحتلال الأولى (1832م-1847م) بعد أسره في عام 1847م"[2]. كما وجدنا أن المخطوطات النادرة ذات القيمة التاريخية والعلمية، والوثائق المهمة..وغيرها، اهتم بها أكثر "وعهد إلى المستشرقين في فحصها ودراستها، وفهرستها، وإدخالها في ملكية المكتبة الفرنسية"[3]، حدث كل هذا تحت أعين القادة الاستعماريين وبتشجيع منهم وبشهادة الكثير منهم ومن مؤرخيهم، الذين لم يخجلوا من ذكر هذه الشهادات المخزية!؟ وهاهم

---

[1]- حسن عبد الرحمان سلوادي – عبد الحميد بن باديس مفسرا- ص31/30.

[2]- د.تركي رابح – التعليم القومي والشخصية الجزائرية - 1931م/1956م ص96

[3]- د.عائشة عبد الرحمان "بنت الشاطئ" - لغتنا والحياة – ص177.

شهادة الرحالة الألماني موريس فاغنر –Maurice Wagner- وكان قد أقام في الجزائر مدة طويلة.. وقد كان من المشاركين في الحملة الاستعمارية على مدينة قسنطينة فقد ذكر في كتابه (رحلات في ولاية الجزائر) : "أن جنود فرنسا قد أتلفوا عددا كبيرا من المخطوطات النفيسة التي عثروا عليها في دار ابن عيسى بقسنطينة، وتساءل : لماذا يحرم الجزائريون من هذه المخطوطات التي تزودهم بالمعرفة؟؟ !"[1] ، ولاشك أن هذا التساؤل من فاغنر –Wagner- له دلالاته العميقة، لأن هذه المخطوطات العلمية النادرة والوثائق التاريخية القيمة لا تزود الجزائريين بالمعرفة فقط بل و"تبرز خصوصية التاريخ الجزائري، وتؤكد بالدليل الساطع على تعلق هذا الشعب بعروبته وإسلامه"[2] وهذا الذي كان المستعمر يريد أن يطمسه..لذا عندما نريد دراسة التاريخ الجزائري في جميع جوانبه الاقتصادية، أو السياسية، أو الثقافية والأدبية..نجد أن هناك كثير من الحلقات مفقودة، مع قلة المصادر التراثية والمخطوطة التي تزودنا بما نريد إبرازه ، ولاشك أن هذه النقائص جزء كبير فيها يعود إلى ما فعله المستعمر بالتراث العربي الإسلامي وما فعله بالمخطوطات الجزائرية. وربما هذا ما يفسر الحملة الاستعمارية والاستشراقية على العهد العثماني خاصة ما تعلق بوضع ومكانة اللغة و الأدب فيه، لأن جميع ما يبرز ذلك ويدفع تلك الحملات والشبهات قد اتلف وأحرق وأبعد عن الأنظار.

سابعا : محاربة العربية بالإعلام والمؤلفات الفرنسية

يلعب الإعلام خاصة منه الصحافة دورا هاما في صناعة الرأي العام وتكوينه، ونشر الأفكار المختلفة وتثقيف الشعوب وتعليمها، ولقد كان هذا الدور للصحافة في مختلف البيئات وعند كل الشعوب، وقد حاول بعض الجزائريين في ظل الاحتلال أن يقوموا بهذا الدور من خلال الصحافة التي أنشأوها مثل : عمر بن قدور، وعمر راسم، والعمودي، وأبو اليقظان، وابن باديس، وغيرهم من الذين أنشأوا صحافة عربية متنوعة ليعملوا على توعية وتثقيف المجتمع الجزائري، ونشر اللغة القومية بين أفراده، غير أن المستعمر لم يتركها تؤدي وظيفتها وإنما "حاربها بكل شدة، وعمل على خنق صوتها تمشيا مع سياسة محاربة الثقافة العربية واللغة العربية وكل وسائل الثقافة العربية.

---

[1]- د.أبو العيد دودو – الحياة الثقافية في الجزائر المعاصرة - مجلة الثقافة – العدد 9/8 – ص48/47 - السنة 02 /ربيع الأول – جمادى الأولى 1392هـ / مايو حويلية 1972م.

[2]- حسن عبد الرحمان سلوادي – عبد الحميد بن باديس مفسرا – ص31.

ومن هنا كانت معظم الجرائد والمجلات العربية ما إن تبدأ في الصدور حتى تختفي بسرعة[1] والسبب في ذلك. هو أن الاحتلال يبادر بإغلاقها أو مصادرتها"[2] كما حارب الصحافة العربية التي تصدر في البلاد العربية المجاورة وذلك بمنعه دخولها وتداولها بين الجزائريين لأنها لا تمثل ثقافته ولا لغته ولسانه..ولأنها تمثل الثقافة العربية واللسان العربي. حاربها المستعمر بكل قوة ودون هوادة، فما إن تظهر للوجود صحيفة أو مجلة عربية إلا وسارع لوأدها وهي في بداية الطريق حتى لا يدع للحرف العربي أي متنفس ينطلق من خلاله، بل وعمل على إنشاء صحف ناطقة بلغته الفرنسية، ثم أنشأ وسائل إعلام واتصالات أخرى مثل الراديو والسينما والتلفزيون، وكلها وسائل خطيرة، ليمكن من خلالها للفرنسية والفرنسة و"تشجيع الاتصال بالحضارة الأوروبية بواسطة الكتب والصحف، ثم بواسطة السينما والراديو والتلفزيون"[3] حتى أنه "كثر عدد الصحف الفرنسية في الجزائر فكانت هي وجه البلاد الإعلامي ، وتضاءل أمامها حضور الصحافة العربية حتى التي كانت خاضعة للسلطة أو معبرة عن وجهة نظرها"[4] وهذا كله حتى يتمكن من الهيمنة التامة والاستيعاب الكلي للمجتمع الجزائري، حتى ينصهر تماما في الحضارة الأروبية، لأن الجزائر في نظر فرنسا هي قطعة منها وجزء من أرضها لهذا "أغرقتها بسيول من الكتب والصحف والأسطوانات والأفلام الفرنسية، وأنشأت بعد عشر سنوات من الاحتلال مكتبتي (شبكس) و(هاشيت) برأس مال قدره ستة ملايين جنية إسترليني عام 1842م لتكون هذه نواة الحركة الثقافية الفرنسية في شمال أفريقيا، ثم أنشأت مراكز في وهران للزحف على غرب الجزائر، وفي قسنطينة للزحف الثقافي على شرق الجزائر، ولم يلبث أن أصبح (الهاشيت) ثلاثمائة مركز، وأصبحت جريدة لموند توزع في الجزائر 7800 نسخة، كما توزع الفرتي سوار 13600 نسخة "[5]. ودون شك أن هذا السيل من الوسائل الإعلامية خاصة منها الصحافة لعبت دورا مهما في احتواء المجتمع الجزائري ثقافيا ونشر الحرف اللاتيني واللغة الفرنسية بين مختلف طبقاته، ودفع الجزائريين نحو الفرنسة بكل قوة، في ظل غياب وتغييب إعلام عربي وصحافة ناطقة بالعربية يتولى الرد على الإعلام الفرنسي ويوقف زحفه نحو المجتمع.

---

[1]- مثل جريدة المنتقد لأبن باديس، والجزائر لمحمد السعيد الزاهري، وميزاب لأبي اليقظان وغيرها.

[2]- د.تركي رابح – التعليم القومي والشخصية الجزائرية –1931م/ 1956م - ص97.

[3]- د.نور سلمان – الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرير – ص61.

[4]- نفس المرجع – ص72.

[5]- أنور الجندي –العالم الإسلامي والاستعمار السياسي والاجتماعي والثقافي- ص235- دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة –بيروت لبنان- الطبعة الثانية 1983م.

المطلب الرابع : نتائج محاربة الثقافة واللغة العربية

يمكننا الآن بعد أن أتينا على ذكر الأهداف الثقافية لضرب اللغة العربية التي وضعها المستعمر، والوسائل التي أعتمدها في تحقيق تلك الأهداف أن نذكر النتائج المترتبة عن ذلك والتي تبرز بشكل واضح موقع اللغة العربية في المجتمع الجزائري في ظل الإحتلال، ويمكننا إجمالها فيما يلي:

أولا : فرنسة المحيط الاجتماعي

إن الأهداف الثقافية التي كان يرمي إليها المستعمر لغرض بسط الفرنسة التامة على الشعب، والحرب الشعواء التي شنها على اللغة وروافدها وتفتيت البنى التحتية للثقافة من خلال القضاء على المراكز التعليمية، والتضييق على العلماء والكوادر المثقفة، وفرض القوانين والمراسيم التي كانت تصدر تباعا للتضييق على اللغة العربية ومؤسساتها، وقطع الصلة مع الروافد المشرقية ونحو البلدان العربية... كل هذا وغيره مهما كان المستعمر يعمل على تحقيقه وفق خططه الخبيثة التي استعملها والتي بدأها من فرض التعليم الفرنسي، وصنع فئة من أبناء الجزائر، خاصة أبناء الأعيان وتعليمهم خارج الجزائر في فرنسا لجعلهم الكوادر المستقبلية مع تشجيع العاميات وإحياء اللهجات، وإتلاف وحرق تراث وكنوز المجتمع الجزائري التي تبرز ثقافته وانتماءه، مع تسخير كل الوسائل لإبراز الإعلام الفرنسي وإقصاء الإعلام العربي... كل هذا يجعل المحيط الثقافي والمحيط الاجتماعي الجزائري يتغير ويتبدل كلية نحو الفرنسة التامة "حتى الشارع لم يسلم من انتشار اللسان الفرنسي وعادات الفرنسيين وتقاليدهم لكثرة المعمرين والضباط والجنود والإداريين"[1] فأصبح الزائر لمدينة من المدن الجزائرية كأنه في مدينة أروبية أو بلد أروبي حيث "أصبحت المدن الجزائرية وشوارعها، والقرى الحديثة وشوارعها، وكذلك المعالم الثقافية والحضارية في الجزائر تحمل في الغالب أسماء أجنبية فرنسية"[2] لرجال "وقادة الغزو العسكري والفكري للجزائر أمثال (بيجو) و(كلوزيل) و(لا فيجري). ولأعلام الفكر والأدب الفرنسي مثل (ديكارت) و(فكتور هيجو) و(لامارتين).."[3] وهذا بعد أن "أزيحت عنها الأسماء العربية الجزائرية والإسلامية، بحيث صار الزائر للجزائر في عهد الاحتلال يتصور نفسه وكأنه في بلاد أروبية،

---

[1]- ابن حمو محمد – دور التبشير والاستشراق في الثقافة العربية الإسلامية في الجزائر - ص148.

[2]- د.تركي رابح - جهود الجزائر في تعريب التعليم العام والتقني - مجلة الفيصل - العدد 87 -- ص42 - السنة8 - المجلد1 – رمضان 1404هـ/ حزيران يونيو 1984م.

[3]- د.أحمد بن نعمان – التعريب بين المبدأ والتطبيق - ص150.

وليس في بلاد عربية إسلامية"[1] وهذه الطريقة تمت الفرنسة الشبه تامة للمحيط الاجتماعي وهذا من أهم ما حققه المستعمر الفرنسي في واقع الجزائريين.

ثانيا : انتشار الأمية

وهذه من أخطر النتائج التي حققها المستعمر بشكل رهيب ومخيف بين الجزائريين الذين كانت الأمية "أقل انتشارا في الجزائر قبل الاحتلال، لأن نسبة الأمية بين الرجال كانت في بداية الاستعمار أقل من أربعين بالمائة-40 % - فلما ذهب الاستعمار خلف وراءه نسبة في الأمية هي أكثر من ثمانين بالمائة 80 %" [2] ولا شك أن الأمية شملت الجزائريين كلهم كبارا وصغارا، نساءا ورجالا "حتى أصبحت تشكل 94,9% بين الرجال و98,4% بين النساء أما القلة التي أتاح لها الاحتلال التعليم والثقافة فلم تتجاوز نسبتها 5,1 % بين الرجال و2,6% بين النساء"[3]. وهذا الانتشار الكبير للأمية كان نتيجة لما قام به المستعمر من محاربة التعليم العربي ومراكزه وللثقافة العربية ومصادرها وروافدها المغذية لها..ففي ظل إقصاء هذه المحاضن نشأت أجيال متعاقبة في ظل الجهل والظلام حتى "غدا السواد الأعظم من الجزائريين أميين لا يعرفون قراءة ولا كتابة، جاهلين دينهم وتاريخهم، وصارت الثقافة الإسلامية غريبة ممتهنة في عقر دارها وبين ذويها.."[4].

ثالثا : ضعف الحركة الأدبية والثقافية

الحركة الأدبية والنهضة الثقافية التي شهدتها الجزائر قبل الاحتلال لم يعد لها وجود بعده بالشكل الذي كانت عليه ، حيث "لم تكن تواجه غيابا ثقافيا كليا، وذلك بفضل العلماء والمؤلفين، وبعض الأدباء الذين ساهموا في المحافظة على التراث وعلى اللغة العربية، وإن كانوا يمثلون الفئة التقليدية المحافظة"[5] ولكن رغم وجود هذه الفئة المحافظة من العلماء والمؤلفين إلا أن الازدهار الذي يعيشه الأدب غاب، وأصاب"الأدب العربي أيام الاحتلال خمود رهيب وانفصام عن العصر وعن الحياة الفكرية والحضارية، وكادت منابعه أن تنضب من البلاد لولا رحمة الله بالعباد"[6] وقد

---

[1]- د.تركي رابح – المقال السابق - ص42.

[2]- د.نور سلمان – الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرير - ص64.

[3]- د. تركي رابح – التعليم القومي و الشخصية الجزائرية 1931م/1956م – ص 95.

[4]- عبد المجيد بن عدة – مظاهر الإصلاح الديني والاجتماعي والتربوي في الجزائر من خلال جهود الرواد المصلحين 1900م/1925م –ص28 - رسالة ماجستير من جامعة الجزائر - معهد التاريخ -1991م/1992م.

[5]- د.نور سلمان – الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرير ص129.

[6]- محمد مهداوي - الإبراهيمي نضاله وأدبه - ص20.

أبان الدكتور صالح خرفي هذه الحالة والوضعية التي كان عليها الأدب خلال فترة الاحتلال الفرنسي فقال :"..عاش في نطاق محدود جدا، وبملامح باهتة، وانحسرت موجته، وانكمش مفهومه، لا يكاد يتخطى عتبة الزاوية، مادحا أو متضرعا، وانطمست معالم الحيوية فيه، ففي الشعر لم تبق له إلا أجراس التفعيلة المقفاة في المنظومة المديحية، بل تلوح لنا بعض الفترات مجدبة من أي نص له لحمة بالأدب، فما بالك بالمضمون المقاوم"[1].

وإذا كان هذا هو الوصف الذي أبرز به الدكتور خرفي حالة الأدب، فإن الشيخ محمد البشير الإبراهيمي –رحمه الله– قد أكد هذه الحقيقة وهذا الوصف للأدب في ظل الاحتلال حين طلب منه أن يبدي وجهة نظره في شعر فترة الاحتلال، فقال :"..وقد أطلعنا على أكثرها، فإذا هي لون واحد، فإذا هي مصروفة في الغالب إلى مدح المشايخ والكبراء، وإذا هي أخت الأشعار الملحونة الرائجة في السوق، لأنها منقطعة الصلة بالشعر في أعاريضه وأضربه، ومنقطعة الصلة بالعربية في ألفاظها ومعانيها، ومنقطعة الصلة بالخيال في تصرفه وانتزاعه، بل أنا أحكم بأن في الشعر الملحون ما هو شعر على الحقيقة، فقد سمعت من شعر القرن الماضي (19م) ما يفيض حكمة وحثا على الفضائل والكمالات وتخويفا من الله والآخرة.."[2].

ولا ريب أن ضعف الحركة الأدبية شعرا ونثرا هو نتيجة منطقية لضعف اللغة العربية بعد الحروب الشعواء التي تعرضت لها من طرف الاحتلال، فأدى ذلك إلى ضعفها، هذا الضعف انعكس على الأدب فتوقف عن النمو والازدهار وأصابه الجمود والضعف مثلما أصاب اللغة الأداة التي يعبر بها ويبدع من خلالها.

فغياب اللغة أدى إلى غياب الأدب، وضعفها أدى إلى ضعف الأدب وانحسارها، أدى إلى انحسار الأدب.

رابعا : ضعف اللغة العربية وتقهقرها

وهكذا وصلت الجزائر إلى وضع لا يحسدها عليه أحد، حال تسير فيه نحو الفناء والزوال، ولقد أجمع كل من زارها في تلك المرحلة على هذا الوصف، فقد كتبت جريدة النجاح في عدد نوفمبر سنة 1925م في قسنطينة بهذا الصدد تقول :"إن اللغة العربية صارت تتضاءل بالرغم من أهميتها عاما بعد عام، وأضحى الناس يقولون : إنها لغة أصبحت عظاما بالية، لا يمكن تداولها، بعد أن سلبتها لغات أخرى ذلك الجمال الباهر الذي كان قد شغل الألباب وحير العقول، هاهي اللغة

---

[1]- د.صالح خرفي – شعر المقاومة الجزائرية – ص8/7 – الشركة الوطنية للنشر والتوزيع – الجزائر – دون تاريخ.

[2]- آثار الشيخ محمد البشير الإبراهيمي – الجزء الأول– ص72/71 – المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر – الطبعة الأولى– 1398هـ / 1978م.

العربية اليوم منبوذة بالعراء، ولئن أحسنها أفراد قليلون وسع فيها أشخاص لا يتجاوزون عدد الأنامل، وذلك نتيجة لعنصرية الأروبيين وأنانيتهم في الجزائر، فأصبح طلب العلوم الإنسانية في هذه البلاد ضربا من المحال بعد أن تقلص ظلها وتوقف قطارها تدريجيا بوفاة العلماء الأعلام، في كل مكان من هذا القطر نتيجة لتزايد عوامل التقهقر والإضطهاد"[1] وهذا الوضع المزري للغة العربية، وسير المجتمع الجزائري نحو العزلة والفناء، نجد له أصدق وصف فيما جاء على لسان محمد فريد وجدي لما زار الجزائر سنة 1901م، وهاله ما رأى من حالة الشعب الجزائري فسجل ذلك في جريدة اللواء قائلا:".. إن الأهالي هناك يعاملون بقوانين مخصوصة غاية في الشدة والصرامة، فهم محرومون من حرية الكتابة وحرية الاجتماع وحرية السفر وحرية مطالعة الكتب والجرائد.. ثم يواصل: هجرت ربوع العلم، وخربت دور الكتب، وصارت الديار مرتعا للجهل والجهلاء، وكادت تدرس معالم اللغة العربية الفصحى، وتطرقت إلى اللغة العامية الكلمات الأجنبية، بل أصبحت اللغة الفرنساوية هي لغة التخاطب في العواصم مثل وهران الجزائر قسنطينة عنابة وغيرها... إن حالة التعليم في القطر الجزائري سيئة جدا، ولو استمر الحال على هذا المنوال لحلت اللغة الفرنسية محل العربية في جميع المعاملات، بل ربما تدرس العربية بالمرة مع مضي الزمن، فلا الحكومة تسعى في حفظها ولا تدع الأهالي يؤلفون الجمعيات لفتح المدارس... نعم يصعب على الذي يعرف حب الفرنسيين للحرية والمساواة، أن يصدق ذلك؛ ولكن من يتكلف مشقة زيارة الجزائر يتحقق أن ما هو جائز في بلاد فرنسا غير مباح للمسلمين في المستعمرات، وإن كان مباحا للفرنساويين، فلا يجوز لهم أن يؤلفوا جمعية ولو لفتح مدارس، ونشر التعليم المجرد، وهذا الإذن لا يمنح مطلقا، كما أنهم لا يجوز لهم تأسيس مطبعة أو جريدة..وقد منعت عنهم الجرائد إلا لإدارة المبشر[2] مبادلة، وهناك تحفظ في حرز مكين حتى لا تخرج بعض أعدادها من الإدارة فتصل أخبار الإسلام والمسلمين إلى إخوانهم الجزائريين.. وقد منعت الجرائد الفرنسية التي تنشر أخبار انتصار الإسلام على الأروام أيام حرب اليونان مع الدولة العلية...ولما أرسلت إلى الجرائد العربية أثناء إقامتي بمدينة الجزائر حجزتها إدارة البوسطة"[3] وكان قد صرح قبل ذلك ما يشبه هذا الكلام الشاعر الكبير أحمد شوقي لما زار هو الآخر الجزائر سنة 1893م وقال قولته

---

[1]- د. عبد الكريم بوصفصاف – جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية – 1931م /1945م – ص44 – نقلا عن جريدة النجاح عدد 245 لسنة 1925م.

[2]- جريدة المبشر هي الجريدة الوحيدة في القطر الجزائري في ذلك الوقت، وهي جريدة رسمية حديثها كله في فضل فرنسا والولاء لها.

[3]- د.أحمد بن نعمان – التعريب بين المبدأ والتطبيق – ص172/171 – نقلا عن جريدة اللواء المصرية – العدد 012 – أكتوبر 1901م.

المشهورة التي تناقلتها الصحف :"ولا عيب فيها –أي الجزائر غير أنها قد مسخت مسخا. فقد عهدت مساح الأحذية يستنكف النطق بالعربية، وإذا حاطبته بها لا يجيبك إلا بالفرنسية"[1]. هذا الوضع الذي نقلناه من خلال هذه الشهادات الحية عن وضع الجزائر في شتى المجالات، حتى وصل الأمر بأحد أعضاء المجلس البلدي في مدينة الجزائر بأن يقول لزميله الفرنسي –وكنه تبعية وانغماس في الحضارة الأوروبية وقد فقد شخصيته وهويته – :" إنني أشعر بالخجل من عربيتي"[2] بل ليت الأمر وصل إلى الخجل من الانتماء للأمة الجزائرية أو اللسان العربي، والاستنكاف عن الحديث به، بل وصل الأمر إلى غاية الخطورة لما يصرح أحد أبناء الجزائر في تلك الفترة من جراء الاستلاب الحضاري والذوبان في الثقافة الفرنسية، يصرح بأن لاوجود لأمة بلغتها وشخصيتها وحضارتها وتاريخها اسمها الجزائر على مر التاريخ، هذا الرجل هو فرحات عباس الذي يقول :"..ولو أني اكتشفت القومية الجزائرية لكنت من القوميين، ولما خجلت من ذلك، فالرجال الذين ماتوا من أجل مثلهم الوطنية مكرمون محترمون، ولا تساوي حياتي أكثر من حياتهم، ومع ذلك فلن أموت من أجل وطن جزائري، لأن ذلك الوطن ليس له وجود، لقد سألت التاريخ وسألت الأحياء والأموات وزرت المقابر، فلم يحدثني أحد عنه، ولا يمكن البناء على الهواء،وقد استبعدنا تماما هذه الأوهام لنربط نهائيا مستقبلنا بما حققته فرنسا لهذه البلاد"[3].

وهذه من أخطر النتائج التي وصل إليها الحال الذي صنعته فرنسا وكانت تبحث عنه، بأن ينكر وجود أمة هي أعرق منه في الوجود، وربط مستقبل هذه الأمة بالمستعمر، لكن هيهات هيهات؟؟.

---

[1]- د.نور سلمان – الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرير - وقوله شوقي هذه رد عليها من طرف الشيخ عبد الحميد بن باديس في الشهاب المجلد10 -- وسنشير إليها لاحقا.

[2]- د.أبو القاسم سعد الله – الحركة الوطنية- الجزء الثاني – ص339 - الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر -- 1983م.

[3]- الشهاب –الجزء1- المجلد12- أفريل 1936م.

وقد ردت الشهاب على هذه القولة بما كتبه الشيخ عبد الحميد بن باديس بقوله :"إننا نحن فتشنا في صحف التاريخ، وفتشنا في الحالة الحاضرة، فوجدنا الأمة الجزائرية المسلمة مكونة موجودة، كما تكونت ووجدت كل أمم الدنيا، ولهذه الأمة تاريخها الحافل بجلائل الأعمال، ولها وحدتها الدينية واللغوية، ولها ثقافتها الخاصة، وعوائدها وأخلاقها، بما فيها من حسن وقبيح شأن كل أمة في الدنيا".ا.هـ.

الفصل الثاني

جهود جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في خدمة اللغة العربية

*المبحث الأول : دوافع و أهداف نشأة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

*المبحث الثاني : وسائل خدمة اللغة العربية و المحافظة عليها عند جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تمـــهيـــــد

في هذا الفصل تم التطرق إلى جهود جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في خدمة اللغة العـــربية و نشرها بين الناس ، كلغة دين وحوار وثقافة وأدب وحضارة وعلم ، بعد ما كاد المستعمـــر أن يقصيها من واقع الناس و يقضي عليها ، وهذا من خلال نشـــأة الجمعية وأهدافهـــا ، و الوسائل العمليـــة التي تذرعت من خلالها في واقع الجزائريين لترسيخ اللسان و البيان العربي و قد اقتضى ذلك منا أن نوظف مبحثين اثنين :

المبحث الأول : و كان الحديث فيه بشيء من التفصيل عن نشأة الجمعية و الظروف والملابسات و المقدمات التي رافقت ذلك ، ثم تطرقنـــا إلى الحديث عن الأهداف التي سطرتـــها الجمعيـــة ووضعتها محل العمـــل و التحقيق ، ثم عرجنا بعد ذلك إلى الحديث عن مكانـــة اللغـــة العربية و موقعها من اهتمام الجمعية ضمن أهدافها و خطتها العامة ، ثم أسباب نجاحهـــا في مسعاها لخدمة اللغة العربية و الحفاظ عليها .

المبحث الثاني : أشرنا فيه بشيء من التفصيل إلى الجانـــب العملـــي و التطبيقي الذي انتهجتـــه الجمعية في واقع الأمة لإحياء اللغة العربية ، أي أهم الوسائل التي اعتمدتهـــا الجمعية في خطتها و عملها لخدمة و نشر اللغة العربية و المحافظة عليها و بعثها من جديد ، و قد وجدنـــا أن هذه الوسائـــــل تعددت و تنوعت ، و قد فصلنا الحديث عن كل وسيلة و دورها في نشر و بعث اللغة العربية من جديد ، و قد بدأنا الحديث عن التعليم العربي الحر ثم عرجنا على الصحـــــافة العربية الحـــرة كذلك ، مرورا بالنوادي المتنوعة و المختلفة ، و المطبعة، و الكشافة الإسلامية . و التواصل مع الشرق ، و إحياء التـــراث القومي ،.. كل هذه الوسائـــل و كيف وظفتهـــا الجمعية و جعلتها في خدمة اللغة العربية و الثقافة العربية ، و نشرها بين النـــاس ، و إحيائها من جديد و المحافظة عليها ، و جعلها قضية المجتمع كله و مطلب من أهم مطالبه .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول

دوافع وأهداف نشأة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

قومية عروقها متينة، وملة قيمتها ثمينة، وإن أصيبت أعضاؤها بخدر أنتجته الحوادث، فالأمل أنه خدر قصير المدة، وسينقطع وتتحرك أعضاؤها بنشاط تام...فمالنا من رغبة في الاندماج في فرنسا ولا بغيرها من الأجناس، ومالنا رغبة في نيل حقوق تجر علينا الويل والدمار.

إنا قوم لا نريد من فرنسا أن تمن علينا بتمدنها وعدلها، لأن لنا تمدنا وعدلا...فصار كل شيء عندنا بعدها سرا، وهل بعد ذوق العسل تذوق الحنظل؟"[1] وتعد هذه الصيحة تعبيرا مبكرا عن صحوة قوامها القومية العربية والحضارة الإسلامية المنفصلة عن فرنسا، والرافضة لكل شكل من أشكال الاندماج مع فرنسا ومع غيرها، وتنبيه إلى أن الأمة بدأت تستيقظ وتفيق وهي في طريقها إلى النهوض.

وهذا الرفض من عمر بن قدور صحبه عمل جاد في تنبيه الأمة ليعمها الرفض لكل ما هو استعماري من خلال إحداث ثورة تعليمية فنادى سنة 1920م بتأسيس المدارس العربية الحرة حيث "لم يخذله الواقع العاثر في قيام أول مدرسة عربية حرة في عاصمة الجزائر سنة 1923م (مدرسة الشبيبة الإسلامية) وكان عمر بن قدور أول مناد بها، وكانت هذه المدرسة أول لبنة تربوية ثقافية أدبية في النهضة الإصلاحية عروبة وإسلاما في الجزائر العاصمة"[2]. ولا ريب أن هذه الصيحات لهؤلاء المصلحين أحدث نوعا من التطور في الفكر وابتكارا في الأساليب التي تحقق الأهداف التي يطمعون إليها. يقول الدكتور ركيبي :"وهذا التطور في الفكر الإصلاحي دفع الأدباء وعلماء الدين في هذه الفترة إلى المناداة بتكوين حزب (إصلاحي وإلى التكتل في تنظيم يساعدهم على تحقيق أهدافهم)[3] فالشيخ الطيب العقبي تمنى سنة 1925م في جريدة المنتقذ أن :"يوحد ذوو العلم الصحيح صفوفهم، ويجمعوا أشتاتهم حتى يكونوا من جموعهم جبهة دفاع قوية تقف في وجه ذوي العقائد الزائفة لترد إفك الأفاكين، وتدحض حجج الدجالين المضلين"[4].

ثانيا : دور الصحافة

في أوائل القرن الحالي كانت لبعض الجزائريين صحافة عربية حرة تعبر عن أفكار إصلاحية نهضوية تخالف السياسة الاستعمارية من تجنس واندماج وفرنسة وغيرها... وتدعو إلى اليقظة والتميز عن الاستعمار، وبث روح الانتماء العربي الإسلامي للمجتمع الجزائري.

وقد لعبت هذه الصحافة دورا رائدا في تلك المرحلة في صنع رأي عام وطني يحمل الأفكار

---

[1]- د.صالح خرفي – المرجع السابق - ص09.

[2]- نفس المرجع - ص10.

[3]- د.عبد الله ركيبي – الشعر الديني الجزائري الحديث - ص573.

[4]- نفس المرجع - ص573 .

الإصلاحية، كما استطاعت صنع صحوة وطنية شاملة، هذه النتائج تجعلنا لا نغفل "الدور الذي لعبته الصحافة العربية الإصلاحية في الجزائر، في أوائل العشرينات في تحضير الرأي العام لتقبل الحركة الإصلاحية"[1] وأهم هذه الجرائد والمجلات التي عملت على صنع الرأي العام الذي يقبل الفكرة الإصلاحية "الفاروق" لعمر بن قدور، و"الحزائر" و"ذو الفقاري" للفنان عمر راسم، و"الأقدام" للأمير خالد، و "الجزائر" للزاهري ، و"المنتقد" و " الشهاب" للشيخ عبد الحميد ابن باديس، و"وادي ميزاب" و"ميزاب" للشيخ أبي اليقظان، و"صدى الصحراء" و"الإصلاح" للشيخ الطيب العقبي ، وهذه الصحافة على تعددها، وتقارب فترات صدورها ، ورغم محاربة الاستعمار لها ، وتعطيلها عن الصدور ، إلا أنها استطاعت أن تحقق الأهداف التي رسمت لها في إيقاظ الرأي العام الجزائري ونشر الأفكار النهضوية والإصلاحية، وتهيئة الرأي العام لاحتضانها.

ثالثا : عودة أطلبة الأوائل الذين تلقوا تعليمهم في المشرق

هناك مجموعة من الطلبة الجزائريين الذين غادروا إلى المشرق لتلقي العلوم والاستزادة من الثقافة والتعرف على المدارس الفكرية والأدبية في جامعات ومعاهد تلك الدول، لأنها كانت على حال أفضل منها في الجزائر في مجال التعليم ، ووفرة المؤسسات التعليمية والمشايخ الأكفاء ، ووفرة الكتب والمطبوعات ، و بروز نهضات علمية وأدبية مختلفة...هؤلاء الطلبة الذين تلقوا تعليمهم هناك ، رأوا أنه من واجب الأمة الجزائرية عليهم أن يعودوا إليها ، ويحدثوا من النهضة فيها ما يماثل نهضة المشرق "وفي هذه الأثناء حل بالجزائر عدد من رجال الفكر والإصلاح"[2] الذين أنهوا دراستهم في البلاد العربية كالحجاز ، ومصر ، وتونس حيث تلقوا العلم هناك بفكرة إصلاحية ناضجة مختمرة ، وكان من بينهم البشير الإبراهيمي و الطيب العقبي و مبارك الميلي و طفيش"[3] وأحمد توفيق المدني وقبلهم الشيخ عبد الحميد بن باديس "وقد أقام هؤلاء كل في منطقته يعلم ويربي و يدعو إلى إصلاح بالعلم و الحكمة فكانوا مع ابن باديس النواة الأولى لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين"[4] التي خرجت إلى الوجود في مايو سنة 1931م.

---

[1]- د.أحمد الخطيب –جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها الإصلاحي في الجزائر – ص93

[2]- د.أبو القاسم سعد الله – محمد العيد آل خليفة رائد الشعر الجزائري في العصر الحديث – ص23 – دار المعارف –جمهورية مصر العربية– 1961م.

[3]- 3-د.أحمد الخطيب – المرجع السابق – ص93.

[4]- نفس المرجع – ص93.

رابعا : الثورة التعليمية التي أحدثها ابن باديس

الشيخ عبد الحميد بن باديس عند رجوعه من المشرق حيث أكمل دراسته في جامع الزيتونة المعمور، وبعد رحلته الطويلة التي قادته إلى عدة بلدان مشرقية عربية، التقى خلالها بكثير من العلماء والأدباء ورواد النهضة العربية الإسلامية، حيث نصحه البعض منهم بالرجوع إلى بلده وعدم الاستقرار بالمشرق، ليؤدي مهمته في الجزائر التي هي بحاجة إلى أمثاله من الرجال في إرجاع الشخصية الوطنية، وبعد أن اتفق مع رفيق دربه الشيخ البشير الإبراهيمي الذي لقيه بالمدينة المنورة، حيث قاما بدراسة عميقة للمجتمع الجزائري، وسبل النهوض به، ووضعا خطة منهجية لذلك حيث يبدأها الشيخ ابن باديس على أن يلتحق به الشيخ البشير الإبراهيمي بعد ذلك ليواصلا العمل معا.

ولقد حل الشيخ ابن باديس بمدينة قسنطينة مسقط رأسه ليحدث بها ثورة تعليمية وتربوية جديدة لا عهد لها به، وذلك منذ سنة 1913م. "حيث خرج من التقليد إلى التجديد، فكانت دروسه الحية وتربيته الصحيحة تفعل فعلها في نفوس تلاميذته فتخرجت على يديه أفواج من الطلبة مستكملة الأدوات"[1]. هؤلاء الطلبة الذين وصفهم الشيخ الإبراهيمي بعد ما رأى وسمع منهم ما أعجبه على أنهم أصحاب "فكر صحيح وعقول نيرة ونفوس طامعة وعزائم صادقة، وألسن صقيلة، وأقلام كاتبة، اعتبرت بحق طلائع العهد الجديد الزاهر"[2] هؤلاء التلاميذ الذين انتشروا في ربوع الوطن الجزائري يؤدون رسالتهم وواجبهم نحو أمتهم كانوا القاعدة الصلبة والأساس لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

خامسا : الإحساس العام بوضع الجزائر ووجوب تغييره

إن أغلب المؤسسين لجمعية العلماء كان يؤلمهم الوضع الذي كانت تعيشه الجزائر، وربما أرقهم ذلك فأبعد عنهم النوم ، و نغص عليهم حياتهم، فكانوا يفكرون دائما في الوسيلة والطريقة التي يمكن استعمالها لتغيير حال هذه الأمة نحو الأفضل، وكانت نقطة الارتكاز عندهم، كيف يمكن الحفاظ على الشخصية الوطنية؟ وكيف يمكن الحفاظ على مقومات هذه الشخصية؟.

هذا الإحساس العام كان من العوامل النفسية التي سارعت في دفع عملية النشأة لجمعية العلماء، وتوحيد صفوف هؤلاء العلماء حين أزف وقت التأسيس، لتحقيق الآمال والطموحات المنشودة

---

[1]- المرجع السابق - ص93.

[2]- محمد البشير الإبراهيمي - سجل المؤتمر الخامس لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين - ص 70/69 -المطبعة الإسلامية -قسنطينة - الجزائر- 1935م.

في تحقيق الحفاظ على الهوية الوطنية، وكان أحسن تعبير عن هذه الحالة النفسية ما ذكره الزاهري الذي استهل ترجمة حياته بحديث عن حال بلاده وحزنه العميق على ذلك بقوله :"أرى الجزائر في أنياب بؤس يمضغها مضغا، وأراها في فقر يأكلها أكلا لما، وأراها بعد ذلك تتخبط في جهالة عمياء، وتعمه في ضلال مبين فلا أستطيع لذلك صبرا، أراها كذلك فيذوب لها فؤادي رقة وحزنا، وتذهب نفسي عليها حسرات"[1] هذا الهم وهذا الحزن وهذه الحسرات على حال الجزائر، يزيده ألما وكمدا وأسى فيكاد يقضي عليه لما يتذكر أن هذه الحال جاءت بعد عز وسيادة ومجد وشرف، وبعد قوة وانتصار على الأعداء، لكن ذلك كله تغير بفضل الاستعمار، فيواصل قوله : "إنه ليكاد يقضي علي الكمد، ويقتلني الأسى إذا تذكرت ما كان لوطني من العزة والشرف وما كان له من السيادة على الفرنجة، ثم أراه صار بعد ذلك كله إلى الذلة والهوان، وكيف لا أمتلئ غما عندما أذكر شرف آبائي الجزائريين، وقد سقطت دولة الإسلام قاطبة، بسقوط الجزائر، فإنها وحدها كانت ترد الغارات التي تشنها أروبا على الإسلام وعلى أمم الشرق كله"[2]، ولا شك أنها ثورة نفسية خانقة ولدت نفسية ثائرة عاشها الزاهري كما عاشها غيره من العلماء المصلحين، هذه النفسية الثائرة وجدت مجال تنفيذ ثورتها على تلك الحالة في ظل جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

المطلب الثاني : نشأة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

ليس لنا أن نخوض فيمن دعا إلى تأسيس جمعية العلماء، ومن وضع قانونها الأساسي بين المدني والابراهيمي؟. غير أن ما يمكن قوله هو ما ذكره الدكتور أبو القاسم سعد الله :"إن ميلاد أي حركة هو عملية طويلة وفي بعض الأحيان مؤلمة، قبل أن يستطيع الناس رؤيتها وتقديرها"[3] ويعلق على ذلك الدكتور الخطيب بقوله :"وبالفعل فإن ميلاد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين كان عسير الوضع شاق الظهور، ذلك أن إنشاء جمعية إصلاحية في بلاد كالجزائر تخضع لاستعمار ضاغط يحصي على الناس أنفاسهم، لم يكن بالأمر الهين، ولكن ما جعل الأمر ممكن هو وجود أشخاص مؤمنين إيمانا راسخا بالإصلاح، متأثرين بالوضع المتردي الذي يعانيه أبناء أمتهم، ولم يعد من دواء لهذا الوضع سوى النهوض بالمجتمع العربي في الجزائر، نهوضا يستهدف التغيير في الحياة السياسية والدينية والعقلية والاجتماعية..."[4] وإذا كان ميلاد الجمعية عسيرا

---

[1]- د.صالح خرفي – محمد السعيد الزاهري – ص47 – المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر – 1986م.

[2]- نفس المرجع – ص47 .

[3]- د.أبو القاسم سعد الله – الحركة الوطنية-الجزء الثاني – ص114

[4]- د.أحمد الخطيب – جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها الإصلاحي في الجزائر – ص125

وشاقا في بلد كالجزائر في نظر الدكتور الخطيب، فإن الدكتور سعدي عثمان[1] يعد ميلاد الجمعية، حتمية من حتميات التطور التاريخي للحركات السابقة المنعزلة والمحلية.

وهذه الحتمية التاريخية للتطور لم تكن فقط نتيجة للحركات الإصلاحية بل كذلك نتيجة لحركات المقاومة والثورات المسلحة التي قادها الجزائريون ضد الاحتلال، فكان مجيء الجمعية "علامة على الثبات في المقاومة والإصرار على طابع الجزائر الإسلامي العربي الذي لا سبيل إلى محوه أو القضاء عليه..."[2]. ومما زاد في التسريع بميلاد جمعية العلماء هو الاحتفالات التي أقامها الاستعمار الفرنسي في الذكرى المائوية لاحتلاله الجزائر والتي بلغت ذروتها في الخامس من جويلية سنة 1930م وما صاحب ذلك من استفزازات دينية، وتحديات سياسية لمشاعر الأمة الجزائرية فكان كل ذلك "الدافع المثير لعلماء الدين المسلمين في الجزائر، الذي جعلهم يحثون خطاهم المتثاقلة ويتجهون نحو تشكيل جمعية العلماء"[3].

هذه الاحتفالات كذلك هي التي حفزت ابن باديس وجعلته يسرع الخطى في المناداة بتأسيس الجمعية، فشدد من دعوته إلى ذلك من خلال مجلة "الشهاب" وضرورة توحيد صفوف العلماء الجزائريين، فكان لهذا النداء الذي أطلقه ابن باديس وتلك الاحتفالات الاستفزازية الدور البارز في "ضم صفوف المصلحين من رجال مدرسة التجديد الإسلامي السلفية في الجزائر، وجمع شتاتهم في منظمة واحدة، وبذلك ظهرت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين،إلى الوجود"[4]

وهذا في الخامس من مايو سنة 1931م "وهذا التوقيت ليس بمحض الصدفة...ولكن الذكرى المبيتة على الشخصية الوطنية هي التي فرضت مجابهة تؤكد بقاء هذه الشخصية، فجاءت الحركة التي تحمل شعار العروبة والإسلام"[5] ويعقب على التوقيت الذي ظهرت فيه الجمعية الشيخ الإبراهيمي بقوله :"لو تأخر ظهور جمعية العلماء عشرين سنة لما وجدنا في الجزائر من يسمع صوتنا"[6].

---

[1]- انظر الدكتور – عثمان سعدي – التعريب في الجزائر كفاح شعب ضد الهيمنة الفرنكفونية – ص32 – شركة دار الأمة – الجزائر – دون تاريخ.

[2]- أنور الجندي – الفكر والثقافة المعاصرة في شمال إفريقيا – ص41.

[3]- د.أحمد الخطيب – جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها الإصلاحي في الجزائر – ص99.

[4]- د.تركي رابح –ابن باديس ونشأة الحركة الإصلاحية في الجزائر – مجلة الأصالة – العدد 24 – ص90 – السنة 4 – ربيع الأول – ربيع الثاني / 1395هـ – مارس/ أفريل – 1975م.

[5]- د.صالح خرفي – الشعر الجزائري الحديث – ص23 – المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر – 1984م.

[6]- محمد البشير الإبراهيمي – مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة العدد 21 ص 151 لسنة 1964م.

وتلقى المجتمع الجزائري ميلاد الجمعية بكل قبول وارتياح وأمل في غد أفضل ومستقبل أحسن لنشأة نهضة حضارية وقفزة نوعية للمجتمع تخرجه مما هو فيه، و"يمكن للباحث أن يعتبر هذه السنة في تاريخ الجزائر الحديث، سنة تاريخية حاسمة، جعلت وجود الاستعمار الفرنسي بالجزائر في قلق واضطراب، فقد أقلقت هذه الجمعية مضجعه، ونغصت عليه وجوده"[1]، وحينما نشأت الجمعية عهد ابن باديس إلى الإبراهيمي أن يضع لها قانونا أساسيا، فوضعه في ليلة وقرأه عليه صباحا كما يؤكد ذلك الإبراهيمي نفسه[2]. وقد جاء في فصلها الأول :"تأسست في عاصمة الجزائر جمعية إرشادية تهذيبية تحت اسم جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.."[3] وكان شعارها الذي رفعته (الإسلام ديننا، والعربية لغتنا، والجزائر وطننا)، كما انتخب الشيخ عبد الحميد ابن باديس رئيسا لها في غيابه، إذ لم يحضر اليوم الأول من التأسيس لكن رغم ذلك انتخبه العلماء بالإجماع رئيسا للجمعية، كما انتخب خيرة العلماء من أصحاب ابن باديس أعضاء لمجلسها الإداري أمثال الشيخ البشير الإبراهيمي، والشيخ إبراهيم بيوض، والشيخ الطيب العقبي، والشيخ مبارك الميلي، والشيخ السعيد الزاهري، والشيخ المولود الحافظي، والشيخ الأمين العمودي، والشيخ العربي التبسي وغيرهم من رجال هذه الأمة.

وصف رجال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

والتف العلماء والأدباء والمصلحون حول الشيخ عبد الحميد بن باديس وعملوا بكل جد وإخلاص وبكل تفان وتضحية لتحقيق الأهداف التي سطروها والمبادئ التي آمنوا بها..لتخليص الأمة الجزائرية مما تعانيه من هيمنة استعمارية وغزو فكري وثقافي، ومحو للشخصية واللغة الوطنية وانمحاء للدين ونسيان للتاريخ، رغم العراقيل والمعوقات، وهذه النقول وصفا لهؤلاء الرجال حتى نقدرهم حق قدرهم ونعرف مكانتهم التي تبوءوها في ظل الجمعية، ونصاعة التاريخ الذي صنعوه على مدار أكثر من نصف قرن قبل وبعد ظهور الجمعية.

فقد نقلت الشهاب في عددها الخاص باحتفالات ختم الإمام الشيخ ابن باديس لتفسير القرآن، رأيه في إخوانه العلماء الذين آزروه وأيدوه :"من حظ الجزائر السعيد، ومن مفاخرها التي تتيه بها على الأقطار أنه لم يجتمع في بلد من بلاد الإسلام فيما رأيناه وسمعنا وقرأنا مجموعة من العلماء : وافرة الحظ من العلم، مؤتلفة القصد والاتجاه، مخلصة النية، متينة العزم، متحابة في الحق، مجتمعة القلوب على الإسلام والعربية، قد ألف بينها العلم والعمل ، مثل ما اجتمع للجزائر في علمائها

---

[1]- د.عبد المالك مرتاض – فنون النثر الأدبي في الجزائر – ص03.

[2]- آثار الشيخ البشير الإبراهيمي – الجزء الأول – ص119.

[3]- د.أبو القاسم سعد الله – الحركة الوطنية- الجزء الثاني – ص454.

الأبرار، فهؤلاء هم الذين وري بهم زنادي، وتأثل بطارفهم قلادي، أطال الله أعمارهم ورفع أقدارهم"[1].

ويعقب الدكتور عمار طالبي على هذه الكلمة بقوله :"ولعل ابن باديس كان يقصد رفاقه العلماء الذين ناضلوا إلى جانبه قبل ظهور الجمعية وبعدها وهم :البشير الإبراهيمي الطيب العقبي، مبارك الميلي، العربي التبسي وغيرهم"[2]. ويرحل الشيخ البشير الإبراهيمي، -رحمه الله- ويؤبنه تلميذه وصديقه في الدرب الشيخ محمد خير الدين ويتذكر معه إخوانه الآخرين أمثال ابن باديس، والميلي، والعربي التبسي، ويتذكر نضالهم وجهادهم وعملهم المتواصل لخدمة الإسلام والعربية وتحرير الأوطان من دنس الاستعمار، فيصفهم بقوله : "أولائك لعمري الصيد الميامين، ونجوم الهدى ، وقادة الجهاد المقدس في معركة القومية العربية ، والوطنية الجزائرية والإسلام الصحيح... "[3].

ولا شك أن هذا الوصف لعلماء الجمعية بعضهم لبعض نتيجة جلاجل الأعمال التي قدموها والتضحيات التي منحوها للشعب والوطن ولأنهم "كلهم أو جلهم ممن لهم ماض حافل في خدمة الثقافة العربية والدعوة الإصلاحية السلفية، ومقاومة مشاريع الاستعمار المبيتة ضد الشخصية القومية للشعب الجزائري...جمعت بينهم وحدة الهدف، ووحدة الفكرة، والمشرب والغاية"[4] وهذه الأوصاف حقائق، وهذه النعوت واقع صحيح ليس من نسج العاطفة أو الخيال نحو الإخوان والأصدقاء، وما سوف نراه في الفصول اللاحقة مما قدمه هؤلاء في سبيل وطنهم ولغتهم ودينهم وتاريخهم وتراثهم وحضارتهم يبين حقائق هذه الأوصاف والنعوت.

المطلب الثالث : أهداف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

إن الدارس لتاريخ جمعية العلماء يرى أن الآراء تعددت حول الأهداف والغايات التي من أجلها أنشئت وعملت طول فترة وجودها غير أنه يمكننا القول أن هذه الأهداف لم تتضح لدى الرأي العام الجزائري مثلما اتضحت وبرزت معالمها عند مجيء جمعية العلماء فقد "كانت الأحزاب

---

[1]- الشهاب - الجزء 4و5 - المجلد 15 – ص290- حوان/حويلية 1938م.

-مذكرات الشيخ خير الدين – الجزء الثاني - ص121 – المؤسسة الوطنية للكتاب - الجزائر- دون تاريخ

[2]- د.عمار طالبي – ابن باديس حياته وأثاره - الجزء الأول –ص 79 - دار اليقظة العربية دمشق سورية – الطبعة الأولى – 1388هـ – 1968م.

[3]- محمد الطاهر فضلاء – الإمام الرائد الإبراهيمي في ذكراه الأولى – ص 43 – كلمة من الخطاب الذي ألقاه الشيخ محمد خير الدين على جثمان البشير الإبراهيمي بمقبرة سيدي محمد بالعاصمة يوم 20 محرم 1385هـ/21 ماي 1965م. - مطبعة البعث قسنطينة – الجزائر - 1387هـ/1967م.

[4]- د.تركي رابح – الشيخ عبد الحميد بن باديس فلسفته وجهوده في التربية والتعليم- 1900م-1940م - ص67.

السياسية تذهب شمالا وجنوبا مع أهواء السياسة حتى ظهرت جمعية العلماء فركزت دعائم المقاومة الفكرية الإسلامية العربية الجزائرية على قواعد واضحة، ورسمت لها طريقا صريحا بعيدا عن مداورات السياسة ومناورات الأحزاب"[1] وقد كتب الكثيرون حول هذه الأهداف واستطردوا في شرحها وبيانها، منهم الشيخ خير الدين وهو أحد أعضائها، والذي يرى أهدافها من خلال الانتساب لهذه الجمعية والذي "معناه التعاقد والتعاون على تنفيذ المرامي التي ترمي إليها، والمبادئ التي تسعى لها، وأصول هذه المبادئ هي :

- إحياء الإسلام الصحيح، بإحياء الكتاب والسنة ونشرهما بين الناس حتى يرجع إليهما سلطانهما على نفوس المسلمين ونشر فضائلهما وآدابهما.
- وإحياء اللغة العربية وآدابها.
- وإحياء التاريخ الإسلامي وتاريخ رجاله الغر الميامين"[2]

ويضيف أنور الجندي إلى هذه الأهداف هدفين آخرين وهما "الحفاظ على الشخصية الجزائرية والتراب الجزائري"[3] كما يشير فرحات عباس إلى هدفين اثنين "الصراع مع المرابطين أو الصوفيين، وتكوين إطارات الثقافة العربية"[4] وقد سجل أيضا ابن حمو هدفا آخر وهو "محاربة كل ما هو دخيل على الأمة الجزائرية، وخاصة تلك الثقافة والانتقادات والمناهج التي أدخلها الاستشراق والتبشير لكونهما ركيزة الاستعمار في الجزائر"[5]، كما حددت الدكتورة سعاد محمد خضر هدفا آخر للجمعية وهو "إحياء تراث الماضي والدفاع عن ذلك التراث"[6] ويمكننا أن نجعل هذه الأهداف جميعا في الكلمات التي رفعتها جمعية العلماء المسلمين كشعار لها وهي :(الإسلام ديننا — والعربية لغتنا — والجزائر وطننا). ولاشك أن هذه الأهداف التي رسمتها الجمعية هي العناصر الأساسية لتكوين الأمة —أي أمة– وقد ذكر هذه العناصر الثلاثة الفيلسوف الألماني الكبير يوهان غوتليب فيخته في كتابه "نداء إلى الأمة الألمانية" وقد كان جرب الاستعمار كما هو الحال بالنسبة للجزائر، يقول عن هذه العناصر المكونة للأمة ما يأتي :"إن وجود أمة من الأمم

---

[1]- أنور الجندي — الفكر والثقافة المعاصرة في شمال إفريقيا - ص42.

[2]- الشيخ خير الدين — المذكرات - الجزء الأول - ص149

سجل المؤتمر الخامس لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين — ص160.

[3]- أنور الجندي — المرجع السابق — ص42.

[4]- فرحات عباس — ليل الاستعمار — ترجمة أبو بكر رحال — ص126 - مطبعة فضالة الرباط — دون تاريخ.

[5]- ابن حمو محمد — دور التبشير والاستشراق في الثقافة العربية الإسلامية في الجزائر ص182

[6]- د.سعاد محمد خضر — الأدب الجزائري المعاصر - ص51 - المكتبة العصرية - صيدا بيروت - لبنان 1968م.

بوجود إنيتها التي هي شخصيتها، وإن هذه الشخصية تتكون من عناصر ثلاثة : الدين، واللغة، وحب الوطن"[1].

ويمكن أن نسجل ملاحظة غاية في الأهمية، وهي أن الجمعية عملت على تحقيق جميع هذه الأهداف و لم تقصر في واحدة منها، غير أن تركيزها الأساس والرئيس كان متجها و منصبا بشكل أكثر نحو الاهتمام باللغة العربية واللسان العربي، حتى أنه يمكن للدارس أن لا يرى إلا مطلب اللغة العربية في عمل جمعية العلماء.

المطلب الرابع : مكانة اللغة من اهتمام جمعية العلماء

سبق وأن أشرنا في الفصل السابق إلى أن اللغة –أي لغة– بالنسبة لأمة من الأمم هي شخصيتها، والأمة التي تفقد لغتها تفقد شخصيتها، كما أننا أشرنا كذلك إلى أن اللغة تمثل الحضارة بكل معاني هذه الكلمة، لأنها هي الرابطة بين الماضي والحاضر، ولأنها تحمل التراث بكل ما فيه عبر الأجيال، وهي التي تصنع الثقافة، وهي التي تحدد نمط التفكير، وهي التي ترسم تطلعات المستقبل..لذا يمكن أن نقول أن العربية وجدت كل هذا الاهتمام والاعتناء من طرف جمعية العلماء، كما أن "التاريخ يعلمنا أنه كلما وجدت أمة من الأمم إلا وكانت لها لغتها الخاصة، ولأن فقدانها لهذه اللغة يؤدي بها لا محالة إلى فقدان وعيها وإنيتها وذاتيتها. لأن المحتل يحرص دائما على فصل ضحاياه عن ماضيهم بقطع وسيلة الاتصال التي هي صدى أسلافهم، والقوى الطبيعية الحية لأمتهم، إذ أن اللغة المكتوبة هي الإسمنت الذي يضمن تماسك الوحدة الوطنية، وهي العروة الوثقى التي تربط بين الأحياء وتصل بالأموات ويكتب بها سجل الأمم"[2]

ولأن اللغة لها صلتها القوية بالدين بالنسبة للمجتمع الجزائري وهي التي تحفظ له تراث الأسلاف، ولأنها تعمل على تكوين الإنسان الجزائري وتدفعه نحو التحدي ونحو الإحساس بكيانه المستقل وشخصيته المميزة عن فرنسا، فكان الحرص على حمايتها والنهوض بها :

أولا : صلة اللغة بالدين

فلم يكن اهتمام الجمعية باللغة إلا لصلتها بالدين الإسلامي ووجود علاقة متينة بينهما "تتمثل في تأثير كل منهما في الآخر بمقادير متفاوتة، وبقدر ما يكون الدين منتشرا في المجتمع بقدر ما تكون علاقته باللغة أقوى تأثيرا وتأثرا، والعكس صحيح في بعض الأحيان، أي بقدر ما يبتعد أفراد

---

[1]- مولود قاسم نايت بلقاسم – أصالة أم انفصالية - الجزء الثاني - ص367.

[2]- نفس المرجع - ص379.

المجتمع عن الدين تكون لغة هذا الدين ضعيفة في المجتمع"[1] وهذا التأثير المتبادل بين اللغة والدين هو في حقيقة الأمر تفاعل إيجابي وخدمة متبادلة بينهما "فبالقدر الذي كان الدين دافعا للكتاب والفلاسفة والعلماء على التفكير وإنتاج الآثار الأدبية الرائعة دفاعا عنه ونشرا له، كانت اللغة وسيلة مؤثرة في الدين بوصفها أداة تبليغ للآخرين، وكلما كانت غنية في بلاغتها وأجادت التعبير عن التعاليم التي يبشر بها الدين كلما ساعدت على نشره وأرسخت مبادئه ورغبت فيه"[2] فالاهتمام باللغة هو اهتمام بالدين والجهد المبذول في خدمة اللغة أو الدفاع عنها جهد مبذول في خدمة الدين والدفاع عنه، والعكس، فكانت بذلك للغة مكانتها الروحية والنفسية "وكان الاحتفاء بها وبآدابها مطلبا ملحا من مطالب الوجدان المسلم، لأن الجهد المصروف في علوم الدين، مبذول بالضرورة في اللغة وآدابها، وليس وراء الدين غاية تحفز الناس على التشبث بعلومه، فالتمسك بتعاليم الدين وفهم أحكامه موقوف على وجود اللغة العربية، فبات العدول عن هذه اللغة إخلال بواجب ديني"[3]. وبذلك يمكن القول أن العربية "إذا انهزمت وانفرط عقدها ضاع القرآن نفسه، ونشأت أجيال أعجمية لا تفهمه إذا بقي من يقرأه"[4]، من هذا المنطلق كان اهتمام الجمعية المتزايد باللغة العربية لأنها في الأخير اهتمام وخدمة للدين ولأن خدمة العربية معناها خدمة الدين.

ثانيا : صلة اللغة بالتراث

يمثل الأجداد جزءا من التراث، بل كل التراث مسجل عندهم ومحفوظ في إنتاجهم الذي نقل إلينا جيلا بعد جيل من خلال اللغة الأولى والأصلية التي تبقى الأجيال تتوارثها وتنقل التراث من خلالها، والأمة التي تفقد لغتها تفقد صلتها بأجدادها وصلتها بماضيها وحضارتها وفي هذا المقام يقول الفيلسوف الألماني فيخته محذرا من هذا الانقطاع عن الأجداد وحاثا على التمسك باللغة التي تربطهم بهؤلاء الأجداد :"إن الذي يفقد لغته يفقد الخيط الذي يصله بالأجداد، ويفقد معها حلقات ماضيه ويشعر بفجوة عميقة حقيقية في تطوره، ينقطع أصله كجلمود صخر انفصل عن الصخرة الأم، وحطه السيل من عل، فجرفه وقذف به بعيدا إلى أعماق الذوبان، والانمحاء، واللاوجود، لأن اللغة الأصلية هي الحياة، والتي تمد بالحياة، ولأن الأمم المغلوبة التي تفقد لغتها

---

[1]- د.أحمد بن نعمان – التعريب بين المبدأ والتطبيق - ص103.

[2]- نفس المرجع – ص 103 .

[3]- د. عبد الله سرور – الإعلام و الثقافة وأثرهما في الأدب السكندري – ص 75 – دار المعرفة الجامعية الإسكندرية – جمهورية مصر العربية – 1985 م.

[4]- الشيخ محمد الغزالي – مشكلات في طريق الحياة الإسلامية – ص 30 – مطبعة رحاب –الجزائر – دون تاريخ .

تندمج وتذوب في جنس العالمة"[1] إن هذا الاندفاع في أعماق الماضي نحو الأجداد وتراثهم هو في حقيقة الأمر دفع نحو التطور لبناء الحضارة في عملية تواصلها بين الماضي والحاضر والمستقبل "فنبني كما كانت أوائلنا تبنى على حد تعبير الشاعر لكي لا يكون في صرح الحضارة عوج أو خلل"[2] بسبب الانقطاع عن الماضي بالتخلي عن لغة الأجداد، وهذا الذي رمت إليه الجمعية في إحيائها للغة العربية لأنه من خلالها "تحتفظ بالتراث الثقافي والتقاليد الاجتماعية -المتوارثة- جيلا بعد جيل"[3] والمجتمع الجزائري الذي هو ميدان عمل الجمعية، هو مجتمع له تاريخه الخاص، ومميزاته الخاصة، وتراثه الخاص، وامتداده الحضاري الخاص... يختلف كل الاختلاف -في كل ذلك- مع المستعمر وأطماعه وأهدافه، لذا حرصت الجمعية على إحياء التراث الذي يثبت ذلك ويربط الصلة بالماضي من خلال اللغة التي يقول عنها ماكس نور دار -Max Nordar-: "باللغة وباللغة وحدها يتلقى -الفرد- كل تراث الأمة الفكري والشعوري والأخلاقي والاجتماعي المنحدر من قرائح الكتاب والشعراء والمفكرين السالفين منهم والمعاصرين.."[4] فهو إذن ربط بواسطة اللغة للفكر، لينطلق نحو الإبداع من خلال المرجعية التي ارتبط بها، بل هو ربط للمعايير الأخلاقية والشعورية والاجتماعية التي يتحلى بها المجتمع، ويتوارثها جيلا بعد جيل وقرنا بعد قرن، لأن اللغة دائما هي التي "تربط بين أبناء أمتنا بالروابط الروحية والعاطفية والفكرية، وهي وحدها التي تصلنا بهذا التراث الضخم عبر القرون"[5] وليس التواصل مع الماضي والتراث فقط بل "والضامنة لاستمرارها الروحي والرابطة بين أجيالها إلى آخر الأيام"[6] نحو المستقبل.

ثالثا : صلة اللغة بالإنسان

للغة صلة قوية بالإنسان لأنها تلعب دورا أساسيا في تكوين تصوراته وأفكاره، بل وتدخل حتى في عواطفه فتؤثر فيها وتعطيها من ألوانها وأشكالها، وفي هذا يقول فيخته :"إن اللغة هي التي تكون الإنسان وليس العكس، وهي تؤثر فيه، وليس العكس، فهي صدى روح الأمة، وتؤثر في التصورات وتصبغ عليها معاني وألوانا، وتعكس عليها أشعة أو ظلالا خاصة بها، هي التي تجعل الإنسان من هو، وليس مجرد أداة يعبر بها الإنسان عن نفسه، بل هي، أي اللغة الطبيعية الإنسانية

---

[1]- مولود قاسم نايت بلقاسم – اصالية أم انفصالية - الجزء الثاني - ص371.

[2]- حنفي بن عيسى – دور اللغة في بناء حضارة أصيلة- كتاب محاضرات الملتقى الفكر الخامس –ص68.- الجزائر 1971 م

[3]- د.جابر قميحة –وسائل الإعلام وأياديها البيضاء على اللغة العربية –مجلة الفيصل- ص42 – العدد 256 لسنة 1998.

[4]- ساطع الحصري "أبو خلدون" - ما هي القومية؟ – ص54.

[5]- د.عبد الكريم خليفة – اللغة العربية والتعريب في العصر الحديث – ص 39- منشورات مجمع اللغة العربية الأردن – الطبعة الأولى 1407هـ/1987م.

[6]- مولود قاسم نايت بلقاسم – المرجع السابق - ص 379 .

التي تبرز منه في شكل أصوات خاصة معينة، لا يمكن أن تكون غيرها، وبهذه الأصوات الخاصة التي هي صدى لروح من تحمله من شحنات عاطفية وتصورات ومفاهيم وذكريات مشتركة يتفاهم الإنسان بها مع من يشاركونه نفس التصورات ونفس المفاهيم والطبائع والتقاليد والعادات والذكريات، أي مواطنيه ولو كانوا ولدوا في قارات أخرى غير قارته"[1]، فاللغة إذن موضوعها الإنسان، لأنها تعمل على تشكيله وتكوينه والتأثير فيه وفق الخصائص التي تحملها باعتبار أن اللغة هدفها صناعة الحضارة. والإنسان جزء من هذه الحضارة بما يحمله من مفاهيم وطبائع وأفكار وتقاليد وعادات وذكريات يصنع بها حضارته، بتفاعله مع من يشاركونه نفس هذه الخصائص، من هذا المنطلق كان اعتناء الجمعية باللغة العربية، لأن معنى هذا الاعتناء، الاهتمام بالإنسان الجزائري أو الفرد الجزائري الذي تريد من خلاله وبه ومعه صناعة نهضة إصلاحية، ثقافية تختلف عما يريده له الاستعمار، وتعيد ربطه بماضيه لينطلق نحو المستقبل بكل ثقة في النفس وفي الحاضر ليجابه به المستعمر ومخططات الفرنسة والإدماج.

رابعا : اللغة والتحدي

في دولة كالجزائر التي تعرضت لأبشع أنواع المسخ والتشويه لأصولها ومعالمها الحضارية التاريخية للحيلولة دون بقائها ضمن المنظومة الحضارية للأمة العربية الإسلامية، والعمل على دمجها بالحضارة الأوروبية ليتغير بذلك الإنسان الجزائري في دينه ولغته وتاريخه وثقافته من خلال الترهيب والقمع والطغيان والمسخ..في ظل هذا المخطط الرهيب كان لا بد من عمل يوقف هذا المخطط بكل أبعاده وكان لا بد من وسيلة تجعل الجزائريين يرفعون التحدي في وجه المستعمر، فلم يكن أمام الجمعية إلا العمل على عودة الجزائريين إلى لغتهم والاقتباس من نهضتها لتدفعهم نحو التحدي، "فكانوا يلوذون باللغة العربية كردة فعل مباشرة لتحدي الاستعمار، وكنوع من التعويض بلجوئهم إلى ماضي لغتهم المجيد"[2] وهذا التحدي جاء نتيجة "إحياء أساليب التعبير وأنماطه"[3].

ولقد أثبتت اللغة العربية قبل وبعد نشأة جمعية العلماء على أنها "عاملا هاما في مقاومة الاستعمار، وقد كشف التاريخ عن مدى أهمية اللغة العربية في الحفاظ على كيان الأمة العربية

---

[1]- مولود قاسم نايت بلقاسم – اللغة والشخصية في حياة الأمم - مجلة الأصالة – العدد18/17 – ص 51 – السنة4 – شوال – ذو القعدة / ذو الحجة - محرم – 1393هـ-1394هـ/نوفمبر-ديسمبر/جانفي-فيفري 1973م-1974م.

[2]- ريمون طحان و د.دنيز بيطار طعان – اللغة العربية وتحديات العصر – ص13 – دار الكتاب اللبناني/ مكتبة المدرسة – الطبعة الثانية – 1984م.

[3]- نفس المرجع. – ص 13 .

وعلى مقومات الثقافة العربية"[1] وفي الجزائر أين تعرضت العربية لمحنة خطيرة من طرف المستعمر "استطاعت اللغة العربية الكلاسيكية -الفصحى- بالذات أن تحول دون ذوبان المغرب العربي في فرنسا"[2] ومنها الجزائر، وذلك من خلال تحدي اللغة، و في ذلك يقول جاك بيرك :"إن الكلاسيكية العربية هي التي بلورت الأصالة الجزائرية، وقد كانت هذه الكلاسيكية العربية عاملا قويا في بقاء الشعوب العربية"[3].

من هذا المنطق يمكننا القول :"إن الأمة التي تهمل لغتها أو تتقاعس عن عملية نشرها بين الناس هي أمة تحتقر في الواقع ذاتها وتفرض على نفسها التبعية الفكرية والثقافية لغيرها، من الأمم الأخرى"[4] و"كانت القاعدة الأساسية التي أعتمدها الرواد في مجال إحياء اللغة العربية وآدابها في الأوساط الاجتماعية الإسلامية هو إبراز لقيمة اللغة في أي عملية حضارية، وأنه لا يمكن أن نتصور وجود أمة قائمة بقواعدها دون أن تكون لها لغة، كما لا يمكن أن تكون هنالك أمة حية بلا لغة حية"[5]

المطلب الخامس : أسباب نجاح الجمعية في مسعاها لخدمة اللغة العربية

وحتى تتمكن الجمعية من النجاح في مسعاها وتحقيق الأهداف التي رسمتها والحفاظ على الشخصية الوطنية بجميع مقوماتها، وإبعاد الخطر الذي يتهددها من الاستعمار وأعوانه من المستشرقين والمبشرين رأذنابهم من المرابطين والطرقيين والمندسين، فكانت الأعمال الجادة والخطة الدقيقة والهادفة للنجاح في مسعى الحفاظ على اللغة من خلال الخطوات التالية .

أولا : الإحساس العام بواقع اللغة العربية ووجوب تغييره :

واقع اللغة العربية في العهد الاستعماري لم يكن خافيا على أحد، فقد حوربت، واضطهدت، وأبعدت من المدارس والإدارات والمحاكم..حتى كاد أن يتفرنس المحيط كله، وتصبح اللغة الفرنسية هي اللغة السائدة، إضافة إلى القوانين التي كانت تضيق الخناق على اللغة العربية، وغيرها من وسائل محاربة وضرب اللغة، كل هذا كان يقع ويحدث تحت نظر طائفة العلماء المصلحين الذين هالهم ذلك الواقع المرير الذي تعيشه لغتهم ولغة مجتمعهم وأجدادهم، و هالهم

---

[1]- أنور الجندي – الثقافة العربية إسلامية أصولها وانتمائها - ص36.

[2]- نفس المرجع - ص36-37

[3]- نفس المرجع – ص 37 .

[4]- د.تركي رابح – دراسات في التربية الإسلامية - ص308 - المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر – الطبعة الثانية 1987م.

[5]- عبد المجيد بن عدة – مظاهر الإصلاح الديني والاجتماعي والتربوي في الجزائر - ص291.

تقهقرها المستمر وموتها البطيء، وكان العامل المشترك بين العلماء المصلحين، كيف السبيل إلى النهوض باللغة العربية؟ وما هي الوسائل التي ينبغي اعتمادها لذلك؟.

وكان الشيخ عبد الحميد بن باديس أول من عبر عن هذا الإحساس في مجلة الشهاب[1] "فقد حز في قلبه ما رآه من تقهقر اللغة العربية في المدارس والقرى –حيث المقبلون عليها– ما يستعمله مشايخها في التدريس من أساليب عقيمة، فالعناية في هذه الكتاتيب مصروفة إلى الحفظ والاستظهار لمتون اللغة دون التفقه فيها، وصقلها بالأدب لما وقر في النفوس من جعل اللغة أداة صماء لفهم المسائل الدينية فهما سطحيا لا غير وهو يريدها أن تكون أداة ناجحة، يفهم على ضوئها الجيل الناشئ دينه فهما صحيحا يتوقف على حذق اللغة وأساليبها الدقيقة، بل وعلى حذق العلوم الاجتماعية، لكن العوائق التي وقفت دون تحقيق هذا الغرض في رأي ابن باديس يشترك فيها طبقتان :

- الأولى طبقة الأكفاء الذين في قدرتهم تدريس اللغة العربية بهذا الأسلوب انسحبوا من الميدان وانزووا إلى بعض المدن حيث لا رواج لبضائع أمثالهم فيها (لأن الجمهور من قطين المدن الكبرى عادي اليوم لا يصرف جزءا من الألف من عنايته بلغته إلى عنايته بغيرها وقد انفعل بذلك تغليبا للمنفعة الراهنة).
- أما الطبقة الثانية فهم الذين استهوتهم اللغة الفرنسية ففضلوها على غيرها (استجابة لعاطفة الشهوة واللذة المؤقتة، فطفقت تثقف النشأ بأحد اللسانين مقتصرة عليه وغافلة عن اللسان الآخر القومي..).

وينبه ابن باديس إلى ما ينتظر الجزائريين من خطر، إن استمروا على هذه الحالة من الغفلة والبرودة (..والخطر كل الخطر الذي يواجه الشعب الجزائري في هضم هذه الطبقة لحقوق البلاد المحلية، ولعل السبب في هذه النزعة المرتكزة على غير العقل والوعي الصحيح هو إخفاق هذه الطبقة في مسعاها حيث أنها لم تجد أي ثمرة مادية من اللغة العربية فشاءت من ثم أن تقصر الأبناء على تعلم اللغة الضامنة للعيش واليسر)"[2].

وهذا التشخيص لابن باديس للحالة التي أصابت اللغة العربية والتي كان فيها ألما وحسرة على الوضعية التي آلت إليها، هذا التشخيص نجده أيضا عند الشيخ الحافظي الأزهري في جريدة

---

[1]- مقال اللغة العربية بالجزائر – مجلة الشهاب - الجزء الثامن – المجلد الخامس - سبتمبر 1929م.

[2]- د.محمد ناصر – واقع اللغة العربية في الصحافة الإصلاحية –مجلة الأصالة - العدد 18/17–ص 267 – السنة4 –شوال ذو القعدة / ذو الحجة – ذو الحجة – محرم – 1393هـ – 1394هـ / نوفمبر–ديسمبر / جانفي–فيفري 1973 م– 1974 م – وما بين قوسين كلام ابن باديس من مقاله عن اللغة العربية بالجزائر.

الشهاب[1]..وقد عاش في مصر طويلا ولمس عن قرب ما للغة العربية في تلك الديار من الإجلال والتقدير ثم قارن بين حالها هناك وحالها في القطر الجزائري، فهاله ما رآه من هوان أمرها وما سمعه من رطانة الشباب المسلم واستكافه بلغته القومية..وكأنه أدرك عقدة النقص التي دفعت أولائك الشباب إلى إساءة الظن بلغتهم، والنظر إليها بنظرة فيها كثير من الزراية والاحتقار فهم ما انفكوا يصفونها بالعجز عن مسايرة التطور العصري، فرحاهم أن يلفتوا أنظارهم نحو الأفق المشرقي ليشاهدوا ما هنالك من تقدم ورقي لم تقف اللغة العربية حجرة عثرة في سبيله أبدا، وإن أهلها المعتزين بها قد بلغوا من النهضة شأوا بعيدا، وسجلوا في الميدان الثقافي انتصارات رائعة"[2].

ونفس الإحساس ونفس الوصف عن اللغة العربية نجده عند أحمد توفيق المدني[3] فهو "يرى الأمة الجزائرية بين الموت والحياة..فليست القضية عنده صراع بين لغة عربية وفرنسية، ولكنها صراع بين شخصية عربية إسلامية تريد للأمة الحياة وشخصية مسيحية لاتينية تريد أن تسلب من الأمة الحياة..إن المسألة الموضوعة أمامنا الآن هي مسألة المحافظة على الإسلام وعلى العربية وهذه المحافظة هي البرنامج الوحيد الذي يجب أن يكون برنامج الجزائر بأسرها في حاضرها ومستقبلها..) والرأي عند المدني، بأنه لا حياة للغة العربية في الجزائر ما لم يعمل الشعب الجزائري العمل الجدي الصالح في هذا السبيل، وليس له من سبيل إلا أن يعتمد على نفسه وحدها أما أن يعتمد على الحكومة فعليه أن ينتظر عشرين قرنا آخر..(إن الحكومة قد عاشت اليوم معكم مائة عام كاملة فما كانت نتيجة جهودها لتعليمهم الإسلام والعربية).."[4].

وهاهو أبو اليقظان[5] هو الآخر يؤلمه وضع لغته ولغة شعبه وآبائه وأجداده وما آلت إليه، ويشارك بذلك إخوانه نفس الآلام والأحزان والأحاسيس "فتراه متألم النفس منكسر القلب حين يحدثنا عن المستوى المنحط الذي هوت إليه لغة الحديث بين المسلمين في المجتمعات الجزائرية فقد أصبحت بحكم المسخ العام (رطانة غريبة وخليطا من اللغة لا هو عربي، ولا فرنسي، وإنما هو مزيج من اللغة العربية والبربرية والفرنسية، والعربية من أقل الثلاثة مع ما عليه من التكسر والاختزال، والأغرب من هذا أنه كثيرا ما يقع إشكال بين المتخاطبين بالعربية وإذا التجئوا إلى الفرنسية تفاهموا وزال الإشكال والكل عرب مسلمون)"[6].

---

[1]- الحافظي الأزهري –صوت العلم بنادبكم فهل من مجيب؟ –مجلة الشهاب العدد 43 – أوت 1926م.

[2]- د.محمد ناصر – المرجع السابق – ص265.

[3]- أحمد توفيق المدني –بين الموت والحياة – جريدة الإصلاح – العدد 13 – فيفري 1930م.

[4]- د.محمد ناصر –المصدر السابق – ص268- وما بين قوسين كلام أحمد توفيق المدني.

[5]- إبراهيم أبو اليقظان – اللغة العربية غريبة دارها – جريدة وادي ميزاب – العدد55- نوفمبر1927م.

[6]- د.محمد ناصر – المصدر السابق – ص266 –وما بين قوسين كلام أبو اليقظان.

هذا الإحساس المشترك بين هؤلاء العلماء لما آلت إليه اللغة العربية، وما أصابها من أعدائها وأبنائها على حد سواء هو الدافع الأساس والرئيس في التفاف هؤلاء وغيرهم حول جمعية العلماء لخدمة اللغة العربية، لأنها هي الإطار المناسب لتحقيق طموحاتهم وآمالهم في خدمة لغتهم والنهوض بها لتتبوأ المكانة التي كانت لها من قبل، فكان العمل وكان الإخلاص، وكان التفاني، وكانت التضحية، وكان الجهد والجهاد من الجميع للنهوض بمشروع خدمة اللغة رغم العقبات والصعاب.

ثانيا : توحيد صفوف العلماء :

كان العلماء والنخبة من الجزائريين قبل نشأة الجمعية أشتاتا تناثرت أعمالهم هنا وهناك، ولم تأت بالثمار المرجوة إلا في القليل النادر لتشتت الجهود، فلم يستطع كل واحد منهم بمفرده أن يجابه الغزو الاستعماري بإمكاناته المادية والأدبية والثقافية، فوقف الكثير منهم عاجزا عن تقديم أي خدمة لدينه ولغته وأمته، رغم إدراكهم بواجب العمل والتغيير للنهوض بالأمة لاسترجاع شخصيتها وهويتها التي كادت تفقدها.

غير أنه لما ظهر الاتجاه الإصلاحي فأول ما عمل إليه هو "أنه جاء إلى جميع العلماء المتحررين في الجزائر فجمعهم في هيئة واحدة هي –جمعية العلماء المسلمين الجزائريين– وقد كان هذا التوحيد في حد ذاته عسيرا جدا قبل أن يقع، ويدل على أن الوعي السياسي في الجزائر كان قد بلغ حدا مقبولا وإلا لما كان رأينا هؤلاء العلماء المصلحين يجتمعون كلهم على كلمة واحدة وينتخبون رئيسهم هو ابن باديس.

وكان هذا الصنيع قمينا بأن يدفع الثقافة العربية في الجزائر دفعا جديدا ويهيئ لها أسبابا من النجاح والنمو"[1]، وهذا التوحد لصفوف العلماء في حقيقة الأمر كان أمنية كبيرة لدى الشيخ عبد الحميد بن باديس عمل لها كثيرا منذ رجوعه من الحجاز، حتى يتمكن من الوقوف في وجه المستعمر، ويرد الكرامة للشعب الجزائري، وصلته الوثيقة مع الشيخ البشير الإبراهيمي "كانت تهدف إلى تأسيس جمعية إسلامية سنة 1924م باسم "الإخاء الإسلامي" تجمع شمل العلماء والطلبة وتوحد جهودهم"[2] غير أن الظروف لم تتهيأ والأسباب لم تكتمل "فتمخضت عنها جمعية أخرى أخذت تسميتها وشهرتها تحت اسم "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين" سنة 1931م ومنها كانت المبادئ، وكان الجهاد وكان المستقبل"[3]. فتوحدت الجهود تحت هذه

---

[1]– د.عبد المالك مرتاض – فنون النثر الأدبي– ص52.

[2]– آثار الشيخ البشير الإبراهيمي – الجزء الأول – ص119.

[3]– محمد عباس – الإبراهيمي أديبا – ص43 – ديوان المطبوعات الجامعية وهران – الجزائر – دون تاريخ.

الجمعية لخدمة الأهداف المسطرة وعلى رأسها اللغة العربية. واستفادت الجمعية من كل شخص انضوى تحت لواءها من الأدباء والشعراء، والعلماء المصلحين، والسياسيين وغيرهم...

ثالثا : الامتداد نحو الجنوب الجزائري

لم يشأ أعضاء جمعية العلماء ببصيرتهم الثاقبة أن يتقوقعوا في عملهم ويقتصر مجهودهم على مدينة دون أخرى أو مكان دون غيره، أو أن يقتصروا على علماء الشمال دون علماء الجنوب خاصة منهم علماء ميزاب الذين أظهروا تضحية نادرة ومثالا يحتذى به في التصدي للاستعمار والحفاظ على هوية الشعب الجزائري، والحفاظ على دينه ولغته، فكانت الخطة أن يلتقي جهد العاملين في الجنوب مع جهد العاملين في الشمال لتتكاتف وتتوحد الجهود وتكون أقدر على الوقوف في وجوه التيارات التغريبية والفرنسة وفي وجه مخططات المستعمر، وتكون أقوى في خدمة اللغة العربية والدين الإسلامي أي "الحفاظ على الإسلام والعربية وبناء الشخصية الوطنية الجزائرية المعتزة بالإسلام دينا والعربية لغة"[1] فوجدنا أنه حين تأسست الجمعية "قد اشترك الشيخان بيوض وأبو اليقظان في جمعية العلماء، وكانت حركة النهضة في الجنوب استكمالا لها وامتدادا في مقاومة الحملة على اللغة العربية والإسلام ومناهضة مؤامرات التغريب والفرنسة والإذابة والإدماج"[2] فكان علماء الجنوب في ظل جمعية العلماء من انشط الدعاة وأكثرهم عملا للعروبة والإسلام والدعوة إلى الارتباط بالقومية العربية والذود عن حياض اللغة العربية فأحدثوا بذلك – كما هو الحال في الشمال- نهضة إصلاحية علمية وثقافية كان لها "أثرها في الحفاظ على اللغة العربية في الجنوب حيث ظلت أكثر انتشارا..حيث عجز المستعمر عن تثبيت الفرنسة"[4] للجنوب وللوطن الجزائري كله.

رابعا : تقاسم مناطق الوطن

النهضة التي تهدف إليها الجمعية أرادتها عامة وشاملة للقطر الجزائري كله وللشعب الجزائري كله ليكون الوعي شاملا وعاما وهذا "من أجل تحقيق هدفهم الأسمى وهو نشر العلم ومحاربة الجهل والأمية"[3] وتعليم اللغة العربية والنهوض بها، فنجد أن الأعضاء البارزين من الجمعية "تقاسموا مناطق الوطن فيما بينهم للإشراف على التعليم العربي فيها : فأشرف عبد الحميد بن باديس على

---

[1]- د.صالح خرفي – من أعماق الصحراء - ص76.

[2]- 3 - أنور الجندي – الفكر والثقافة المعاصرة في شمال إفريقيا - ص144.

4 - علي حشلاف – المواقف السياسية لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين من خلال صحفها-1931م –1939م - ص86.

منطقة قسنطينة ينشر فيها العلم ويؤسس الجمعيات الخيرية التي تؤسس بدورها المدارس وتقدم الدعم الكامل من أموال ومعلمين وكتب إلى غير ذلك من اللوازم الضرورية للتدريس ...

أما الأستاذ محمد البشير الإبراهيمي فكلف بنفس المهمة في عمالة وهران متخذا من مدينة تلمسان – التي كانت تعتبر مركزا له – منطلقا لكل أعماله .

أما الأستاذ الطيب العقبي كلف بالإشراف على النشاط التربوي والتعليمي والتهذيبي في العاصمة وما جاورها، ثم يقوم بعملية التنسيق بين المناطق الثلاث"[1] وربما كلف الشيخ أبو اليقظان على منطقة الجنوب والإشراف على المدارس التعليمية التي أنشأتها الحركة الإصلاحية هناك.

خامسا : وضع خطة ومنهجية للعمل

العمل الذي قامت به الجمعية في مجال البعث الحضاري لخدمة اللغة وإحياء اللسان العربي لم يأت هكذا من فراغ أو اعتباطا، وإنما الجمعية "قد رسمت مخططا وتبعته بالتدقيق لإحياء اللغة العربية والإسلام، وقد أتم هذا المخطط وأتى بثمرات يانعة كانت ضربة قاضية على مخطط الأعداء"[2] فالمواجهة المفروضة على الجمعية حتمت عليها أن تضع خطة مرسومة ودقيقة لمواجهة الخطة الاستعمارية، إذ لا تنجح الفوضى والارتجال في مثل هذه الأعمال، فكانت خطة واضحة المعالم- سنرى جزءا منها في هذه الرسالة- بارزة الأهداف محسوبة الخطوات، بينة المنهج، متنوعة الأساليب، دقيقة النتائج، واضحة المعالم. حيث استفادت في كل هذا من التجارب السابقة للأفراد والأمم والمجتمعات، كما كانت الجمعية وفق هذه الخطة تقف بين الحين والآخر وقفات للتأمل والمحاسبة والمراجعة من خلال المؤتمرات الدورية التي كانت تعقدها لأعضائها وشعبها، وقد سجل الشيخ البشير الإبراهيمي إحدى هذه الوقفات من خلال كتاب "سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين" هذا الكتاب الذي يبرز جزء من الخطة التي اعتمدتها جمعية العلماء في عملها وفي إحيائها للغة العربية وبعثها للثقافة العربية.

---

[1]- نفس المرجع – ص86.

[2]- د.محمد ناصر – الشعر الجزائري الحديث، اتجاهاته وخصائصه الفنية 1925م-1975م - ص192 - دار الكتاب العربي الإسلامي- بيروت لبنان - الطبعة الأولى - 1985م.

المبحث الثاني

وسائل خدمة اللغة العربية والمحافظة عليها عند جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وهكذا بعد أن تم لها الوجود القانوني والفعلي والواقعي انطلقت الجمعية في عملها لاسترجاع الشخصية الوطنية بكل مقوماتها، وتعيد للغة العربية مكانتها التي حازتها عبر القرون الماضية، قبل أن يداهمها الاستعمار بمخططاته وأساليبه الشيطانية للقضاء عليها، واستطاعت الجمعية أن تنبه أعضاءها الذين أصابهم بعض السبات قبل تأسيسها وتخرج بهم "من الزوايا والمساجد إلى الشوارع والأسواق والنوادي العامة، فتوقظ الشعب وتهزه هزا عنيفا جعله يشعر بشخصيته العربية الإسلامية"[1] فتعددت بذلك ميادين عمل أعضاء الجمعية، وكان نشاط ابن باديس للحفاظ على الشخصية الوطنية متشعبا وقد استعمل هو ورفاقه "عدة وسائل لتحقيق أهدافهم القريبة والبعيدة من ذلك، الصحافة العربية، والتعليم المسجدي، والتعليم العربي في المدارس الحرة، وإنشاء النوادي والجمعيات التربوية والثقافية، وإحياء التراث العربي الإسلامي، والاتصال المباشر بالشعب كالرحلات والخطابة أمام الجماهير.."[2] و"تكوين المطابع لإحياء الثقافة العربية الإسلامية ونشرها بين الناس"[3] و "إصلاح الزوايا القديمة"[4] لتقوم بدورها التعليمي والتربوي والتثقيفي..وكان من بين الوسائل كذلك حركة التأليف والكتابة التي نشطت على عهد الجمعية، وتأسيس فرق الكشافة وتشجيع فرق المسرح العربي ومحاولة الاتصال والامتداد نحو المشرق والعالم العربي والإسلامي، وغيرها من الوسائل المتعددة التي سعت الجمعية وعملت من خلالها للحفاظ على اللغة العربية وإرجاع شخصية المواطن الجزائري.

وسنأتي على ذكر أهم الوسائل التي اعتمدتها الجمعية بشكل من التفصيل، ونبين وبوضوح دور كل وسيلة في خدمة اللغة العربية والحفاظ عليها، وجعلها تتبوأ مكانة أفضل وأحسن مما كانت عليه في سابق عهدها.

---

[1]- د.عبد المالك مرتاض — فنون النثر الأدبي - ص83.

[2]- د.أبو القاسم سعد الله — العلماء الجزائريون 1919م-1931م - المجلة التاريخية المغربية - ص139/138 — العدد 2 - جويلية، يوليو — 1974 - تونس.

[3]- د.تركي رابح — ابن باديس رائد الإصلاح الإسلامي والتربية في الجزائر - مجلة الفيصل. - العدد52 - ص77 - السنة5 - عام1982م.

[4]- د.نور سلمان — الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرير - ص135.

المطلب الأول : وسيلة التعليم

أولا : أهداف التعليم العربي الحر

بداية ينبغي التنبيه إلى "أنا لم نرد بهذه الكلمة العابرة دراسة الحركة التعليمية التي قام بها علمـــاء الإصلاح في الجزائر، قدر ما أردنا الإشارة الدالة على أثار حركة الإصلاح في مجال الثقافة العربية في هذا القطر"[1] وخدمة اللغة العربية وتطويرها.

"فقد آمن ابن باديس -وإخوانه- بأن العمل الأول والأعظم في مقاومة الاستعمار الفرنســـي في الجزائر هو حماية اللغة العربية، لغة القرآن، وذلك بإذاعتها، ونشر التعليم كوسيلة كبرى لمقاومـة الاستعمار الذي يعيش على الجهل"[2] وذلك من خلال ما رآه ابن باديس من حـــال التعليـــم في الجزائر وحال الشباب الجزائري وهو يرتع من الجهل والأمية حيث شاهد "هذا القطر قريبا مـــن الفناء ليس له مدارس تعلمه، وليس له رجال يدافعون عنه ويموتون عليه، بل كان في اضطـــراب دائم مستمر... كان أبناؤنا يومئذ لا يذهبون إلا إلى المدارس الأجنبية التي لا تعطيهم غالبا مـــن العلم إلا ذلك الفتات الذي يملأ أدمغتهم بالسفاسف حتى إذا خرجوا منها خرجوا جاهلين دينهم ولغتهم وقوميتهم وقد ينكرونها"[3] هذه الحالة الخطيرة والوضعية المزرية لأبناء الوطـــن ولغتـــهم، كانت الدافع إلى العمل على نشر التعليم العربي بين الجزائريين، ولقد كان يهدف أعضاء الجمعية من التعليم إلى التعريب الكامل والشامل للقطر الجزائري، والتعريب في تلك المرحلـــة "بالنســـبة للجزائر لا يقصد منه تعريب المصطلحات، وإنما يقصد منه إحلال اللغة العربية محل اللغة الوافـــدة الأجنبية وهي اللغة الفرنسية"[4] وهذا وجدنا حقيقة الدعوة إلى تعلم اللغة العربية عن طريق التعليم ليست "دعوة إلى محو الأمية أو المحافظة على القرآن فحسب، ولكنها أصبحت دعوة فيها فلسـفة عميقة وبعد نظر، فالفصحى واجبة للجيل الصاعد لازمة له، لأنها هي التي تحفظـــه مـــن كـــل التيارات الدخيلة والمنحرفة، ثم هي الأداة التي تفهم بها الأمة دينها فهما صحيحا صافيا من كـــل خرافة أو تدجيل"[5] . وبعد تحديد الأهداف النظرية للتعليم انطلقت جمعية العلمـــاء إلى الميـــدان العملي من خلال العمل الدؤوب والمتواصل "فوضعت خطة لنشر التعليم الإسلامي الخالص على مرحلتين في المدن والقرى.

---

[1]- د.عبد المالك مرتاض- فنون النثر الأدبي-ص56.

[2]- أنور الجندي – الفكر والثقافة في شمال إفريقيا - ص45.

[3]- البصائر – السلسلة الأولى- السنة4 - العدد171 – جوان 1939م.

[4]- عبد الله ركيبي –عروبة الفكر والثقافة أولا - ص23.

[5]- د.محمد ناصر - واقع اللغة العربية في الصحافة الإصلاحية – مجلة الأصالة - العدد17/ 18 - ص269.

كانت المرحلة الأولى هي تلك المدارس التي يعدها الاستعمار غريبة وهي في وطنها، ويعاملها معاملة الثقافات الأجنبية الخطرة ذات المبادئ الهدامة والتي تخنقها الإدارة متى شاءت من غير محاكمة وتطرد مدرسيها.

والمرحلة الثانية بدأت عام 1947م بإنشاء معهد علمي يجمع أبناء الأمة الذين كانوا يشدون الرحال لتلقي العلم في القرويين -بفاس- أو الزيتونة-بتونس-"[1] و"كان هدفها الذي لم يتحقق إنشاء جامعة على غرار جامعة الزيتونة تكون مركزا عاليا للثقافة العربية"[2] كما ذكر ذلك زملاء ورفقاء الشيخ عبد الحميد بن باديس، الذي انطلق في عمله التعليمي من خلال الجمعية وقد "التف حوله المثقفون والعلماء وخريجو الزيتونة"[3]

ثانيا : منظومة الجمعية التعليمية

1- مدارس الجمعية :

"من قلب الجزائر التي هي أخطر مناطق التغريب والفرنسة الفكرية والتي واجهت أسوأ صور التعليم الفرنسي الخالص، مع القضاء على اللغة العربية، ظهر أقوى عمل في تاريخ المغرب العربي كله لإحياء اللغة العربية والإسلام في مخطط جميعه العلماء"[4] هذا المخطط الذي "يبدأ من نقطة الصفر ويتغلغل في القرى والدشائر منشئا"[5] في مختلف أنحاء القطر الجزائري، في المدن و في أقاصي الصحراء و في كل مكان استطاعت أن تصله جمعية العلماء ، عملا و نواة له . وبعد أربع سنوات فقط من انطلاق عملها "بلغ عدد المدارس عام 1935م ، سبعين مدرسة..ويقدر عدد تلاميذ هذه المدارس في ذلك العام بحوالي ثلاثين ألف بين صبي وفتاة"[6] بل استطاعت الجمعية في مرحلة لاحقة "بناء 350 مدرسة في مختلف أنحاء الجزائر كانت تخرج أكثر من 150 ألف مواطن يتقنون اللغة العربية"[7]، وهذه الأعداد من المدارس تعتبر إنجازا عظيما لا مثيل له رغم انعدام الإمكانات وفقر الشعب، وتكالب الاستعمار عليها، إلا أنها أنجزت ما يمكن أن تعجز على إنجازه دولة بكامل إمكاناتها المادية والبشرية، وقد أنشأت بعد ذلك معهدا عاليا هو معهد الإمام الشيخ

---

[1]- أنور الجندي – الفكر والثقافة في شمال إفريقيا - ص44.

[2]- د.نور سلمان – الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرير- ص 137.

[3]- أنور الجندي – المرجع السابق - ص55.

[4]- نفس المرجع – ص134.

[5]- نفس المرجع - ص54.

[6]- د.أحمد الخطيب - جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها الإصلاحي في الجزائر - ص200/199.

[7]- أنور الجندي – المرجع السابق – ص 57

عبد الحميد ابن باديس حيث أجريت في سنة 1952م أول امتحان لنيل الشهادة الابتدائية العربية، وكانت هذه المدارس "كنجوم متألقة في ليل الجزائر الحالك، منها الكبيرة، ومنها الصغيرة، ولكل حظها من اللألاء والإشراق، وقسطها من الإضاءة لجانب من جوانب هذا الوطن الذي طال في الجهل ليله، وأقام بالأمية ويله"[1] هذه المدارس بهذه الأوصاف، قد تخرج منها "عشرات الآلاف من أبناء الجزائر يحملون علما قليلا، ولكن معه فكر صحيح، وعقيدة قومية سليمة، ونظرة إلى الحياة جديدة"[2] كما أنها "حفظت اللغة العربية والقرآن، وأنشأت جيلا يعرف العربية بعد أن ألغى التعليم في الجزائر اللغة العربية من برامجه واعتبرها لغة أجنبية"[3]. ودون شك أن هذه المدارس عملت على انتشال أبناء الجزائر من الجهل والأمية والانحراف والذوبان في الثقافة الغربية بإعطائه العلم الصحيح وتقويم انحرافه وتصحيح ارتباطه بدينه وبقومه وبلغته.

2.معلمو مدارس الجمعية :

لعلنا لا نكون قد جانبنا الحقيقة إذا اعتبرنا معلمي المدارس الحرة لجمعية العلماء من أكفأ المعلمين ومن أقدرهم على ممارسة هذا العمل والتفاعل معه بإيجاب، ومن أنشط الناس في مجال التعليم ومن أكثرهم تضحية في سبيل القيام بواجبهم رغم العراقيل والمعوقات، وقد كان معلمو الجمعية هم مشايخها المعروفين أمثال ابن باديس، والإبراهيمي، والعقبي، والتبسي، والميلي وغيرهم، يضاف إليهم تلاميذهم الأكفاء خاصة تلاميذ الشيخ ابن باديس الذين تخرجو على يده من الجامع الأخضر مثل الفضيل الورتلاني، ومحمد العيد ، وابن عتيق، والزاهري، وخير الدين، والربيع بوشامة وأحمد بن ذياب، وغيرهم . يضاف إليهم كذلك خريجو المدارس المشرقية والعربية كالزيتونة والأزهر والقرويين..

ولقد كان الاهتمام كبيرا من لدن الجمعية بمعلمي مدارسها، حيث تعمل على انتقاء الكفاءات منهم، وحثهم على تطوير معارفهم والتقيد بالمناهج الحديثة والطرق الصحيحة في التدريس وقد تجلى هذا الاهتمام في "تأسيس "لجنة التعليم العليا" عام 1948م للإشراف على شؤون التعليم في الجمعية، وحاولت هذه اللجنة حل المشاكل التربوية التي كانت تعترض المعلمين، وذلك بتنظيم

---

[1]- آثار الشيخ البشير الإبراهيمي – الجزء الثاني - ص383

[2]- البشير الإبراهيمي – مشكل العربية في الجزائر- مقال منشور في كتاب ندوة الأصفياء – نشر محمد علي الحوماني –دار مصر للطباعة –1955م - ص211.

[3]- أنور الجندي – من حماة العروبة والإسلام في الجزائر- مجلة الثقافة المصرية - العدد99 –حوان1965م.

ملتقيات تربوية دورية معهم، تناقش فيها المشاكل، كما كانت تنشر دروسا نموذجية خاصة بالمعلمين لتنمية ثقافتهم وتوسيع خبرتهم المهنية"[1].

ثم انتقلت بعد ذلك إلى مرحلة أخرى في تطوير هيئة التدريس حيث أعلنت سنة 1951 م لجنة التعليم العليا أنها "قررت بالإجماع منذ الآن فصاعدا اعتبار الشهادات العلمية كشهادة (التحصيل) من جامع الزيتونة شرطا أساسيا لقبول المعلمين بمدارس الجمعية"[2]، وبعد سنتين من ذلك تحقق الجمعية خطوة ثالثة في عملية تطوير هيئة التدريس، ففي سنة 1953م بدأ تعيين المعلمين في مدارس الجمعية "يخضع بالإضافة إلى شرط الشهادة، لامتحان خاص، أطلق عليه اسم "أهلية التعليم"[3] وعمل المعلمون بكامل جهودهم وكأنهم في سباق مع الزمن لتحقيق أهداف التعليم، وواصلوا ليلهم مع نهارهم في تأدية وظيفتهم المقدسة، فقد "كانوا يستمرون في كثير من المدارس بتعليم الرجال الأميين من السابعة مساءا حتى التاسعة ليلا"[4].

د. المنهج المقرر :

وإذا رجعنا إلى المنهج المقرر في مدارس جمعية العلماء نجد أن الاهتمام والتركيز فيه ذو "طابع ديني ولغوي في الغالب"[5] لأنه يعتمد أساسا في مواد دراسته على "العلوم الشرعية والعلوم التي لها صلة بها، ثم على الأدب العربي شعرا ونثرا، وفنون اللغة العربية مع شيء من التاريخ والجغرافيا والرياضيات" وهو بذلك "يشبه إلى حد كبير التعليم الحديث في المدارس العربية بالشرق العربي في الثلاثينيات"[6] بل لقد اعتبر فرحات عباس وأجزم بأن المواد والمقررات التي كانت تدرس في المدارس الجزائرية في ذلك الوقت " لم تكن تختلف عن المواد التي كانت تدرس في باقي العالم العربي"[7].

وفي منهجها المقرر للتعليم كان للغة العربية مكانها ضمن مواد التدريس، وكان لها الاهتمام الكافي واللازم في المقررات، باعتبار أن النهضة التي تتزعمها الجمعية من بين أهدافها هو إحياء اللغة العربية، وأن التعليم هو وسيلة فعالة لبعث وإحياء هذه اللغة، وقد ذكر الشيخ عبد الحميد

1- د.تركي رابح – التعليم القومي والشخصية الجزائرية 1931م-1956م - ص218 .

2- البصائر- السلسلة الثانية – لسنة 4 - العدد 168 – سبتمبر 1951م.

3- البصائر- السلسلة الثانية – السنة 6 - العدد 339 – سبتمبر 1953م.

4- د.أحمد الخطيب –جمعية العلماء المسلمين الجزائرية ودورها الإصلاحي في الجزائر- ص214.

5- د.تركي رابح –ابن باديس فلسفته وجهوده في التربية والتعليم 1900م-1940م - ص305 /311.

6 - نفس المرجع – ص 305

7 - نفس المرجع – ص 311.

8 - فرحات عباس – ليل الاستعمار – ص50.

ابن باديس في جريدة الصراط مواد التدريس بالتفصيل خاصة ما تعلق منها باللغة والأدب، فمس هذه المواد "العربية بفنونها من نحو وصرف وبيان ولغة وأدب"[1] وغيرها من المواد اللغوية والأدبية التي تخدم اللغة وتنمي الملكة اللغوية لدى المتعلمين، وهذه المواد نجدها في جميع مراحل التعليم، ابتداء من الأقسام التحضيرية، ثم الأقسام الابتدائية، ثم الأقسام المتوسطة، وحتى بعد تأسيس معهد ابن باديس كانت المقررات فيه تضم المواد اللغوية والأدبية، وقد كانت تنتقي الكتب التي كانت تختار كمقررات دراسية على الطلبة "فاهتمت جمعية العلماء اهتماما كبيرا باختيارها وانتقائها من أمهات كتب التراث الإسلامي والعربي قديمه وحديثه"[2]، وكان من بين الكتب المقررة في المنهج الدراسي في مجال اللغة والأدب، " القطر في القواعد ، و الأجرمية كذلك في القواعد و لامية الأفعال و ديوان الحماسة في الأدب ، وديوان المتنبي في الأدب كذلك، والأمالي للقالي، ومقدمة ابن خلدون في الأدب كذلك"[3].وفي أحيان أخرى كانت تنتقي كتب المعاهد المشرقية، خاصة المعاهد الأزهرية والزيتونة لتكون ضمن المقررات الدراسية في مناهج التعليم، لتكون رافدا مغذيا للعقول من خلال طريقتها المبسطة، وسهولة تناولها ودراستها "وكانت الحركة تتحايل على جلب هذه الكتب بشتى الوسائل، وكان طرحها أمام الطلبة والمعلمين يعني انتعاشا قوميا[4]" وبهذا استطاع أبناء هذه الأمة أن يحذقوا في هذه اللغة، ولانت ألسنتهم لها، وبدأت تنتعش شيئا فشيئا، وتشق طريقها نحو صنع الإنسان الجزائري واسترجاع شخصيته الوطنية وإحداث نهضة علمية وأدبية كبيرة.

ثالثا : تطوير التعليم

1-تطوير أساليب التعليم

كان التعليم قبل نشأة الجمعية يسير العمل فيه بطرق عقيمة وأساليب متردية ومناهج تنطبق عليها جميع الأوصاف إلا وصف منهج، غاية في الانحطاط والعقم، وطرق التعليم هذه التي كانت تمارس في المساجد والزوايا التي كانت تباشر التعليم أدت إلى انحطاط أكثر للغة وللأدب، واعوجاج أبين للسان والكلام...فزادت في تقهقر اللغة ورجوعها للوراء، وكان الشيخ عبد الحميد بن باديس وبعض أعضاء الجمعية من خلال دراستهم في المعاهد العربية المشرقية أو زياراتهم لها، قد اطلعوا على مناهج التدريس فيها، وكانت هذه المناهج في كثير من الأحوال

---

[1]- جريدة الصراط – العدد 4 – السنة الأولى – أكتوبر 1933م.

[2]- د.تركي رابح – التعليم القومي والشخصية الجزائرية – 1931م - 1956م ص261.

[3]- د.تركي رابح – الشيخ ابن باديس فلسفته وجهوده في التربية والتعليم 1900م-1940م – ص342.

[4]- د.صالح خرفي – الشعر الجزائري الحديث – ص152.

والأحيان لا تعجبهم فانتقدوها. خاصة منها تدريس اللغة العربية وحين تأسست المدارس التعليمية بالجزائر كان لهؤلاء الأعضاء آراؤهم واجتهاداتهم، وعملهم لتطوير هذه المناهج، فكان "للشيخ عبد الحميد بن باديس أراء عديدة كتبها من أجل إصلاح مناهج التعليم وطرق التدريس في المعاهد الإسلامية المختلفة لعل أبرزها تلك التي وردت في الاقتراح الذي بعثه إلى لجنة وضع المناهج التي شكلها الباي سنة 1931م لإصلاح جامع الزيتونة بتونس"[1] فبعدما أبان خصوصية الكلية الزيتونية بتدريسها للعلوم الدينية وتقدم اقتراحاته في هذا المجال، كانت نظرته إلى كيفية تدريس اللغة العربية وآدابها وفنونها ، فيقول في ذلك :"وأما مسألة الفنون وكيفية تعليمها فنرى أن يشتمل منهاج التعليم المشترك على اللغة العربية والنحو والصرف والبيان بتطبيق قواعد هذه الفنون على الكلام الفصيح لتحصيل الملكة، وأما قراءتها بلا تطبيق –كما الجاري به العمل اليوم– فهو تضييع وتعطيل وقلة تحصيل، على تاريخ الأدب العربي، وعلى تعلم الإنشاء، وعلى تعلم حسن الأداء في القراءة..."[2] كما كانت شكواه في مجال تدريس النحو "من النحاة أو ممن تصدوا لتدريس هذه المادة في جامع الزيتونة هو أنهم كانوا يتخذون موقفا منطقيا من قضايا اللغة بحيث غلبت عليهم المعيارية، وابتعدوا عن تطبيق القواعد النحوية على الكلام الفصيح"[3]. وكما انتقد مناهج جامع الزيتونة بتونس انتقد كذلك مناهج الأزهر بمصر، ومدارس المغرب الإسلامي بصفة عامة، وكتب مقالين في هذا المجال بعنوان "صلاح التعليم أساس الإصلاح"[4] يبين فيهما كيف كان التعليم في العهود الأولى وما ينبغي أن يكون عليه اليوم، لأن إصلاح التعليم في رأيه أساس الإصلاح، فقد جاء في المقال الأول قوله:"لن يصلح المسلمون حتى يصلح علماؤهم..ولن يصلح العلماء إلا إذا صلح تعليمهم، فالتعليم هو الذي يطبع المتعلم بالطابع الذي يكون عليه في مستقبل حياته، وما يستقبل من عمله لنفسه وغيره، فإذا أردنا أن نصلح العلماء فلنصلح التعليم"[5]. وهذه الآراء لأبن باديس طبقتها الجمعية في مناهجها، فحاولت إصلاح الأساليب القديمة والقضاء على سلبياتها وعقمها في التعليم المسجدي والمدرسي، "التي كان يباشرها التعليم

---

[1]- حسن عبد الرحمان سلوادي – ابن باديس مفسرا - ص109.

[2]- د.عمار طالبي –ابن باديس حياته وآثاره- الجزء الثالث- ص182.

الشهاب – الجزء 10- المجلد8 - أكتوبر 1931م.

[3]- حسن عبد الرحمان سلوادي - نفس المرجع - ص170.

[4]- المقال الأول في الشهاب الجزء11 – ا لمجلد10 - أكتوبر 1934م. والمقال الثاني في الشهاب الجزء 12 – المجلد 10 - نوفمبر 1934م.

انظر كذلك د.عمار طالبي – ابن باديس حياته وآثاره – الجزء الثالث - ص217 إلى 222.

[5]- الشهاب – الجزء 11 - المجلد10 - أكتوبر 1934م.

ومعاهد العلم الكبرى بغير الجزائر، و لم تستطع تلك المكاتب، والمعاهد التخلص منها مع ظهور فسادها"[1] إلا بعد ظهور الجمعية، التي حاولت إضافة إلى القضاء على الأساليب العقيمة "الاقتباس من الأساليب الأوروبية والأمريكية والاستفادة من تقدم التربية الحديثة وعلم النفس، ،وهذا الاقتباس الذي يمس جوهر الأسس التي يقوم عليها نظامنا التربوي،هذه الأسس شيء لا يمكن أن نستورده من الخارج دون أن نفرض الملامح الرئيسية من شخصيتنا لخطر الفناء على الرغم من تقديرنا للمزايا العظيمة التي ترتبت على صبغ نظامنا التربوي بصيغة دمقراطية، وجعل التربية غاية في نفسها كما توحي به النظريات الحديثة، فإن الأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية السائدة في الجزائر ستصبح جهودنا معها في الإصلاح عملا من غير طائل"[2].

ويواصل الإبراهيمي حديثه عن وجوب تطوير أساليب التعليم وما أخذت الجمعية به نفسها على العمل به في مدارسها والنتائج التي يمكن أن تترتب على ذلك في المستقبل القريب، فيقول: "وإذا كنا نشهد ضعف هذا التعليم وركوده وعقمه في هذه الأزمنة المتأخرة، فما هي إلا عوارض جاءته من سوء اختيار للكتب، أو فساد الأسلوب في التأدية، أو قصور الملكة في المدارس أو من ذلك جميعا، ثم تأصل بمرور الزمن، والضعف دائما يجر بعضه إلى بعض، وقد شعرت معاهدنا المذكورة منذ سنوات بهذه النقائص فاجتهدت في إصلاحها وتمكينها وعملت على سد الخلل وتوسيع الدائرة، ومجاراة الزمن وسنراها عما قريب واصلة إلى الغاية –إن شاء الله– فتخرج لنا فرسان منابر يهدون هذه الجماهير المتثائبة، وأعلام أدب يحركون هذه المشاعر المخدرة، وعلماء استنباط يحلون هذه المشكلات الحيوية، التي عاقت الأمم الإسلامية عن مجاراة السابقين في الحياة"[3] وهكذا عملت الجمعية على ترقية التعليم والنهوض به فكان بذلك "يسير على أحدث الأسس الحديثة كما كان مليئا بالتفاؤل وبالأماني العظام"[4].

٤–كيف كانت تدرس العربية؟

وباعتبار أن النهوض باللغة العربية هدف أساسي، عمدت الجمعية في تطبيقه بمدارسها إلى طريقة سهلة وحديثة في تعلم العربية وتقويم الملكة اللسانية، وفي أسلوب مميز يعتبر أحد مفاخرها "فتعهد

---

[1]- الشيخ البشير الإبراهيمي – سجل مؤتمر جمعية العلماء – ص57.

[2]- البصائر – السنة 2 – العدد94 – سبتمبر 1949م.

آثار الشيخ الإبراهيمي – الجزء الثالث – ص23/22.

[3]- آثار الشيخ الإبراهيمي – الجزء الثالث – ص24/23.

[4]- سعاد محمد خضر –ا لأدب الجزائري المعاصر – ص51.

إلى الأساتذة الذين يعملون في سلك مدارسها بتلقين التلاميذ أبسط القواعد في أسهل التراكيب. والإكثار من التمارين التطبيقية التي تساعد على الفهم وتثبته في الأذهان، والتركيز على العناية بالمعنى أكثر من اللفظ والزخرف، وإشراب المتعلمين معنى ما يقرؤونه، والاجتهاد في تربية ملكة الذوق والاستنتاج في نفوسهم، ومحاولة إصلاح لهجات الحديث التي حرفتها العامية عن سبيلها العربي وتقويم الألسنة على الحروف العربية وهيئاتها ومخارجها حتى يستقيم نطق المتعلمين العربي"[1] هذا "كما عملوا على تطهير اللغة العربية من الكلمات الدخيلة والاستعمالات المستهجنة"[2] وعملوا على تشجيع "تلاميذهم على الخطابة وارتجال القول في المحافل العامة بدون هيبة أو تلعثم أو حصر"[3] فكان لهذا الأسلوب من العمل ثمرته ولهذه الطريقة نتائجها الإيجابية في التلاميذ خريجي مدارس الجمعية " حيث استقامت ألسنتهم على اللغة العربية و تحسنت لهجة حديثهم، وظهر منهم الخطباء الذين يؤثرون في الجماهير ، ويحتلون منابر الخطابة بكل شجاعة و رباطة جأش"[4] .

3- اختيار الكتب :

وفي مجال تطوير التعليم عملت الجمعية على "إصلاح الكتب الدراسية سواء في التعليم المدرسي أو التعليم المسجدي أو التعليم والتهذيب في النوادي وهي وسط بين المدارس والمساجد"[5] كما كانت تعهد إلى أن "تختار من الكتب ما هو أقرب إلى الإفادة واعون على تحصيل الملكة العلمية في تلاميذها، وتجنب تلك الكتب الجامدة المعقدة التي لا تفتق ذهنا ولا تبعث في نفس الدارس نشاطا"[6]. هذا من حيث الكتب المعتمدة كمقررات في مدارسها ومناهجها، أما من حيث الكتب غير المقررة، فقد كانت الجمعية تحرص على حث طلبتها ومعلميها على حد سواء وجميع أعضائها على "روح المطالعة، وطرائق البحث في التاريخ والاجتماع، والأدب، وتاريخ الرجال الذين ساهموا في التراث الإنساني بصفة عامة ، والعربي الإسلامي منه بصفة خاصة، كما كانت ترشدهم إلى البحث والدراسة في أمهات كتب التراث العربي قديمه وحديثه... و بذلك ساعدت

---

[1]- د.رابح تركي – التعليم القومي والشخصية الجزائرية 1931م-1956م - ص260 .
البشير الإبراهيمي – سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين - ص76 .

[2]- د.أبو القاسم سعد الله –الحركة الوطنية-الجزء الثاني-ص424.

[3]- د.تركي رابح – ابن باديس فلسفته وجهوده في التربية والتعليم 1900م -1940م - ص368.

[4]- نفس المرجع. – ص 368

[5]- نفس المرجع – ص368

[6] – نفس المرجع - ص368.

جمعية العلماء على تطوير التعليم العربي الحر ووجهته وجهة علمية تخدم قضية النهوض باللغة العربية والثقافة الإسلامية في الجزائر ، كما ساعدت على بعث النهضة العلمية والاجتماعية في البلاد"[1] وحتى تأتي روح المطالعة بثمارها اتخذت الجمعية لذلك في كل مدرسة مكتبة، جمعت لها أصنافا وأشتاتا من الكتب التي تراها نافعة ومفيدة لطلبتها ومعلميها، كما اتخذ بعض تلامذتها وأساتذتها ومشايخها مكتبات خاصة في بيوتهم جمعوا فيها كل كتاب هام ومفيد في شتى العلوم قديمها و حديثها.

4- إحداث الشهادة الابتدائية :

المدارس التي أنشأتها الجمعية في تزايد مستمر..والمساجد التي تباشر فيها الجمعية التعليم هي الأخرى في تزايد..والإقبال الجماهيري على التعليم في تزايد أكثر فأكثر..فكان العمل على كيفية استيعاب هذا الكم الهائل والانتقال به من طور إلى طور..وعدم الاكتفاء بالتعليم القليل وترك الشباب بعد ذلك للفراغ دون أن يكمل دراسته "ففي عام 1952م قررت الجمعية لأول مرة في تاريخ نشاطها التعليمي إحداث "شهادة الدراسة الابتدائية" "[2] وأجرت أول امتحان لذلك، وعملت على أن، تلحق خريجي مدارسها الابتدائية بمعهد ابن باديس الذي أسسته سنة 1947م "وجعلت ابتداء من عام 1952م الحصول على الشهادة الابتدائية شرطا للتسجيل في المعهد"[3]. ولقد تخرج العدد الكبير من الطلبة الذين يحملون الشهادة الابتدائية، وكان المستوى العلمي للحاصلين على هذه الشهادة في مستوى جيد ومقبول من الناحية العلمية، ولقد اعترف الدكتور مرتاض :"بأن أصحاب الشهادة الابتدائية العربية بالمدارس الحرة يشبهون حاملي الشهادات الثانوية لدينا في الوقت الراهن، بل ربما فاقوهم من حيث كتابة الإنشاء، والإلمام بالقواعد النحوية ومبادئ الفقه الأولية؛ لكفاءة المعلمين يومئذ، ولشدة تحمسهم للتعليم ولتنافسهم في الخير"[4].

5-توحيد برامج التعليم :

ويبرز الدور الهام الذي لعبته الجمعية في تطوير التعليم من خلال عملها على توحيد برامج التعليم الذي كانت تشرف عليه بعد اتساع دائرته ونشاطه، فعقدت لذلك مؤتمرا وطنيا عاما بنادي الترقي بالعاصمة خلال سنة 1937م وهو "مؤتمر المعلمين الأحرار" وكانت جريدة البصائر قد

---

[1]- د.تركي رابح – التعليم القومي والشخصية الجزائرية 1931م-1956م - ص262.

البشير الإبراهيمي – سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين – ص 60

[2]- د.أحمد الخطيب –جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها الإصلاحي في الجزائر - ص215.

[3]- المرجع السابق – ص 215

[4]- د.عبد المالك مرتاض –فنون النثر الأدبي في الجزائر – ص55 .

وجهت "دعوة إلى المعلمين الأحرار لحضور وشهود المؤتمر الخاص بالمعلمين الأحرار، ويعدوا أنفسهم لتبادل الآراء فيما يهم التعليم العربي الحر ومدارسه ومساجده ونظمه وأساليبه"[1]، وكان الهدف من المؤتمر هو توحيد مناهج التعليم العربي، ولقد اقترحت الجمعية على لسان رئيسها المسائل التالية للنقاش :

1- وسائل توحيد التعليم.
2- أسلوب التعليم.
3- أسلوب تربية الناشئة.
4- خلاصة تجاربهم في التربية والتعليم.
5- الكتب ، وهل الأحسن اختيار كتب مصرية أو تأليف كتب تتفق مع الروح الجزائرية ؟.
6- رأيهم في تعليم البنت المسلمة ووسائل تحقيقه.
7- التعليم المسجدي ووسائل تنظيمه وترقيته.
8- رأيهم في الوسيلة التي تعيد بها المرأة المسلمة سيرة سلفها من تلقي العلم.
9- تقارير مفصلة لدرجة إقبال الأمة على التعليم بأقسامه السابقة كل في جهته"[2]

وتم انعقاد المؤتمر فعلا سنة 1937م تحت إشراف الجمعية "وتدرس المسائل المذكورة وأصدر بشأنها مجموعة قرارات وتوصيات تستهدف تطوير التعليم العربي والسعي وراء النهوض به في شتى مجالات الحياة"[3] وكان لهذه التوصيات والقرارات عملها الإيجابي فيما جاء من المستقبل التعليمي، على أبناء الأمة الجزائرية، وهذا من خلال المتابعة والاهتمام الذي لقيته هذه القرارات، والتي كان التذكير بها دائما من أعضاء الجمعية خاصة الشيخ البشير الإبراهيمي الذي كتب مذكرا بها عدة مقالات منها "إلى أبنائنا المعلمين الأحرار"[4] و"حقوق المعلمين الأحرار على الأمة"[5] بين فيها واجب المعلمين ودورهم ومهامهم، وكيفية أداء واجبهم.

رابعا : نماذج من مدارس الجمعية ، والتعليم بالخارج .

بعد الحديث عن النهضة العلمية التي أحدثتها الجمعية في مجال التعليم من حيث تأسيس المدارس، واختيار الأساتذة الأكفاء والعمل على تطوير قدراتهم العلمية والمنهجية، ومن حيث المقررات

---

[1]- البصائر الأولى – السنة2 – العدد80 - سبتمبر1937م.
د.عمار طالبي – ابن باديس حياته وآثاره – الجزء الثالث – ص 239/238.
[2]- المرجع السابق
[3]- د.تركي رابح – التعليم القومي والشخصية الجزائرية1931م-1956م - ص264-.
[4]-البصائر السلسلة الثانية – العدد94 – لسنة 1949م - و العدد132و133 لسنة 1950م.
[5]- البصائر السلسلة الثانية – العدد149 لسنة 1951م.

والمناهج التي اعتمدتها، ومن حيث الاهتمام بتطوير التعليم من خلال تطوير أساليبه...لنا أن نعطي مثالين على هذه المدارس التي أنشأتها الجمعية وبيان ما قدمتاه للأمة، في خدمة العلم واللغة العربية، وما يخصهما ينطبق على جميع مدارس الجمعية تقريبا.

1- النموذج الأول: دار الحديث بتلمسان

تأسست دار الحديث بتلمسان على يد الأستاذ الرئيس البشير الإبراهيمي الذي عينته الجمعية مسؤولا لها على الجهة الغربية للقطر الجزائري، فباشر عمله هناك انطلاقا من تلمسان التي كانت قاعدة له، وليكتمل بناء العمل الذي يريد أن يباشره، وليجعل من قاعدته -تلمسان-مركز عمليات عمد إلى تأسيس دار الحديث التي أوكل مهمة تصميمها إلى مجموعة مهندسين مع توجيهات منه، فجاءت غاية في الجمال والأناقة وقمة في الهندسة الأندلسية المغربية، فانطلقت في أداء مهمتها في حفظ العروبة والإسلام، فكانت بحق ذات "قيمة تاريخية طيبة في دفع حركة الإصلاح في الجزائر إلى آفاق النهضة العربية الإسلامية بالوعي اللائق في بث معالم الثقافة بجميع فنونها"[1]، ولقد تم افتتاحها من طرف الشيخ عبد الحميد بن باديس، فكان يوما مشهودا، ألقى خلالها كلمة بالمناسبة جاء فيها "..أما بعد فحياكم الله أبناء العروبة والإسلام والعلم والفضيلة، حوربت فيكم العربية حتى ظن أن قد مات منكم عرقها، ومسخ فيكم نطقها، فجئتم بعد قرن تصدح بلابلكم بأشعارها، فتثير الشعور والمشاعر، وتهدر خطباؤكم بشقاشقها فتدك الحصون والمعاقل، ويهز كتابكم أقلامها فتصيب الكلى والمفاصل"[2]. فلقد عدها ابن باديس رمزا من رموز العروبة، ومعقلا من معاقل العربية واللسان العربي، يرابط فيها المخلصون من أبناء الجمعية وتلاميذها، ينافحون ويصدحون باللسان العربي، ويتغنون بأمجاد الماضي، ويتطلعون نحو المستقبل بكل ثقة وعزم، وكيف لا تكون هذه الدار كذلك، وهي التي أصبحت "ناديا ثقافيا نشيطا يستقبل علماء الجزائر وعلماء المغرب جميعا، وقد كانت ربما قامت فيه قوائم الأدب على نحو رائع يدعو إلى الإعجاب"[3]، وقد أسهمت هذه الدار في النهضة الأدبية والعلمية والتعليمية والثقافية بقسط وافر لا يمكن نكرانه وخرجت عددا لا بأس به من الأدباء والشعراء والخطباء والكتاب "وحسب هذا المركز المتواضع فخرا أنه خرج كثيرا من الطلبة الذين ينهضون اليوم

---

[1]- محمد عباس -الإبراهيمي أديبا - ص50.

[2]- الشهاب - الجزء8 - المجلد 13 - أكتوبر 1937م.

[3]- د.عبد المالك مرتاض -- نهضة الأدب المعاصر في الجزائر 1925 م-1954م - ص55.

بوظائف عربية محترمة في المجتمع الجزائري"[1] وقدموا خدمات عظيمة للثقافة واللغة العربية في هذا القطر.

2- النموذج الثاني : المعهد الباديسي

بعد تكاثر عدد المدارس وعدد التلاميذ فكر أعضاء الجمعية في تأسيس معهد للتعليم الثانوي، الذي ظهر إلى الوجود سنة 1947م ليكون أول معهد ثانوي بالقطر الجزائري تحت اسم "معهد عبد الحميد بن باديس"، وكان له دور رائد في تاريخ الجزائر الحديث، وفي نهضتها العلمية والأدبية، وحتى يكون له امتداد إلى الجامعات العربية الأخرى، واعترافا لشهادته العلمية ومصداقية أكثر لم يشأ أعضاء الجمعية أن يستقلوا به "فاسندوه علميا إلى جامع الزيتونة بتونس على الرغم من أن كل شيء كان جزائريا بحتا، أساتذة، وميزانية، وبرامج أيضا، أما الكتب المدرسية فكانت مختلفة، فيها الجزائري المحض وهو قليل، وفيها التونسي، والمصري، واللبناني وهو الغالب.

وكان معهد ابن باديس مستقلا في كل أعماله العلمية والتربوية، ما عدا لجنة الامتحانات الخاصة بالسنة الرابعة، أو شهادة الأهلية التي كان يرأسها أساتذة من الزيتونة باشتراك من بعض أساتذة المعهد الباديسي"[2].

وكانت الجمعية ترمي من وراء تأسيس هذا المعهد التمهيد لتأسيس وإنشاء جامعة على غرار جامعة الزيتونة أو الأزهر لتكون مركزا عاليا للثقافة العربية الإسلامية، لكن ذلك لم يتحقق لظروف وأسباب عديدة.

وكان عدد لا بأس به من الأساتذة يباشر مهامه في المعهد، حيث كانوا من خيرة ما أنجبت الجزائر انتقتهم الحركة الإصلاحية للتعليم، وقد وصفهم الدكتور مرتاض بأنهم "كانوا أكثر عددا، وأثرى مددا، وأوسع ثقافة، وأرحب أفقا.."[3] وأكثر نشاطا، واستيعابا للعلوم والمناهج الحديثة.

أما طلابه فهم كذلك كانوا من خيرة أبناء الجزائر نشاطا وعلما وثقافة، وجدا و مثابرة في التحصيل العلمي، والنهل من منابع المعرفة فقد "كان أولهم لا يرضى أن يمر اليوم الواحد عليه دون أن يحفظ فيه القصيدة الطويلة، أو يقرأ الكتاب المتوسط الحجم في يوم واحد، ولاسيما في

---

[1]- نفس المرجع - ص54.

[2]- د.عبد المالك مرتاض - الثقافة العربية في الجزائر بين التأثير والتأثر -ص54 -دار الحداثة بالتعاون مع ديوان المطبوعات الجامعية - الجزائر - الطبعة الأولى 1982م.

[3]- د.عبد المالك مرتاض – نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر 1925م-1954م ص52.

أيام العطل الأسبوعية، وآخرهم كان يحفظ الأبيات ويلم ببعض فصول الكتاب الواحد في يوم واحد أيضا"[1].

كما كان لتأسيس المعهد انعكاسه على الحركة العلمية والثقافية في مدينة قسنطينة بالأخص، حيث كانت مقصد كل الجزائريين من طلاب العلم، ومقصد كل الأساتذة الجزائريين والمدرسين الذين كانت وجهتهم المعهد ومدينة قسنطينة، بل يمكن القول أنه أصبح "بهذه المدينة حركة ثقافية واسعة شملت تجارة الكتب وتأليفها، وطبع المنشورات العربية على اختلافها"[2]..وعلى قصر عمره لعب دورا مهما في الحركة الثقافية العربية ونهضتها في الجزائر خاصة من خلال خريجيه الذين كانوا يوفدون في عداد البعثات التعليمية إلى معاهد وجامعات المشرق العربي، كالزيتونة بتونس، وكلية دار العلوم، والأزهر بالقاهرة، أو جامعات مشرقية أخرى "رغبة من الجمعية في تكوين إطارات مثقفة ثقافة عربية عصرية تتمكن في المستقبل من المشاركة في قيادة الشعب العربي الجزائري والسير به نحو الحياة الأفضل"[3].

فكان المعهد بذلك بالنسبة للمستعمر "شجى في حلقه، وقذى في عينه، وسما في دسمه"[4] من خلال النتائج الباهرة التي أحدثها في واقع الأمة الجزائرية ودوره الريادي الذي لعبه في مستقبل الجزائر، وقد وصف كل هذا الشيخ البشير الإبراهيمي بقوله :"وهذا المعهد على عظمته وظهور نتائجه –من أول يوم– ليس إلا معهدا تجهيزيا يحتضن المتخرجين من السنة الخامسة الابتدائية، ومن ماثلهم ،ثم ذوي الجهود الخاصة فيقويهم في الدينيات علما وعملا، وفي القرآن حفظا وفهما، ويروض ألسنتهم على القراءة والخطابة، وأقلامهم على الإنشاء والكتابة، وعقولهم على التفكير الصحيح، ويصوغهم صياغة أخلاقية متقاربة، ويشرف بهم على علوم الحياة من باب الرياضيات والطبيعيات، وبهيئهم تهيئة صحيحة للتعليم العالي، هذه هي حقيقته لا تخلوا في بيانها ولا تقصر، وإن أوائله في ذلك لمبينة بأواخره"[5] وبذلك استطاع المعهد الباديسي أن يصون اللغة العربية ويجدد في الأدب تجديدا يسيرا كما "خرج أدباء وكتابا وشعراء، وقد نبغ منهم قوم هم لها ميم البلاغة وعراين[6] الفصاحة، وكم لقيت آثارهم من الآذان استماعا

---

[1]- نفس المرجع – ص50.

[2]- نفس المرجع – ص49.

[3]- د.أحمد الخطيب –جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها الإصلاحي في الجزائر – ص216.

[4]- د.عبد المالك مرتاض – الثقافة العربية في الجزائر بين التأثير والتأثر – ص55.

[5]- آثار الشيخ البشير الإبراهيمي – الجزء الثاني – ص280.

البصائر السلسلة الثانية –السنة2 – العدد90 – سنة 1949م.

[6]- لهاميم الناس : أشباههم وعباؤهم – جمع لهموم وله معاني كثيرة منها كثير الخير.

ومن القلوب إنتاجا"[1] "كما برزت أسماء مرموقة في مختلف فنون المعرفة. تأليفا وإبداعا وتثقيفا، وإسهاما غنيا في المكتبة العربية، وحملة ماجستير ودكتوراه في التخصصات المتعددة، و رجال تربية وتعليم في مختلف أنحاء القطر الجزائري، وفي عشرات المدارس العربية الحرة لجمعية العلماء"[2] وبهذا يمكن أن ينطبق عليه الوصف الذي أطلقه الشيخ محمد عبده على دار العلوم سنة1904م في تقريره عن امتحانها النهائي الذي تولى رئاسته حيث قال عنها : "فان باحثا مدققا لو أراد أن يعرف أين تموت اللغة وأين تحيا، لوجدها تموت في كل مكان، ووجدها تحيا في هذا المكان"[3] وكذلك يمكن أن يقال عن المعهد الباديسي.

3- البعثات إلى الخارج -المشرق-

ويكثر عدد خريجي مدارس الجمعية خاصة خريجي المعهد الباديسي، وتزداد رغبتهم في العلم أكثر، وأبى لهم أن، يتوقفوا عن الاغتراف منه، وقد داقوا حلاوته وعرفوا مكانته..وأمام هذه الرغبة التي صاحبها إلحاح ورجاء من الطلبة للأستاذ الرئيس البشير الإبراهيمي في أن يحقق رغبتهم في مواصلة دراستهم في الخارج "قررت الجمعية إيفاد رئيسها الشيخ البشير الإبراهيمي عام 1952م إلى الأقطار العربية لتأمين منح دراسية لهؤلاء الطلاب، وقد نجح في مهمته، فكانت أول بعثة للجمعية تلك التي أوفدتها إلى مصر وضمت 26 طالبا بينهم طالبة، توزعوا على مختلف أقسام كليات الآداب، ودار العلوم، والكلية الأزهرية، وبعض الثانويات في القاهرة، واستقبلت العراق في الموسم الموالي 11 طالبا، التحق عشرة منهم بدار المعلمين العالية التابعة لجامعة بغداد، والتحق الطالب الآخر بكلية الحقوق"[4] كما "استقبلت سوريا في نفس العام، أي 1952م،- 10طلاب التحقوا بدور المعلمين في دمشق وحلب، والتحق 14 طالبا بالكويت"[5].

واستمرت بعد ذلك الجمعية في إيفاد طلبتها إلى مختلف الجامعات المشرقية والمغربية، إلى مصر، وسوريا، والعراق، والكويت، والسعودية والمغرب وتونس، التي بها الجامع الزيتوني الذي "كان في ذلك العهد يعيش عهده الزاهر في الإصلاح، وكان صدى للنهضة الأدبية والعلمية في

عرانين : جمع عرنين وهو الأنف كله أو ما صلب من عظمه -ومن كل شيء أوله، والسيد الشريف.

[1]- د.محمد كامل الفقي - الأزهر وأثره في النهضة الأدبية الحديثة - الجزء الأول - ص23 - مجمع البحوث الإسلامية - مصر- 1402هـ-1982م.

[2]- د.صالح خرفي - من أعماق الصحراء - ص30/31.

[3]- د.عبد الله سرور عبد الله، الإعلام والثقافة وأثرهما في الأدب السكندري - ص83.

[4]- البصائر - السلسلة الثانية - العدد 240- السنة 6 - سبتمبر 1953.

[5]- البصائر - السلسلة الثانية - العدد 262 - السنة 7 - مارس 1954.

المشرق"[1]، ومع تكاثر أعداد الطلبة الموفدين إلى هذه الجامعات "وضعت الجمعية ابتداء من عام 1954م شروطا يجب توفرها في عضو البعثة العلمية منها : لا يقبل إلا خريجو مدارس الجمعية ومعهد ابن باديس"[2].

ولقد كان الإبراهيمي يحرص كل الحرص على هذه البعثات، لأنه يعلق عليها آمالا كبيرة في بناء مستقبل الجزائر والنهوض باللغة العربية فيها، حيث كان كثيرا ما يوجه لها وصايا وتوجيهات وهي تغادر نحو طلب العلم، وكان من بين وصاياه ما كتبه في جريدة البصائر بعنوان "إلى أبنائي الطلبة المهاجرين في سبيل العلم" جاء فيها "..وأوجه ندائي إلى جميع أبنائنا المهاجرين إلى المشرق العربي، أو إلى أطراف المغرب العربي، أو إلى أروبا، ثم أخصص المهاجرين إلى تونس لأنهم كثرة، ولأن أحوالهم لغيرهم عبرة...لا تعتمدوا على حفظ المتون وحدها، بل احفظوا كل ما يقوى مادتكم اللغوية، وينمي ثروتكم الفكرية، ويغذي ملكاتكم البيانية، والقرآن القرآن ! تعاهدوه بالحفظ، واحيوه بالتلاوة، وربوا ألسنتكم على الاستشهاد به في اللغة والقواعد، وعلى الاستشهاد به في الدين والأخلاق، وعلى الاستشهاد به في الجدل، وعلى الاعتماد عليه في الاعتبار بسنن الله في الكون"[3] بل لم يقتصر على الوصايا والتوجيهات فقط وإنما كان يتعهدهم بالإشراف المباشر منه "فكان يقوم بزيارات..ليتفقد أحوال الطلاب، ويحثهم على الاجتهاد وعلى القراءة والمطالعة في كل علم وفن"[4]، وبذلك أتيحت لهؤلاء الطلبة الفرصة في تعلم لغتهم وأن يتصلوا "بالثقافة العربية في منابعها، والثقافة الأجنبية في ترجماتها..ووجدوا في هذه البيئات تفتحا أكثر"[5]، وأطلعوا على نماذج الأدب ومدارسه المختلفة وانتاجاتها التي بلغت درجة عالية من الحيوية والإتقان.

ولقد لعبت هذه البعثات بعد عودتها دورا بارزا في تاريخ الحركة الأدبية والنهضة اللغوية في الجزائر فهي "التي أتاحت للجزائر أن تسترد شخصيتها العربية الناصعة في هذا الزمن القصير، حيث آب المتخرجون في الشرق إلى وطنهم، وجعلوا يبثون رسالة الحرف العربي بأصالة وكفاءة.."[6]. كما لعبت دورا بارزا في تحقيق نتائج باهرة في مجال التعريب الذي انطلقت فيه الجمعية وأرادته أن يكون شاملا كاملا.

---

[1]- د.صالح خرفي – الشعر الجزائري الحديث - ص151.

[2]- البصائر – السلسلة الثانية – العدد 238 - السنة 7 - سبتمبر 1954م.

[3]- البصائر –السلسلة الثانية - العدد 09 - السنة 2 -نوفمبر1949م.

آثار الإبراهيمي – الجزء الثاني- ص218.

[4]- د.تركي رابح – البشير الإبراهيمي في المشرق - مجلة الأصالة - العدد 08 - السنة2 - العدد الممتاز لسنة 1972م.

[5]- د.عبد الله ركيبي –القصة الجزائرية القصيرة - ص154 - المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر 1983م.

[6]- عبد المالك مرتاض – الثقافة العربية في الجزائر بين التأثير والتأثر - ص81.

وبهذا يمكننا القول أنه "يندر أن نجد تجربة مماثلة حققت النجاح الذي حققته هذه التجربة الرائدة التي لم تتبناها حكومات رسمية، وانما اعتمدت على الجماهير الشعبية العريضة وعلى العناصر الحية في الشعب الجزائري"[1].

4- التعليم بين المغتربين :

لم يكن اهتمام الجمعية في تعليم الجزائريين دينهم ولغتهم مقتصرا على المقيمين داخل الوطن فقط، بل امتدت الاهتمامات إلى الجزائريين المغتربين –وهم كثير– من الذين اضطرتهم الظروف إلى الهجرة والاستقرار في أوروبا خاصة في فرنسا بحثا عن لقمة العيش أو بحثا عن الاستقرار والأمن..هؤلاء دون شك أقرب إلى الذوبان في المجتمع الفرنسي ، وأقرب إلى نسيان لغتهم وانتمائهم العربي الإسلامي..وما كانت مثل هذه القضية لتفوت جمعية العلماء، خاصة وهي تعمل كل جهدها لبعث الشخصية الوطنية من جديد، والعمل أكثر على عودة اللسان العربي إلى ما كان عليه في ماضيه المزدهر، وفي هذا يقول الشيخ ابن عتيق "فانتدبت – أي الجمعية – للقيام بهذا العمل في أوساط العمال الجزائريين بفرنسا الداعية الكبير الأستاذ فضيل الورتلاني، فسعى في تأسيس النوادي بعدة جهات من فرنسا، وخاصة بباريس، ولما توسعت حركة النوادي طلب من الجمعية أن تمده بعلماء، وكان غالبا يختارهم بنفسه، فأمدته بمجموعة كنت من جملتهم، كما كان السعيد الصالحي، ومحمد الزاهي الميلي، وحمزة بوكوشة، وفرحات الدراجي، والشيخ الهادي السنوسي، من كبار الوعاظ والمرشدين"[2]. هذه النوادي كانت تقوم بدور المدرسة في التربية والتعليم، وبدور المسجد في الوعظ والإرشاد، وبدور المركز الثقافي في نشر العلم والثقافة والوعي العام، وكان هذا العمل في قلب فرنسا نوع من التحدي الذي مارسته الجمعية في القيلم بنهضتها التعليمية والأدبية والثقافية، بل والحضارية في قلب فرنسا وليس في الجزائر فقط.

فها هو الجزائري هنالك مثل الجزائري هنا، يجتمع، ويتعلم لغته ودينه، ويحافظ على شخصيته من الذوبان والانمحاء، وهذا وفق عمل منظم وخطة محكمة في هذه النوادي من الجمعية التي "وضعت برنامجا محكما للدروس والمحاضرات، وكان الإقبال عليها مشجعا، وأصبح الكثير من العمال يترددون عليها ويتعلمون فيها تعليما منظما حسب البرنامج المسطر للسنة الابتدائية والمتوسطة حتى الثانوية، ويتلقون بصفة خاصة التاريخ والسيرة النبوية، والرياضيات، وما إلى هذا من العلوم المختلفة، وكانوا يحضرون المحاضرات التي تلقى من طرف الأساتذة بالتناوب في نـلدي

---

[1]- د.عبد الله ركيبي – عروبة الفكر والثقافة أولا - ص15.

[2]- محمد الصالح بن عتيق – أحداث ومواقف في مجال الدعوة الإصلاحية والحركة الوطنية بالجزائر – ص83 - مطبعة دحلب - الجزائر دون تاريخ.

معين"[1]. وكان لهذا العمل في قلب فرنسا دوره في ربط الجزائريين بوطنهم الأصلي والإحساس بالانتماء إلى العرب والعروبة، وبعث نهضة أدبية ثقافية لا بأس بها بين المغتربين، وقد سجل ذلك كله الشيخ محمد البشير الإبراهيمي[2] في جريدة البصائر حين تحدث عن حركة جمعية العلماء في فرنسا في مجال التعليم العربي والديني، من خلال مبعوثيها الفضيل الورتلاني، والعربي التبسي، وعبد الرحمان اليعلاوي.

خامسا : التعليم في المساجد والزوايا

1-التعليم المسجدي :

لم تقتصر الجمعية في مجال التعليم على المدارس العربية الحرة بل "مارست إلى جانب التعليم المدرسي تعليما مسجديا رغبت من ورائه نشر اللغة العربية، وبعث الثقافة العربية الإسلامية في الجزائر"[3]، هذا التعليم كان قد مارسه قبل ذلك الشيخ عبد الحميد بن باديس وهذا "نظرا للصلة الوثيقة بين هذه المؤسسات التعليمية -المساجد- وبين الجزائريين على مختلف أعمارهم. فكان ابن باديس يدعوهم إلى التعليم المسجدي، بل أنه أوقف جزءا من حياته للتدريس في هذه المؤسسات، قصد تحسين هذا التعليم وتقويته وربطه بالصلوات، فكما أن المسجد يقترن بالصلاة، فينبغي أيضا أن يقترن بالتعليم"[4] فلمست الأمة آثاره ونتائجه من خلال تلاميذه وخريجي المسجد على يد ابن باديس، الذي نجده يقدم تقريرا شاملا في المؤتمر السنوي للجمعية سنة 1934م عن التعليم المسجدي، بين فيه أصل مشروعيته واستمرار العمل به،وأنواعه، والحاجة إليه، ووجوب القيام به ، و الحالة التي هو عليها في وقته ، و كيف ينبغي أن يكون في مستقبل أيامه.

ويحدثنا الشيخ البشير الإبراهيمي عن أهمية هذا التعليم الذي سنه الشيخ ابن باديس وضرورته للأمة، وكيفية صيرورته، والحاجة إليه، فيقول :"أجمعت جمعية العلماء أمرها وصممت على إحياء تلك السنة التي سنها إمام النهضة الجزائرية الشيخ عبد الحميد ابن باديس رحمه الله: وهي التعليم المسجدي، ونعني بالتعليم المسجدي ذلك التعليم الذي تلتزم فيه كتب معينة في العلوم

---

[1]- نفس المصدر – ص84.

[2]- تفصيل ذلك في – البصائر مج2 – العدد 148- السنة4 – مارس1951م- وآثار الشيخ البشير الإبراهيمي الجزء الثالث.

[3]- د.أحمد الخطيب –جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها الإصلاحي بالجزائر – ص207.

[4]- د.عبد الكريم بوصفصاف – جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية في الجزائر- 1931م-1945م- ص146/147.

5 – التقرير كاملا في سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين – الإبراهيمي – ص 95 إلى ص 98 .

الدينية من تفسير وحديث وفقه وأصول وأخلاق، والعلوم اللسانية من قواعد ولغة وأدب. والعلوم الخادمة للدين من تاريخ وحساب وغيرهما، ويقوم به مشايخ مقتدرون في تلك العلوم محسنون لتعليمها، وتسميته مسجديا لأنه كان من فجر الإسلام إلى الآن ومازال يلقى في المساجد"[1] ولمكانته هذه، ولأهميته ودوره، نجد أن الجمعية "كما نشطت في تأسيس المدارس على نطاق واسع في القطر كله، كذلك نشطت في تأسيس الجوامع والمساجد التي كانت مهمتها لا تقتصر على أداء فريضة الصلاة فقط، وإنما كانت إلى جانب ذلك أمكنة لنشر العلم، وبعث الوعي واليقظة في الجزائريين بحيث أسهمت الجمعية بواسطة شعبها -فروعها- المنبثة في مختلف جهات القطر في إنشاء عددا كبيرا من الجوامع والمساجد الحرة"[2]، فالإضافة إلى الجامع الأخضر بقسنطينة كانت هناك مساجد وجوامع أخرى في سطيف وتلمسان وتبسة ومارونة وغيرها من المدن الجزائرية الأخرى.

ونظرا لأهمية المساجد في مجال التعليم، جعلت الجمعية لها برامج خاصة وعينت لها مشايخ ومدرسين أكفاء لهم من القدرة والكفاءة على التعليم والتدريس والوعظ ما يمكنهم من ممارسة هذا العمل، كما أنها ربطت هذه الجوامع بالزيتونة في برامجها ومواد تدريسها مثل المدارس الحرة. وقد كانت المواد التي تدرس في الجامع الأخضر مثلا، أو المساجد الأخرى في مجملها مواد دينية ولغوية مع بعض العلوم العقلية، فمن الكتب التي كانت تدرس "خاصة في مجال الأدب واللغة والبلاغة: المفتاح، التنقيح، السلم، المكودي، القطر، الأجرومية، الزنجاني، لامية الأفعال، السعد، الجوهر المكنون، ديوان الحماسة لأبي تمام، ديوان المتنبي، أمالي القالي، مقدمة ابن خلدون"[3] وهي تقريبا نفس الكتب المقررة في المدارس الحرة وكان "يتعلم فيها عدد كبير من الطلبة الكبار في المستوى الثانوي على الطريقة والكتب والأسلوب المعروف في الجوامع الإسلامية الكبرى كالأزهر والزيتونة والقرويين"[4].

فأسهمت تلك المساجد إلى جانب المدارس في النهضة الأدبية والثقافية التي صنعتها جمعية العلماء، كما أسهمت في تعليم اللغة العربية ونشرها بين الجزائريين، وغرست فيهم روح الانتماء القومي، وبروز الشخصية الوطنية بكل أبعادها الحضارية، من هذا المنطلق كانت الجمعية تناضل وتكافح وتنافح ضد المستعمر من أجل "تحرير المساجد من سيطرة الاحتلال وإعادتها إلى الجماعة

1- آثار الشيخ البشير الإبراهيمي – الجزء الثالث - ص 23

2- د.تركي رابح – التعليم القومي والشخصية الجزائرية - 1931/1956 م - ص211.

3- د.تركي رابح – الشيخ عبد الحميد بن باديس فلسفته وجهوده في التربية والتعليم 1900م- 1940م ص314 /315.

4- د.تركي رابح –التعليم القومي والشخصية الجزائرية 1931م/1956م - ص228.

الإسلامية تتولى أمورها بحسب الشرع الإسلامي كي تتمكن من أن تلعب دورها التربوي في نشر التعليم الإسلامي بدون عوائق من إدارة الاحتلال"[1].

2- إصلاح الزوايا :

واهتمت الجمعية بعض الاهتمام بالزوايا ودعت إلى ترميمها وبعث نشاطها التعليمي من جديد، وتدعيمها ماديا ومعنويا، فلم تكن صلة الجمعية بالزوايا صلة صراع فقط، نعم هو من جهة صراع مع تلك الزوايا التي باعت نفسها للاستعمار، فكانت له عونا ضد أبناء أمتها في القضاء على شخصيتهم ولغتهم ودينهم، ولكن من جهة أخرى كانت بعض الزوايا والكتاتيب القرآنية ترابط في الصف الأول ضد مخططات المستعمر وسياساته التدميرية، فمع مثل هذه الزوايا كانت تعمل الجمعية وتمد جسور الاتصال والارتباط، لأن مثل هذه الزوايا كانت "روافد تمد المدارس الحرة في الجزائر، وتزود المعاهد والجامعات الإسلامية في المغرب والمشرق، كالجامع الأزهر الشريف بمصر، فبعض هؤلاء الطلبة الذين تحتضنهم هذه المعاهد والجامعات الإسلامية أبناء الزوايا والكتاتيب القرآنية التي بعثت قيم الروح الإسلامية والغيرة الوطنية"[2] وما البعض من شيوخ الجمعية إلا خريجو الزوايا والكتاتيب القرآنية، وهؤلاء لم ينسوا فضل هذه الزوايا على مر التاريخ في الحفاظ على لغة الجزائر وكيانها الشخصي، ومحاربتها للتيارات الوافدة على أبناء الوطن فكانت الجمعية "تحث الشعب على تأسيس الزوايا ثم المدارس للإبقاء على لغته حية"[3] كما كانت تحاول تطوير أسلوب التعليم في هذه الزوايا ليساير التعليم في المدارس والمساجد العربية الحرة.

فكانت بعض الزوايا والكتاتيب إلى جانب المدارس والمساجد من أهم المحاضن والروافد التي اعتمدتها الجمعية في تربية وتعليم الجزائريين لغتهم العربية وتاريخهم العربي الإسلامي، ليعرف تراث أجداده وآبائه، ولتبث فيه روح جديدة من حب العرب والعروبة والارتباط بالأوطان العربية على امتدادها الجغرافي.

سادسا : بعض نتائج التعليم

سنأتي على ذكر بعض نتائج التعليم بشيء من الاختصار لأن تفصيل ذلك في موضع آخر، ذلك أن هذه النتائج الجزئية هي جزء من النتائج الكلية التي سنأتي على ذكرها لاحقا، غير أن ما يمكن قوله، أن التعليم الذي استحدثته جمعية العلماء أوجد ثورة لا مثيل لها في جميع المجالات، وأتى

---

[1]- نفس المرجع – ص186.

[2]- محمد نسيب – زوايا العلم والقرآن بالجزائر – ص33 – دار الفكر دمشق سورية ودار الفكر الجزائر – دون تاريخ.

[3]- د.عثمان سعدي – قضية التعريب في الجزائر – ص39.

بنتائج باهرة لم يكن يتوقعها أحد، إلا أعضاء الجمعية ومؤسسيها، وقد كانت أهم هذه النتائج ما يلي:

1- محو الأمية :

مما كانت الجمعية تطمح إليه محاولة رفع ستار الأمية المسدل على عموم الشعب الجزائري، ولقد بذلت في ذلك جهدا كبيرا وعملا جبارا لمحاربة هذه الآفة بين الكبار والصغار من خلال مدارسها حيث "كان التعليم في تلك المدارس بالنهار مخصصا للأطفال الصغار، أما بالليل فإنها تفتح أبوابها للمواطنين الكبار في نطاق برنامج محو الأمية، ونشر التعليم باللغة العربية، وبهذه الطريقة تعلمت أعداد كبيرة من النساء والرجال القراءة والكتابة والحساب ومبادئ الدين الإسلامي في مختلف مناطق البلاد"[1] ولقد بين الإبراهيمي كيف سعت الجمعية إلى مكافحة الأمية لدى الكبار بتعليمهم "مقدار ما يرفع الأمية عنهم"[2] ولأهمية هذه المشكلة وخطورتها في المجتمع الجزائري ووجوب محاربتها قامت الجمعية بطرح مشكل الأمية في الجزائر في مؤتمرها السنوي سنة 1934م.

فكان البرنامج الذي وضعه "الإبراهيمي مع الإمام ابن باديس والميلي والتبسي، وغيرهم، من إخوانه العلماء برنامجا واسعا لإصلاح التعليم العربي الحر في الجزائر، والنهوض به، منطلقا في وضع هذا البرنامج من دراسة موضوعية شاملة للمجتمع الجزائري، فأبان عن فلسفة تربوية إصلاحية عميقة، تجلت في تقريره الشامل عن الأمية الذي ألقاه في مؤتمر الجمعية..فقد حلل فيه أخطار الأمية تحليلا علميا دقيقا، ووضع الأسس السليمة لعلاجها"[3] فنجد الإبراهيمي في هذا التقرير "بعد أن يشرح هذه الظاهرة الخطيرة تشريح الطبيب الماهر ويبين أفضال القراءة والكتابة على حيوات المجتمعات والأمم، يلتفت إلى الفئة الأكثر أهلية وفعالية للحد من أمراض الأمية والقضاء عليها، ألا وهي فئة المثقفين، وهو لا يكتفي بإلقاء المسؤولية عليهم فحسب وإنما يبين لهم السبل التي تضمن لهم النجاح في مهمتهم العظيمة هذه فيقول:"...ذلك يكون بتنزل المثقف في مخاطبة العامي واستدراجه في كل اجتماع... "[4]..كما كانت الجمعية في مهمتها هذه تعتمد على اختيار الكتب الدراسية الأقرب إلى الإفادة، والأكثر إعانة على تحصيل الملكة العلمية وتفتيق

1- تركي رابح – مشكلة الأمية في الجزائر – ص21 – مكتبة الشعب – ش.و.ن.ت الجزائر 1981 م

2- البشير الإبراهيمي – سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ص 59

3 – عبد الرحمان شيبان – الإمام الشيخ محمد البشير الإبراهيمي – مجلة الثقافة – العدد87 – ص82 – السنة15 – شعبان – رمضان 1405هـ /مايو – يونيو 1985.

4- عبد الرحمان شيبان – المقال السابق – ص 82.

الأذهان وبعث النشاط في نفس المتعلمين، كما اهتمت بنوعية المعلمين القائمين بهذه المهمة النبيلة "فكانت تختارهم من بين خريجي الجامعات الإسلامية في الوطن العربي، خاصة جامعي الزيتونة في تونس، والقرويين في المغرب، وكان ابن باديس يؤهل طلابه في الجامع الأخضر لمهمة التعليم"[1]، وبهذا العمل رفعت الجمعية الجهل والأمية عن فئات كثيرة من المجتمع الجزائري، وأصبحت هذه الفئات تعرف لغتها وتتحدث بها وتقرأ بها وتعبر بها ومن خلالها، وتتذوقها وتتذوق سلاستها وطلاوتها وبلاغتها، بل وأصبحت تطل بها على تراث الأجداد، وإبداعات الآباء وإضافات الأبناء، وأصبح هؤلاء الأميون بالأمس، متعلمون اليوم، الجاهلون بالأمس المثقفون اليوم، يحسون بحياة جديدة تسري في نفوسهم، وبشخصيتهم العربية الإسلامية تعود إليهم من جديد.

2- الوقوف في وجه التعليم الفرنسي :

وقف التعليم الذي أنشأته الجمعية بكل جرأة و شجاعة في وجه التعليم الفرنسي بالرغم من وقوف الإدارة الفرنسية معه موقف السند ومحاربتها للتعليم العربي، و محاولة إقصائه من واقع الجزائريين . ووقف في وجه المستعمر متحديا ، وأبطل كل مخططات الاستعمار التي باشرها من خلال تعليمه، فكانت المدارس العربية" بمثابة حرب شعواء على وجود المدارس الفرنسية، والضعضعة من قيمتها والحط من سمعتها"[2]

و قد استطاع أن يقف في وجه التعليم الفرنسي و يتحداه لأنه "تعليم عربي وطني يشرف عليه جزائريون توجيها وتنفيذا"[3] و لأنه يريد تحقيق و إبراز الشخصية الوطنية بكل مقوماتها أما الآخر فقد فشل وعجز لأنه "تعليم فرنسي صرف كان يهدف إلى تجريد الفرد الجزائري من انتمائه وشخصيته"[4] فخسر وانحسر لأنه ضد إرادة الشعب وتوجهاته. و لأنه لا يعبر عن أصالة الجزائري و لا يربطه بماضي و تراث أجداده .

3-إحداث نهضة تعليمية وثقافية :

استطاع التعليم بفضل انتشار مدارسه، وتزايد عدد المقبلين عليه، وبفضل الاهتمام الذي لقيه من الجمعية ومن الأمة، أن يحدث نهضة تعليمية مزدهرة لم تكن من ذي قبل منذ دخول الاستعمار

---

[1]- د.أحمد الخطيب –جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها الإصلاحي في الجزائر- ص202.

[2]- د.عبد المالك مرتاض – نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر 1925م-1954م - ص32.

[3]- د.عبد الله ركيبي – عروبة الفكر والثقافة أولا - ص16 .

[4]- نفس المرجع – ص 16.

إلى الجزائر "والواقع أن ازدهار النهضة التعليمية والثقافية باللغة العربية التي شهدتها الجزائر يعود بالدرجة الأولى إلى جهود جمعية العلماء الرائعة في هذا الميدان"[1].

وكانت هذه المدارس بحق "من أعظم مظاهر ثورة ابن باديس"[2] في الميادين الإصلاحية التي باشرها.

4-تعزيز موقع اللغة العربية بين الجزائريين :

وهذا من أعظم النتائج التي استطاعت أن تحققها الجمعية عن طريق التعليم الحر وهذا "بفضل جهدها الحثيث وتخطيطها الواعي بأن تعزز اللغة العربية بين الجزائريين، الذين فرضت عليهم لغة أجنبية، واعتبرت لغتهم القومية غريبة عنهم"[3] فتدعم اللسان العربي وشق طريقه بكل ثقة وأمل بين الجزائريين و بدأ يفرض نفسه من خلال الثورة الثقافية التي أحدثتها المدارس " فكان الطفل الجزائري الذي يختلف إلى هذه المدارس العربية، فكأنما يدرس في دمشق أو القاهرة، أو بغداد : كل شيء عربي، وكل مادة تعليمية تقدم إليه بالعربية في لهجة فصيحة سليمة"[4].

5تحقيق التعريب :

وهذا كذلك من مطامح الجمعية التي كانت تسعى إلى تحقيقه. والتعريب في عرف الجمعية هو استبدال لغة بلغة، أي إحلال اللغة العربية القومية محل اللغة الفرنسية الدخيلة والغازية، والتعريب بهذا المفهوم كان قد قطع شوطا كبيرا وحقق نتائج مشجعة في "التعليم والإدارة والثقافة بشكل عام"[5] لأن مؤسسات التعليم "استهدفت التعريب أساسا لها في المدرسة من حيث المواد، والمناهج، أو في التسيير الإداري لهذه المؤسسات التي أنشأها الشعب بطموحه الخاص و بوسائله الخاصة"[6].فالمناهج والمواد الدراسية تدرس باللغة العربية رغم أنها استفادت من مناهج الأمم الأخرى، والإدارة التي تشرف على هذه المؤسسات كان عملها يسير باللغة العربية رغم أنها استفادت من مناهج الأمم الأخرى، والإدارة التي تشرف على هذه المؤسسات كان عملها يسير باللغة القومية من خلال وثائقها ومراسلاتها وغير ذلك من لوازم الإدارة.

---

[1]- د.تركي رابح – التعليم القومي والشخصية الجزائرية – ص226 .

[2]- د.عبد المالك مرتاض – الصراع بين العربية والفرنسية في الجزائر – مجلة الأصالة – العدد05 – ص 109- السنة1-جمادى الأولى-جمادى الثانية 1391هـ/ جويلية-أوت 1971م.

[3]- د.احمد الخطيب –جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها الإصلاحي في الجزائر- ص219.

[4]- د.عبد المالك مرتاض – نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر 1925م-1954م - ص32.

[5]- د.عبد الله ركيبي – عروبة الفكر والثقافة أولا 16/15.

[6]- نفس المرجع – ص16.

6الإقبال المتزايد على التعليم :

هذه المدارس أصبح الشعب يحس أنها ملكا له ليس للاستعمار فيها أي دخل أو سيطرة أو تأثير، فهي منهم ولهم، فكان الشعب يبعث بأبنائه إلى هذه المدارس العربية التي "معتموها جزائريون عرب، وهذه المدارس مدارس، وليست مساجد أو خرابيش"[1] ثم كان هذا الإقبال من خلال الوعي الذي أحدثته. والروح الجديدة التي بثها في نفوس الشعب وأبنائه "أعادت للنفوس المكلومة ثقتها، وشحذت الهمم، وخلقت الوعي، وأعدت الشعب إعدادا علميا وروحيا ونفسانيا"[2]. ولقد عبر عن هذا الوعي وعن هذه الروح الجديدة التي بثها التعليم الشيخ البشير الإبراهيمي بقوله :"وآلاف من الشباب العربي المسلم كان كالمجهول في نسبه، كالجاهل لحسبه، ففتحت المحاضرات الحية أذهانه على تاريخ أسلافه، وفتقت ألسنتهم على آدابهم، فتقاسم على أن يقفو الأثر، ويجد ما أندثر، وأقبل على العلم حتى إذا ضاقت به الجزائر فارقها كالنحلة ترحل إلى المكان السحيق لترجع إلى خليتها بالرحيق"[3] فازداد بذلك الإقبال وازداد الوعي، وازداد الحس بالانتماء القومي العربي . "وهكذا أصبح الطفل الجزائري الذي يختلف إلى هذه المدارس العصرية، يختال على التلميذ الجزائري الذي يتردد على مدارس فرنسية رسمية، لأنه لم يعد ذلك الطفل المهمل الجاهل الذي يردد آيا من القرآن الكريم، ويحفظها دون أن يعرف عن الحياة شيئا أكثر من ذلك"[4].

تخريج كفاءات وكوادر ثقافية معربة :

ومن النتائج العظيمة التي حققتها النهضة التعليمية تخريجها لكفاءات وإطارات وكوادر ثقافية متمكنة، تشد بها عضدها، وتستعين بها في عملها وخطتها وصراعها مع المستعمر. فلقد أفنى ابن باديس عمره في ذلك حتى استطاع أن يخرج "من دروسه جيلا كاملا هو عماد النهضة اليوم بما أعده للحياة وهيأه للقيادة، وأن الكثيرين من تلاميذته هم اليوم المحلون في ميدان التعليم المكتسي

1- د. عبد المالك مرتاض – المرجع السابق – ص 32

و الخرابيش: القسم الدراسي غرفة تابعة للمسجد يقرأ فيها القرآن،وهي غير المسجد ، مفردها خربيش .

2 – محمد طي – التعريب من خلال الوثائق الرسمية – ص 30/29.

3- آثار البشير الإبراهيمي – الجزء الثالث – ص114.

– البصائر السلسلة الثانية – العدد 46 – السنة 2- أوت 1948م.

4 – د.عبد الله مرتاض – الصراع بين العربية والفرنسية في الجزائر – مجلة الأصالة – العدد 04 – ص111 – السنة01 – جمادى الأولى – جمادى الثانية 1391هـ / جويلية – أوت 1971م.

الذي تقوم به جمعية العلماء..."[1]. ولقد استطاعت كتائب الجمعية ومدارسها ومساجدها ومعاهدها أن تخرج لنا أعلاما وتولد لنا "الكتاب والشعراء والخطاب والوعاظ"[2] بل وحتى الساسة المحنكين والمتمرسين، فكان من آثار هذه النتائج أن أصبحت الجزائر تنح على السلطات الاستعمارية "في المطالبة بمظهر سياسي وطني للغتها، وهي أن تكون رسمية في المدارس والدواوين والأقلام والأحكام، وأن يعترف لها بمكانتها في وطنها"[3].

المطلب الثاني : وسيلة الصحافة

الصحافة وسيلة فعالة وهامة من الوسائل التي اعتمدتها الجمعية في خدمة أهدافها، وخاصة خدمة اللغة العربية والمحافظة على الشخصية الوطنية، وتجربة الجمعية في مجال الصحافة تجربة رائدة ومثال يحتذى به، لأنها نشأت في ظروف صعبة وعسيرة حيث يعد "ظهور مجلة أو جريدة وطنية في هذا الجو الشائك، أشبه بالمعجزة تنبعث في ظلام الكفر الدامس، وهي من ناحية أخرى أشبه بنبوغ شاعر يظهر في دنيا المنافرات"[4]. ووجود صحافة بالنسبة للجمعية أمر ضروري بل واجب، لأنه من خلالها تخاطب وتتصل بالشعب، وتبلغه أفكارها، وتحدثه عن واجبه، وتفتق ذهنه، وتفتح له الأفاق نحو المستقبل..والحقيقة أن التفكير في وجود صحافة عربية كان قبل نشأة الجمعية، حين كان يعمل ابن باديس لإعداد الأمة لأن تتجمع في إطار هيئة أو جمعية، من خلال ثورته التعليمية..فأصبح "وقد مضت عليه عشر سنوات في تأديته لرسالته التعليمية يشعر بأن الموعد الذي يجب أن تساند فيه حركة التعليم صحافة حرة حية قد آن أوانه، فهناك كثير من تلاميذه أصبحوا موزعين في القطر من شرقه إلى غربه ومن شماله إلى جنوبه، وهناك طائفة منهم أكملت تعليمها بتونس، أو هي على وشك الإكمال وهم سيشاركون -ولاشك- في التحرير والمراسلة والتوزيع والدعوة للمساندة إذا لزم الأمر..."[5] ومضى ابن باديس مع إخوانه في نفس العمل بعد تأسيس الجمعية إذ رأوا ضرورة وجود صحافة مؤيدة لها وناشرة لأفكارها، فكان العمل على وضع شبه خطة لإنشاء صحف تابعة للجمعية.

---

[1]- آثار الإبراهيمي – الجزء الثالث - ص24.

[2]- نفس المصدر – ص311.

البصائر – السلسلة الثانية - العدد 152 – السنة4 -عام1951.

[3]- نفس المصدر – ص311.

[4]- د.صالح خرفي – في رحاب المغرب العربي - ص147.

[5]- أحمد بن ذياب – ابن باديس وعوامل نجاحه في أداء رسالته -مجلة الأصالة - العدد32 – ص121 - السنة5 -ربيع الثاني1396هـ/ابريل1976م.

فكان أن أسست الجمعية صحفا تابعة لها وناطقة باسمها، كما أسس بعض أفرادها صحفا مستقلة بأسمائهم لكنها تحمل نفس الأفكار، كما كان أعضاء الجمعية ينشرون كتاباتهم في صحف أخرى لم تكن للجمعية ولا لأفرادها وإنما لعناصر متعاطفة مع الجمعية ويقترب عملهم مع عمل وتصور الجمعية، وكانت أهم هذه الصحف :

أولا : صحف الجمعية :

أ- جريدة شهاب، وكان قد أصدرها الشيخ عبد الحميد بن باديس سنة 1925م، وتوقفت عن الصدور عام 1939م، وكانت سجل لأراء ابن باديس ومواقفه ودعوته، كما كانت عضدا وسندا للجمعية في كل مواقفها فاقترن اسمها باسم عبد الحميد بن باديس، وباسم جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

ب- جريدة البصائر، وكانت قد صدرت في سلسلتين الأولى أصدرتها جمعية العلماء سنة 1935م وتوقفت قبيل الحرب العالمية الثانية، ثم صدرت في سلسلتها الثانية سنة 1947م إلى أن توقفت سنة 1956م.

جـ- السنة المحمدية، أصدرتها جمعية العلماء سنة 1933م أوقفتها السلطات الاستعمارية في نفس السنة.

د- الشريعة المطهرة، أصدرتها الجمعية سنة 1933م، أوقفتها الإدارة الفرنسية في نفس السنة بعد 40 يوما من صدورها.

ثانيا : صحف إصلاحية أخرى

إضافة إلى الصحف السابقة لجمعية العلماء "كان لبعض أعضاء الجمعية..نشاطهم الصحفي، فأصدروا صحفا طال زمن صدورها أو قصر"[1] وكانت أهمها :

جرائد أبي اليقظان وقد أصدر عناوين كثيرة بعد تأسيس الجمعية أهمها :

أ- جريدة النور أصدرها سنة 1931م وتوقفت سنة 1933م بعد صدور 78 عددا.

ب- جريدة البستان أصدرها سنة 1933م وتوقفت في نفس السنة بعد صدور 10 أعداد.

جـ- جريدة النبراس أصدرها سنة 1939م وتوقفت في نفس السنة بعد صدور 06 أعداد.

د- جريدة الأمة أصدرها سنة 1933م وتوقفت سنة 1938م بعد صدور 170 عددا.

هـ- جريدة الفرقان أصدرها سنة 1938م وتوقفت في نفس السنة بعد صدور 06 أعداد.

---

[1]- الشيخ خير الدين – المذكرات – الجزء الأول - ص298.

و- جريدة الشعلة أصدرها الأديب أحمد رضا حوحو مع السيد محمد بوشمال سنة 1949م بقسنطينة، وتوقفت عن الصدور سنة 1951م بعد 54 عددا.

ز- مجلة إفريقيا الشمالية أصدرها إسماعيل العربي "وهو كاتب جزائري مغمور لانكاد نعرف عنه اليوم شيئا"[1]. سنة 1948م، "وكان كتابها هم كتاب البصائر أنفسهم إلا الإبراهيمي"[2].

د- جريدة الحق أصدرها الطيب العقبي سنة 1936م ببسكرة.

وغيرها من الصحف الأخرى لأعضاء آخرين والتي كانت عونا ودعما للجمعية وصحافتها.

ثالثا : الهدف من نشأة صحافة الجمعية

أنشأت الجمعية الصحافة لتشد بها أزرها وتساعدها على تحقيق أهدافها فكانت بحق "من أقوى أسلحة المقاومة والمحافظة على اللغة العربية، وكانت الغذاء الثقافي الوحيد الذي يتغذى عليه المواطنون، كما كانت مكملا أساسيا لنشاط الحركات الإصلاحية والوطنية ومنبرا لنشر الوعي الوطني والقومي"[3]، كما اعتبرت هذه الصحافة هي المسؤول الأول في المحافظة "على الشخصية الجزائرية الإسلامية، والدعوة إلى النهضة عن طريق العلم والثقافة الدينية الصحيحة، ثم التمسك باللغة العربية على أنها لغة الدين والوطن والتراث"[4] حيث رابطت في الخندق الأول وقامت بمسئوليتها على أكمل وجه "وساعدت على انتشار العربية مساعدة عظيمة، وجعلت اللغة الفصحى تتوغل وتنتشر في مختلف الأوساط، وترقي اللغة الدارجة التي هي لغة عربية محرفة بعض التحريف"[5] كما كانت بحق مجالا خصبا لخدمة الشعب وميدانا لتفتيح الأذهان وتفتيق المواهب، وتثقيف العقول، ومحكا لإذكاء المشاعر، وتهذيب الأحاسيس، وهكذا انطلقت صحافة الجمعية تؤدي رسالتها بكل عزم وجد، شاقة طريقها نحو تحقيق النصر المنشود في معركة إثبات الذات وإبراز الشخصية الوطنية.

---

[1]- د.عبد المالك مرتاض – نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر- 1925م –1954م - ص115.

[2]- نفس المرجع – ص115.

[3]- د.أحمد بن نعمان – التعريب بين المبدأ والتطبيق- ص179.

[4]- د.نور سلمان – الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرير – ص174.

[5]- أنور الخندي – الفكر والثقافة المعاصرة في شمال إفريقيا - ص 204.

رابعا: كتاب الصحافة :

1- الكتاب من الجزائريين :

وحتى تتحقق أهداف الجمعية كان ينبغي أن تحرص على خروج جرائدها وصحفها إلى جمهور القراء مقبولة الشكل والمضمون، خاصة انتقاء الأقلام التي كانت تكتب وتنشر فيها، لهذا نجد أن الجمعية اعتمدت أكثر على أعضائها وطلبتها الأكفاء، قبل غيرهم في تدبيج المقالات ونشر المواضيع، وفعلا وجدت منهم "الأعوان الأقوياء والأعضاء النافعين، والأقلام البليغة، والأفكار الناهضة، وأمدوا الصحف ببحوث العلم وروائع الفكر وطرائق الأدب، واتخذوها منبرا اعتلاه الأدباء والشعراء، وكبار المفكرين، والقادة المشرعين، فروجوا سوق الأدب، ودعوا إلى الإصلاح الاجتماعي في مختلف أنواعه وشتى أساليبه"[1] فنهضوا بالصحافة وطوروها من حيث الشكل والمضمون "وممن كانت لهم اليد الطولى على الصحافة العربية وتطورها شكلا ومضمونا خلال النصف الأول من هذا القرن في الجزائر : أحمد توفيق المدني، ومحمد مبارك الميلي، وعبد الحميد ابن باديس، ومحمد البشير الإبراهيمي، والطيب العقبي، ومحمد السعيد الزاهري وأحمد رضا حوحو، وعبد الحفيظ بن الهاشمي، وإبراهيم أبو اليقظان، وأحمد بن ذياب، وعلى مرحوم ومحمد العاصمي، وسواهم.."[2] كما راجت سوق الأدب وانطلقت نهضته "مع مجموعة من الشعراء الشبان، محمد الليابي،..وجنيد أحمد مكي، والهادي السنوسي وعاشور الخائجي، وعبد الرحمان الديسي، ورمضان حمود، وإبراهيم بن نوح.."[3] وجلواح ومحمد العيد، والزاهري والربيع بوشامة، وغيرهم .

2- الكتاب من غير الجزائريين :

وحتى تزيد من ثقة القراء فيها وتعمل على تطوير مضامينها وتنويع كتابها وكتاباتها، وترتقي بلغة الحوار والكتابة، فتحت الصحافة الإصلاحية صدرها للكتاب الغير جزائريين للمساهمة فيها، خاصة وأنها كانت تشكو في بداية تأسيسها من قلة الكتاب ونقص الكوادر المثقفة القادرة على الكتابة والإبداع، فكان ينبغي أن يسد هذا الفراغ من خلال الأقلام الغير جزائرية لذا نجد أنه "لم يخل عدد لصحيفة أو مجلة من أوائل هذا القرن حتى قيام ثورة نوفمبر سنة 1954م من صورة رائعة

---

[1]- محمد كامل الفقي – الأزهر وأثره في النهضة الأدبية الحديثة - الجزء الأول - ص136.

[2]- د.عبد المالك مرتاض – نشأة الصحافة العربية وتطورها في الجزائر - مجلة الثقافة - العدد33 - ص42 - السنة6 - جمادى الثانية –رجب 1396هـ/ يونيو - يوليو-1975م.

[3]- د.عبد القادر جغلون –الاستعمار والصراعات الثقافية- ترجمة سليم قسطون-ص82- دار الحداثة بيروت لبنان- الطبعة الأولى 1984م.

لهذا التجاوب"[1] ولم يقتصر الأمر على المشاركة بالكتابة في أي موضوع بل إننا وجدنا "القضايا التي أثيرت في الجزائر ناقشها كتاب وعلماء في تونس والمغرب وأدلوا فيها بآرائهم ونشروها في صحف الحركة الإصلاحية مؤيدين لها أو معارضين"[2] وحتى المشارقة وغيرهم كانت لهم مثل هذه المساهمات والكتابات..ولقد كان "فطاحل الكتاب المغاربة والمشهود لهم بالتفوق وعلو الكعب المعروفون يومئذ بوطنيتهم وثوريتهم ونهجهم الإصلاحي، كانوا يفزعون إلى الصحف الجزائرية التي يشرف عليها المصلحون، فنجد البصائر الثانية خاصة لا تكاد تخلو من مقالات كتاب مغاربة كبار، بل جاوز ذلك الرجال إلى النساء"[3] من أمثال "علال الفاسي، محمد الصديق السعداني، والطيب العلوي، وحبيبة جسوم، وغيرهم كثير.."[4]

كما وجدنا كذلك "من الكتاب التونسيين المتحررين الذين كتبوا في البصائر، وساهموا فيها بنتاجهم الفكري، علي النيفر، ومحمد الشاذلي النيفر ومحمد أبسيس.."[5] وغيرهم، كما وجدنا الشيخ عبد الحميد بن باديس ينتح صدر صحافته "لأدباء المهجر وإنتاجهم شعرا ونثرا، فقلما خلا عدد من مجلة الشهاب من قصيدة لشاعر مهجري، فقرأ الجزائريون الكثير لإيليا أبي ملضي، والشاعر القروي، وإلياس قنصل، وإلياس فرحات"[6].

ويتسع المجال في الكتابة إلى المشارقة أيضا ليساهموا بما لديهم في صحافة الحركة الإصلاحية في الجزائر "فوجدنا من الذين نشروا بجريدة البصائر الثانية خاصة نذكر، سيد قطب، وعبد المنعم عبد الله محمد الذي نشر قريبا عن ثلاثين مقالة مسلسلة في البصائر الثانية وربما كان أكثر المشارقة نشرا بصحيفة جزائرية"[7] كما نشرت قصائد لشعراء مشارقه منهم "الشاعر الفلسطيني مصباح العبودي، والشاعرين اليمنيين، محمد الزبيري ومنيف الحسني.."[8].

كما وجدنا ظاهرة تميزت بها الصحف الإصلاحية في بداية نشأتها وهي نقل مقالات وقصائد شعرية كانت نشرت أصلا في صحف ومجلات مشرقية، فيعاد نشرها مرة أخرى بالدوريات

---

[1]- د.صالح خرفي -في رحاب المغرب العربي - ص166.

[2]- د.عبد الله ركيبي – الشعر الديني الجزائري الحديث - ص624.

[3]- د.عبد المالك مرتاض – فنون النثر الأدبي في الجزائر 1931م –1954م - ص60.

[4]- نفس المرجع – ص58.

[5]- د.عبد المالك مرتاض – الثقافة العربية في الجزائر بين التأثير والتأثر - ص60.

[6]- د.صالح خرفي – الجزائر عروبة وإسلام - مجلة الثقافة - العدد24 – ص 56/55 - السنة4 - ذو القعدة –ذ و الحجة – 1394هـ/ديسمبر-جانفي 1975م.

[7]- د.عبد المالك مرتاض – المرجع السابق - ص113.

[8]- نفس المرجع – ص113.

الجزائرية :"وكان ابن باديس صاحب الشهاب وضع عنوانا لبعض هذا منتضما لا يكاد يخطئ عددا من أعداد شهابه هذه، وهو (مقتنيات من الصحف والكتب) فكان ينشر بعض ما كان نشرته الصحافة في المشرق العربي كله"[1]، ولم تكن الشهاب وحدها التي تنقل وتعيد نشر المقالات "بل جاوزها إلى سواها حيث نجد البصائر الثانية تورد عدة مقالات لكتاب مشارقة"[2] تنشرها مرة ثانية، لكن الملاحظ أن "هذه الظاهرة خفت فيما بعد الحرب العالمية الثانية وربما كان ذلك أثرا من آثار تكاثر الكتاب باللغة العربية في الجزائر حيث كانت معظم الدوريات الجزائرية تغطي تغطية جيدة أو مقبولة بأقلام جزائرية خالصة"[3].

وكانت أهم الصحف والمجلات والدوريات التي نقلت عنها الصحف الجزائرية خاصة منها الشهاب، "مجلة الهلال والمعرفة والمنار وهي كلها قاهرية، والكفاح العراقية، والطليعة البيروتية، ومجلة الشرق وكانت تصدر في البرازيل، وغيرها من الصحف"[4].

وبعملها هذا أصبحت صحافة الجمعية "منبر الكاتب، والشاعر، والمعلق السياسي، والمصلح الديني والاجتماعي، وكان لها الفضل في نشر اللغة العربية والحفاظ عليها أداة للتداول والتعبير الحي، كما كان لها الدور الكبير في إقامة الروابط وتقويتها بين بلاد المغرب العربي والمشرق العربي الإسلامي"[5].

3- الكتاب من الشباب المبتدئين :

ولم تقتصر الصحافة في فتح أبوابها على كبار الكتاب والشعراء والمبدعين والمفكرين داخل وخارج الوطن، وانما اعتنت بجيل الشباب الناشئ، واهتمت بكتاباتهم وإنتاجهم وأخذت بيدهم وفتحت لهم صفحاتها "وشجعت المتأدبين من فسائل هذه البيئة، أو أشبال ذلك الميدان، بأساليب متنوعة غايتها صقل الموهبة، وإثراء الهبة، وتربية الذوق، وإرهاف الحس، وتمكين القدرة من أن تصبح في عدها فتية أو مبدعة.."[6]. فكانت الصحافة الإصلاحية توجه نداءها على لسان الشيخ مبارك الميلي إلى هؤلاء الشباب بقولها :"وعلى من آنس في نفسه القدرة على التحرير أن يكاتب

---

[1]- نفس المرجع – ص115-116.

8- نفس المرجع – ص116.

[3]- المرجع السابق – ص116.

[4]- المرجع السابق - ص116.

[5]- د.نور سلمان – الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرير- ص166.

[6]- د.محمد صادق الكاشف – صحافة الصعيد المحلية ودورها في الحياة الأدبية 1882م-1952م - ص29 - مكتبة الخانجي القاهرة – جمهورية مصر العربية -دون تاريخ.

الإدارة لتتخذ منه مكاتبا في جهته"[1] ثم توضح شروط الكتابة في صفحاتها "وعلى شباب العلمـاء أن يتقدموا إلى ميدان الكتابة، وإن لم تنضج أفكارهم بشرط واحد هـو : أن لا يثـوروا مـن تصرف الإدارة فيما رأت التصرف فيه، بالتنقيح أو بالتلخيص أو بالإهمال..

ثم يقول الميلي: وهناك ناحية ألفت إليها نظر شبابنا لما لها من المكانة في خدمة المجتمع، وترقيـة الشعور وتوحيده، ألا وهي ناحية الأدب إنشاء ودراسة..

وإذا كانت هناك صعوبات في دراسة أدبنا وإحياء ماضيه لفقد المصادر والوثـائق، فـإن قـوة الشباب يجب أن تذلل الصعاب، وأن تثب إلى المطلوب وثبا، لا يوجب مبدأ التدريج ولا يستنكر مبدأ الطفرة"[2].

خامسا: القضايا التي عالجتها الصحافة الإصلاحية

ولقد حاولت صحافة الجمعية أن تساهم في شتى المجالات، وتتطرق إلى جل المواضيع التي كـانت تشغل الرأي العام الجزائري ومحل اهتمامه في تلك المرحلة ، وكانت أهم القضايا الـتي شـغلت الكتاب والشعراء في ذلك الوقت هي :

1- الحرية الدينية :

الحرية الدينية أو ما أصطلح على تسميته في ذلك الوقت بقضية (فصل الدين عن الدولة) حيـث كان "ابن باديس قد مهد لهذا الموضوع فيما كان يكتب حوله من مقالات"[3] ثم تبعـه كتـاب وشعراء آخرون غير أنه "لم يكتب أحد فيما نعلم حول هذا الموضوع كمحمد البشير الإبراهيمي الذي دبج فيه فصولا كثيرة عالجها بأسلوب أدبي عال، ونفس فكري راق"[4].

2- التاريخ القديم :

خاصة ما تعلق منه بتاريخ الجزائر والعالم العربي والإسلامي، حيث انشغلت الصحافة "بـالبحث في التاريخ..وإحياء الذكريات القديمة، والوقائع والأحداث وتاريخ الأعلام والأبطـال"[5] مثـل كتابات ابن باديس والميلي وغيرهما..

---

[1]- أحمد بن ذياب – الشيخ مبارك الميلي في ذكرى وفاته الثانية والثلاثين - مجلة الثقافة - العدد37 - ص47 - السنة07 – صفر- ربيع الأول 1397هـ/فبراير- مارس 1977م.

[2]- أحمد ذياب – المقال السابق - ص48.

[3]- د. عبد المالك مرتاض - فنون النثر الأدبي في الجزائر-1931م –1954م - ص75/74 .

[4]- المرجع السابق – ص75.

[5]- أنور الجندي – الفكر والثقافة المعاصره في شمال إفريقيا - ص193.

3- الحرية السياسية :

وهي المجال الخصب الذي خاض فيه الكتاب بأقلامهم سواء تعلق الأمر بالحرية السياسية في الجزائر أو في العالم العربي والإسلامي، فكانت كتابات "توفيق المدني فيما يكتبه في (منبر السياسة) ثم كتابات الإبراهيمي حول فلسطين بوجه خاص"[1] أو ما كتب حول المغرب وتونس ومصر وليبيا والسودان وغيرها..

4- ميدان الأدب :

فلقد وجدنا أنه في تلك المرحلة الزمنية لم "يكن للشعر والأدب مجال إلا الصحف، وأغلب إنتاج أدباء المغرب وأعلامه –خاصة في الجزائر– نشر في الصحف ولا يزال في بطونها.."[2] فقد كانت هذه الصحافة هي المتنفس الوحيد لهؤلاء الأدباء والشعراء للتعبير عن مكنونات صدورهم، وإبراز قدراتهم الإبداعية والكتابية في الميادين الأدبية المختلفة كالشعر والقصة وغيرهما..حيث وجدنا كتابات كثيرة للزاهري، ومحمد العيد، والسنوسي، ورضا حوحو، وأبو اليقظان..

5- اللغة العربية :

وكان هذا الموضوع هو الشغل الشاغل للجمعية ولكتابها ولصحافتها، حيث أولتها كل العناية والاهتمام، ووجدت مكانا رحبا في صحف الجمعية، ويمكن القول أن الاهتمام الذي لقيته اللغة لم يلقاه موضوع آخر مثلها، فكانت الصحف تنادي بضرورة "حماية اللغة العربية والدعوة لها وتطويرها، وتنمية أسلوبها"[3] وإبراز مكانتها في الجزائر "ولقد ألفينا الإبراهيمي يخصص لها فصولا طوال في البصائر الثانية–زهاء عشرين فصلا–كما كان ابن باديس قد كتب عنها كثيرا قبل الحرب العالمية الثانية"[4] كما كتب حول هذا الموضوع على مرحوم، وأبو اليقظان، وأحمد ابن ذياب والزاهري...

كما عالجت الصحف موضوعات أخرى اجتماعية ودينية ووطنية وثقافية، ودعم الروابط بين المشرق والمغرب..وغيرها من القضايا الكثيرة التي تناولتها الصحافة نتيجة تأثير "الأحداث السياسية ويقظة الشعور القومي، وتأجج الثورة، استطاعت أن تضع أمام الكتاب مادة خصبة

---

[1]- د.عبد المالك مرتاض – المرجع السابق – ص75.

[2]- أنور الجندي – المرجع السابق – ص193.

[3]- نفس المرجع – ص194.

[4]- د.عبد المالك مرتاض- المرجع السابق – ص74.

غزيرة أتاحت لهم أن يضربوا بسهم في شتى الموضوعات[1] رغم الظروف الصعبة التي كانت تعيشها الجزائر.

سادسا: أسلوب الصحافة

وسارت الصحافة من خلال كتابها وكتاباتها في معالجة مختلف المواضيع وعرضها على القراء "بأسلوب يمتاز بالسهولة والوضوح حيث يكون معناه في ظاهر لفظه لأن الصحف تخاطب الجماهير ويقرأها العامة والخاصة فتطلب ذلك صحة العبارة وخلوها من السجع المتكلف والزخرف، حيث ينصرف الفكر إلى تفتيق المعاني وسوق الحجج، وضرب الأمثلة لا الجري وراء كلمة أو سجعة"[2]، وكان الحرص على ا"لأسلوب ووضوح العبارة والمعاني ثما تمتاز به صحافة الجمعية كلها منذ نشأتها "ولا التفات لما زعم أديب مروه من أن أسلوب الصحافة الجزائرية كان ركيكا حين قال : في كتاب الصحافة العربية ص33-"والجدير بالذكر أن صحافة الجزائر العربية ظلت صحافة ركيكة اللغة، ضعيفة المبنى والشكل" فهذا الرأي لا يقوم على أي أساس من الحق ولا على منطق من العلم، ورجل يخطئ في معظم ما كتبه عن الصحافة العربية الجزائرية، من حيث عناوينها، وتواريخ صدورها، وتواريخ تعطلها، ومن حيث نسبتها إلى أصحابها الذين أنشأوها وحرروها، لجدير برأيه حول أسلوبها أن يكون ساقطا لا يعتبر وملغى لا يذكر"[3]. فهي إذن ذات أسلوب راقي وبديع فقد رأينا ذلك في الشهاب كما رأيناه في الصراط السوي التي كانت تعد "من أرقى الجرائد العربية أسلوبا، لتوفر الأقلام الرفيعة لها، فقد كان العقبي والزاهري هما اللذان يرأسان تحريرها، ناهيك بهما كاتبين بارعين وصحافيين لامعين"[4] ونفس الواقع ينطبق على أسلوب صحيفة البصائر في سلسلتها الأولى التي وجدنا "أسلوبها أرقى ما يكون عربية، وأجمل ما يكون كتابة، سواء في عهدها الأول تحت إشراف العقبي، أم في عهدها الثاني تحت إشراف الميلي"[5]. هذا قبل الحرب العالمية الثانية، أما بعدها فإن "الصحافة العربية في الجزائر تميزت بالرقي والسمو في الأسلوب"[6] وحسبك البصائر في سلسلتها الثانية مثالا على رقي الأسلوب

---

[1]- عبد الله سرور عبد الله - الإعلام والثقافة وأثرهما في الأدب السكندري - ص54.

[2]- نفس المرجع - ص54.

[3]- د.عبد المالك مرتاض – نشأة الصحافة العربية وتطورها في الجزائر- مجلة الثقافة - العدد 33 – مقال سابق - ص41.

[4]- د.عبد المالك مرتاض – أسلوب الصحافة العربية في الجزائر- مجلة الثقافة- العدد 34-ص39-السنة6 -- شعبان/ رمضان- 1396هـ /أغسطس- سبتمبر 1976م.

[5]- نفس المرجع – ص40.

[6]- عبد المنعم خلف الله – تأملات في مسيرة التعريب في الجزائر - مجلة الأمة - العدد34 – ص 71 - السنة3 - المجلد3 - شوال 1403هـ/يوليو، يونيو 1983م.

وسلاسته وسمو معانيه، فاستطاعت الصحافة بهذا الأسلوب الراقي والمتين أن تصنع "لغة جديدة تلائم العصر، وما يتطلبه من تعبير مباشر دقيق، ومن مناسبة بين المعنى وبيده. وكانت تحاول أيضا أن تجاري الذوق العام، وذلك عن طريق البحث في اللغة وانتقاء الكلمات التي تتفق وهذه الأغراض"[1] وبهذا استطاعت كسب القراء والتأثير فيهم: فاخذ عددهم ينمو ويتكاثر شيئا فشيئا وفي زيادة دائمة و ارتفاع مستمر نتيجة الأسلوب الجذاب المؤثر في النفوس الذي كانت تدبج به المقالات الأدبية والإصلاحية .

سابعا: الصحافة والنهضة الأدبية :

إن الدارس للنهضة الأدبية في الجزائر في النصف الأول من القرن الحالي بمختلف مراحلها وفي شتى مجالاتها "لن يجد محيصا من أن يقرر بأن الصحافة العربية كانت ذات أثر بعيد على إذكاء النهضة الأدبية في الجزائر وإغنائها"[2] من خلال ما أتاحته من فرص وفتحته من أبواب حتى يلجها الأدب ويعمل من خلالها ليصنع له نهضة راقية، هذه النهضة التي "تدين في وجودها للبصائر بسلسلتيها، والشهاب، ثم لبقية الصحف الأخرى الكثيرة المغمورة"[3]. لما عليها من فضل وأيادي بيضاء "وما أحدثته من ضجة وطنية، وما أنشأته من يقظة في الكتاب والمفكرين، مما أدى إلى نهضة الحركة الفكرية وتطورها تطورا سريعا، بحيث لم يمر العقد الثلاثين حتى وجد في الجزائر كتاب وشعراء وقصاصون، ومفكرون بالمعنى الكامل، ويمكن أن نزعم ظهور مدرسة أو شبه مدرسة الأدب الجزائري"[4] والأدب العربي بصفة عامة، بل وإضافة إلى الجيل القديم من الأدباء والشعراء والمفكرين "أسهمت الصحافة في خلق جيل جديد من الأدباء والشعراء يراقب حركة الإصلاح ويدعو إليها"[5] بحيث "أسهموا في التعبير عن القضايا التي شغلت الناس في ذلك الوقت"[6] ، وهذه الفئة أو الطائفة من الجيل الجديد صنعته الصحافة ، لأنها كانت تعتبر "مدرسة كبرى جذبت إليها الأدباء ، فتدرب فيها هؤلاء تدريبا أكسبهم كثيرا من الخبرات

---

[1]- عبد الله سرور عبد الله – الإعلام والثقافة وأثرهما في الأدب السكندري - ص54.

[2]- د.عبد المالك مرتاض – نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر-1925م-1954م- ص120.

[3]- نفس المرجع – ص121.

[4]- عبد الرحمان بن إبراهيم بن العقون – الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر الفترة الأولى 1920م-1926م - الجزء الأول – ص 284 - المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر 1984م.

[5]- د.أبو القاسم سعد الله – محمد العيد آل خليفة رائد الشعر الجزائري في العصر الحديث - ص24.

[6]- د.عبد الله ركيبي - الشعر الديني الجزائري الحديث ص39.

الخاصة، والتجارب النفسية والفكرية واللغوية التي عبرت من وجه الأدب. ورسمت للأدباء طريق الزعامة الأدبية التي يطمحون إليها في المجتمع"[1].

من هذا المنطلق يمكننا القول أنه "لولا الشهاب لما عرفنا ابن باديس ونتاجه، وتفكيره وأعماله، ومذهبه الفلسفي في الإصلاح..ثم لولا البصائر لما عرفنا الإبراهيمي وأضرابه من قادة النهضة الأدبية في وطننا، فقد كانت البصائر معرضا مشرقا للإنتاج الأدبي الراقي"[2] ولما عرفنا الغسيري ورحلاته والربيع بوشامة وأشعاره ومحمد العابد الجلالي وقصصه ورضا حوحو وأحمد ابن ذياب وغيرهم ، وقد شملت هذه النهضة الأدبية الشعر والنثر معا :

1- النثـــر :

ففي نهضتنا الأدبية كانت صحافة جمعية العلماء المسلمين من خلال انتشارها وازدهارها وكثرة كتابها "من العوامل التي مكنت النثر العربي الحديث في الجزائر أن ينشأ، ثم ينمو ثم يتطور تطورا لا يخلوا من بطء وريث ولكنه ظل مستمرا مصرا مطردا يسعى على رجليه نحو الرقي"[3] ونحو أن "يتطور إلى أن يبلغ درجة الكمال في منتصف هذا القرن على يد محمد البشير الإبراهيمي ونفر ممن معه في مقالات صحافية منقحه، عالية اللغة وافية الأسلوب"[4]. هذا النمو والرقي والتطور ما كان له أن يكون :"لو لم تتهيأ له الصحافة العربية..التي كانت تنشد نشر الثقافة العربية ولغتها وتتوخى تطوير النثر العربي في الجزائر، من حيث كانت تشعر أو من حيث لم تكن تشعر؟"[5].

وقد ظهرت على صفحات هذه الجرائد جميع الفنون النثرية تقريبا التي عالجها الأدب.

فمن الفنون النثرية التي ظهرت في ساحة الأدب في بداية الأمر الصورة القصصية على حد تعبير الدكتور ركيبي، ممهدة الطريق للأدباء على أن يلحوا "على ضرورة وجود القصة فنا وأداة لخدمة الثقافة العربية"[6]. وهذا من خلال البصائر خاصة، التي "اتسع صدرها للمقال القصصي والصورة القصصية والقصة الفنية أحيانا.. "[7] و من خلال كتابات محمد العابد الجلالي، والسعيد الزاهري، وأحمد رضا حوحو، وغيرهم.

---

[1]- د.محمد صادق الكاشف – صحافة الصعيد المحلية ودورها في الحياة الدينية 1882م/ 1952م - ص32/31.

[2]- د.عبد المالك مرتاض – نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر –1925 م-1954م - ص121.

[3]- د.عبد المالك مرتاض – نشأة الصحافة العربية وتطورها في الجزائر – مجلة الثقافة - العدد33 – ص40.

[4]- نفس المرجع – ص42.

[5]- نفس المرجع – ص40/41.

[6]- د.عبد الله ركيبي – القصة الجزائرية القصيرة – ص75.

[7]- نفس المرجع – ص 75.

كما ظهر فن النقد الأدبي على صفحات جرائد الجمعية من خلال المقالات التي يتعقبها بعضهم بالنقد والملاحظة والتوجيه الذي "يفيد الأدباء المنشئين، بأن يقوم إبداعهم، وينقي طباعهم، ويفسر آثارهم، ويستكثر أنصارهم، ويفيد ثانيا القراء المتلقين بأن ييسر عليهم الفهم، ويعمق لديهم الوعي، وينضج فيهم الذوق، يؤجج في أعماقهم الشوق، ويفيد ثالثا الأدب نفسه، بأن ينشط إنتاجه، وينهض قيمه، ويؤازر رسالته، ويثري إحادته"[1] وقد كان الدور الرائد في هذا المجال –أي النقد– لكل من "المنتقد، والشهاب، والبصائر، التي خدمت الأدب والنقد والثقافة"[2].

كما رأينا بروز المقالات العديدة والمتنوعة التي اسهمت بكل قوة في ظهور "أنواع من المقال...في النثر الجزائري الحديث"[3]، وكانت الصحافة هي العامل الأساس في ظهوره وتطوره وانتشاره بل وبروزه بشكل قوي حيث طغى على بقية الفنون النثرية الأخرى.

كما برزت أنواع وفنون نثرية أخرى كأدب الرحلة في كتابات الشيخ عبد الحميد بن باديس ومحمد الغيسري..وأدب الجدل والخلاف، والخطابة، وأدب المسرح أو "مسرحيات ومناقشات حول موضوعات مختلفة، لم يكن متيسرا ولا ممكنا دون هذه الجرائد"[4].

2– الشعر :

وإذا نظرنا إلى الشعر وجدنا سوقه رائجة في الصحافة الإصلاحية والاهتمام به كبير "فقد وجدناه في الشهاب معزوا إلى أصحابه دائما"[5] لشدة الاهتمام والاعتناء به، حتى أنه يمكننا أن نعد هذه الصحف ديوانا للشعر الجزائري في تلك الفترة مع "أنها ليست هي المرجع الوحيد..وإن كانت أغزره وأقربه متناولا"[6] وهذا من كثرة ما كانت تعنى به وبنشره.

ولو تصفحنا هذه المجلات أو الجرائد لأطلعنا "وقرأنا لشعراء مرموقين على رأسهم محمد العيد شاعر الشمال الإفريقي، والسعيد الزاهري، وأحمد سحنون، والأمين العمودي، وعبد الكريم العقون، والربيع بوشامة"[7] ومحمد الهادي السنوسي وأبو اليقظان وجلواح...في مقدمة الشعراء

---

[1]– د.محمد صادق الكاشف –صحافة الصعيد المحلية ودورها في الحياة الأدبية 1882م1952م – ص88.

[2]– د.محمد مصايف – النقد الأدبي الحديث في المغرب العربي – ص 5 – المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر– الطبعة الثانية 1984م.

[3]– د.عبد الله ركيبي – تطور النثر الجزائري الحديث – 1930م –1974م – ص136/ 137 – المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر 1983م.

[4]– د.محمد ناصر – النثر الجزائري الحديث – ص115.

[5]– د.عبد المالك مرتاض – نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر–1925م–1954م – ص105/106.

[6]– د.صالح خرفي – النثر الجزائري الحديث – ص318.

[7]– د.صالح خرفي – في رحاب المغرب العربي – ص230.

الذين كانوا ينشرون في هذه الصحف. كما وجدنا قصائد عديدة لشعراء من المشرق والمغرب العربي كذلك.

وقد كانت هذه الصحف -حقا- من أهم الوسائل التي أسهمت في نشر الثقافة العربية الإسلامية والمحافظة على اللسان العربي، وكانت الغذاء الوحيد والرافد الرئيس الذي يغترف منه الشعب الجزائري، خاصة من خلال ما كانت تنشره في مجال الشعر أو النثر وقد أشار إلى هذا الفضل للصحافة الشيخ عبد الحميد بن باديس بقوله :"..والشعور بهذا الواجب يعزى الفضل فيه إلى ما قام به نبغاء الجزائر ودعاتها من الدعوة والإرشاد، فظلوا يدافعون عن اللغة والدين مظهرين ماهما من الروعة والجلال..وإلى ما قامت به الصحافة الجزائرية الفتية من ضروب التعضيد والتأييد والإذاعة، فتوصلت بعد جهاد طويل إلى غرس ملكة الذوق العربي في النفوس لتذوق العموم من ثمة حلاوة اللغة العربية وطلاوة أساليبها الرشيقة"[1] وهكذا إذا أقررنا وقلنا إن "التطور اللغوي والمؤلفات والأبحاث والدراسات المختلفة، كل هذا إنما خرج إلى الرأي العام من نافذة الصحافة أولا، لا نعدوا قول الحقيقة"[2] لما لها من فضل في بروز هذه الأبحاث والدراسات والمقالات والأقاصيص والأشعار وغيرها.

ثامنا: دور الصحافة في الحفاظ على الثقافة واللغة العربية ونشرها.

1- دورها في حفظ و نشر الثقافة

لعبت الصحافة الإصلاحية دورا بارزا في نشر الثقافة العربية بكل عناصرها بين المواطنين الجزائريين، وكانت تقريبا هي الغذاء الثقافي الوحيد الذي يتغذون من خلاله، وهذا لانعدام أو قلة المنابع الغذائية للثقافة العربية في تلك المرحلة، فقد لعبت الصحافة هذا الدور البارز في الحياة الفكرية والثقافية بحيث "يعود الفضل إليها في إحياء التراث القومي وتشجيع الأدب والأدباء خاصة الشعراء"[3] كما ساعدت "على نشر النهضة والفكر القومي والاتجاه الوطني والإصلاح الإسلامي والاعتزاز بالعروبة والحضارة العربية الإسلامية والتراث الفكري العربي وغيرها من أساسيات الثقافة الإسلامية والعربية والقومية وهي أسس النهضة في كل زمان ومكان"[4]. ولاعتبارها الوسيلة الرئيسة والأساس ليس فقط في نشر الثقافة العربية، بل وتطويرها والرقي بها

---

[1]- مجلة الشهاب – السنة4 - العدد05 - سبتمبر 1929م.

[2]- د.محمد صادق الكاشف – صحافة الصعيد المحلية ودورها في الحياة الأدبية 1882م –1954م - ص33/32.

[3]- د.عبد الله ركيبي – القصة الجزائرية القصيرة - ص39.

[4]- د.تركي رابح – الشهاب لسان الإسلام والعروبة والوطنية في الجزائر – دورها في نهضة الجزائر الحديثة 1929م–1939م – مجلة الثقافة – العدد81 – ص208 - السنة14 شعبان/ رمضان 1404هـ/مايو/ يونيو –1984م.

وتطوير الذوق الأدبي والملكة اللغوية من خلال ما ينشر من كتب "التي لم تكن في أغلبها سوى تجميع للدراسات والمقالات المنشورة قبل ذلك في الصحف ومقدمات كتب أو دواوين شعر"[1].

2-دورها في حفظ ونشر اللغة العربية.

بعد ظهور الجمعية بدأت اللغة العربية تستعيد عافيتها وتسترجع بريقها ولمعانها الذي كاد أن يزول بفعل عاتيان الزمن التي فرضها الاستعمار عليها، وأخذت تسير في خطى بطيئة أحيانا لكنها ثابتة، وكلها ثقة في المستقبل الذي رسمه لها أبناؤها، ولعبت في ذلك الصحافة الدور المنوط بها بكل فخر واعتزاز رغم التضييق والتشديد والمحاربة التي فرضها الاستعمار وأعوانه: رغم ذلك انتشرت الصحافة ، وكان هذا الانتشار "قد ساعد على انتشار اللغة العربية مساعدة عظيمة وجعل اللغة الفصحى تتوغل في مختلف الأوساط العامة وترقى اللغة الدارجة التي هي عربية محرفة بعض التحريف"[2]. هذا الانتشار لعب فيه الكتاب والشعراء والأدباء الدور البارز من خلال مساهماتهم في الصحافة التي أبرزت موقفهم من الإسلام واللغة العربية التي كانت نقطة الارتكاز الدائمة، ومحل الاهتمام المتزايد "فمرة للتنويه بفضلها على الأمة، وأخرى دفاعا عنها، وثالثة دعوة للمحافظة عليها، وأخرى تنبيها للخطر الذي يحيط بها، ويهدد مستقبلها في البلاد من جراء محاربتها المستمرة من طرف الإدارة الاستعمارية أو بعض المتفرنسين الجزائريين الذين راهنوا على بقاء الاستعمار في البلاد، وربطوا مصيرهم بوجوده فاصبحوا خير معاون له على تنفيذ سياسة الفرنسة ومحاربة اللغة العربية"[3].

و لم تكتف الصحافة فقط بالتنبيه إلى الخطر الذي يتهدد اللغة، وانما عملت على إنقاذها ونشرها والنهوض بها من خلال ما كانت تنشره من مقالات عديدة ومتنوعة وقصص أو أقاصيص ، ومن خلال القصائد الشعرية والمواضيع الدينية والاجتماعية والفكرية ومن خلال "مجادلاتها في المسائل السياسية والاجتماعية وهي مسائل اتصلت بكل موضوع سواء في الأدب أو العلوم أو القانون"[4] ومن خلال افتتاحيات وديباجة الصحف، كل هذا كان يكتب بلغة مرنة وحيوية، بعيدة عن المحسنات البديعية والسجع المتكلف، وبعبارات ومعاني مختارة ومنتقاة تساير العصر ويتقبلها الذوق السليم، فكان أن أتت أكلها بعد حين، فاستقامت الألسن وازدهرت اللغة وانتشرت بين مختلف طبقات المجتمع خاصة منهم الشباب الذي كان ومازال هو أمل الأمة ومستقبلها وباني

---

[1]- د.محمد مصايف – النقد الأدبي الحديث في المغرب العربي - ص05.

[2]- أحمد توفيق المدني –كتاب الجزائر - ص92.

[3]- د.احمد بن نعمان – التعريب بين المبدأ والتطبيق - ص181.

[4]- د.محمد كامل الفقي – الأزهر وأثره في النهضة الأدبية الحديثة - الجزء الأول - ص137.

نهضتها الواعدة "ولعل نظرة خاطفة على الصحافة التي أصدرها الجزائر في النصف الأول من هذا القرن تعطي دلالة قاطعة على عراقة هذا الشعب في عروبته وإسلامه"[1].

تاسعا: اضطهاد الصحافة :

إن النتائج الباهرة والرائعة التي حققتها الصحافة، والتي ذكرنا طرفا منها، لم تأت في جو مهيئ وطريق ممهد وميسر، بل جاءت من رحم المعاناة الطويلة والحرب الشعواء التي شنها الاستعمار، إلا أنها استطاعت أن تفرض نفسها وتتحدى الصعاب وتحقق الأهداف، وقد شكا ابن باديس من اضطهاد الصحافة العربية في الجزائر حيث تعرضت كل من "السنة" و"الصراط" و"الشريعة" للتعطيل والتوقيف، كما وجدنا الشيخ الإبراهيمي يشكو هو أيضا من اظطهاد الصحافة واعتبار لغتها أجنبية في وطنها، خاصة بعد صدور قانون شوطان، ومما جاء في شكواه "لا تزال آثار ذلك القرار الشوطاني بادية في معاجلة الصحافة العربية واعتبار لغتها أجنبية في وطنها ولا تزال الأمة العربية الجزائرية تنكره وتتعداه، فهل آن الأوان لإلغائه والتنفيس على الصحافة وإعطائها حقوقها الطبيعية، وهل آن للإنصاف أن يلامس هذه الأفكار الرجعية"[2].ومحمد السعيد الزاهري هو الآخر له شكواه[3] مما كانت تعانيه الصحافة من القيود التي شددت وثاقهاوأمسكت خناقها تكتم أنفاسها وتقتلها دون محاكمة أو سؤال، ويصور الشيخ أبو اليقظان نفس الشكوى[4] لصحافة الجنوب وما تعانيه من عقبات، ومنع صدورها، ووأدها في كل مرة تولد فيها...

لكن رغم هذا كانت الصحافة مرابطة في الصفوف الأولى في معركة الحرف العربي والعروبة وإثبات الذات الوطنية، فكانت كلما سقطت واحدة شهيدة قامت الأخرى مكانها رافعة الراية ومدافعة عنها حتى يكتب لها النصر أو الاستشهاد كمثيلتها وهي تعلم أن وراءها من يخلفها.

عاشرا: نماذج من صحافة الجمعية

1- الشهاب :

ولقد خصصنا جريدة الشهاب بإيضاح أكثر، وكمثال على الصحافة الإصلاحية لدورها البارز الذي لعبته في الحياة الوطنية الجزائرية، ولاعتبارها أطول عمرا من بعض الجرائد الإصلاحية الأخرى ولكونها بعد ذلك جريدة الشيخ عبد الحميد بن باديس الرئيس الأول لجمعية العلماء

---

[1]- د.صالح خرفي – في رحاب المغرب العربي – ص226.

[2]- آثار البشير الإبراهيمي – الجزء الثاني – ص27.

[3]- وردت شكواه في الشهاب – الجزء9 – المجلد 9 – سنة1933.

[4]- وردت شكواه في جريدة النور – سبتمبر1932.

والتي كانت منبرا لأرائه ومواقفه يعضد بها أزر الجمعية وينشر أفكارها وأراءها، وكانت بحق خير من حمل "لواء الدفاع عن حقوق الوطن الجزائري المهضومة، والشخصية القومية للشعب الجزائري التي هي : العروبة، والإسلام، والجزائر"[1].

أ- كتابها :

كانت الأقلام التي تكتب في الشهاب كثيرة بحيث "من العسير إحصاؤهم عددا ومع ذلك فإن الذين يكتبون باستمرار معروفون بحيث نستطيع أن نحدد أسماءهم تحديدا..كابن باديس والإبراهيمي"[2] على الخصوص، كما يمكن أن نلاحظ كتابات أخرى من "مقالات ومناظرات وأشعار كثيرة نشرت في صحف شرقية أخرى ثم نقلها الشهاب لقرائه وأذاعها بينهم"[3].

ب- اهتمامها بالأدب :

أولت مجلة الشهاب الأدب اهتماما خالصا لما له من دور هام وفعال في تنمية اللغة والمحافظة عليها ونشرها بين أفراد المجتمع فوجدناها "تسجل كل ما يمكن تسجيله من ألوان الحياة العقلية والأدبية والاجتماعية في الجزائر خلال شهر كامل"[4] وتصوغها بلغة حية ومرنة، بل وتفرد ركنا خالصا تسمية "حديقة الأدب" وهذا الركن "يهتم بالإنتاج الأدبي شعرا ونثرا للأدباء الجزائريين والمغاربة والتونسيين، والأدباء العرب الآخرين في المشرق العربي، وفي المهاجر الأمريكية"[5]. ولقد كانت تتابع باهتمام بالغ، الحركة الأدبية والشعرية وتطورها في المهجر الأمريكي وتعمل على أن "تنشر إنتاجها، وتتابع أخبارها، وتعقد الصلة الوثيقة بينها وبين أشهر مجلاتها، فقد كانت علاقة إدارة الشهاب وطيدة بالعديد من مجلات الشعر "كالسمير" لإيليا أبي ماضي، و"القلم الحديدي" لجورج حداد، و"السائح" لعبد المسيح حداد؛ و"مجلة الشرق" لموسى كريم، و"البيان" لسليمان بدور، وتبدو هذه العلاقة جليلة من خلال احتفائها بصدورها والإعلان عنها، والتنويه بموضوعاتها بالنقل حينا، وبالتعليق أحيانا أخرى، وكان ابن باديس ينعت هذه المجلات دائما بأنها مجلات راقية، وأنها تمثل الأدب الراقي والفن الجميل، ويقدر أصحابها، والكتاب بها على أنهم الأبطال الذين لا يزالون يرفعون اسم العروبة عاليا في الأوطان"[6] وبهذا أصبحت الشهاب ليست

---

[1]- د.تركي رابح – الشيخ عبد الحميد بن باديس فلسفته وجهوده في التربية والتعليم 1900م-1940م - ص188.

[2]- د.عبد المالك مرتاض – نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر 1925م-1954 م - ص103.

[3]- نفس المرجع – ص 103 .

[4]- نفس المرجع – ص104

[5]- د.تركي رابح – الشهاب لسان الإسلام والعروبة والوطنية في الجزائر - مجلة الثقافة - العدد81 - ص183.

[6]- د.محمد ناصر – الشعر الجزائري الحديث - ص98/99

فقط كونها "مرجعا هاما لدراسة الحركة الأدبية والفكرية في الجزائر في بداية النهضة الجزائرية الحديثة"[1] بل يمكن اعتبارها، "مصدرا هاما لمن يرغب في الإطلاع على الأدب المهجري في الجزائر، فقد كانت تنشر قصائد و مقالات لأكبر وأشهر أدباء العرب بأمريكا...من أمثال : جبران خليل جبران، ومخائيل نعيمة، و إيليا أبي ماضي ، ورشيد سليم القروي ، ونسيب عريضة، وجورج حداد ، ورشيد أيوب ، وإيليا قنصل، وقد خص هذا الأخير مجلة الشهاب بمقطوعات من شعره لتنشر على صفحاتها، مما يدل على اهتمامه وتقديره لمجلة الشهاب"[2] وهذا كله رغبة في الإطلاع على إنتاج الثقافة العربية وخدمة للغة والنهوض بها وتحفيز الناس على تعلمها وصيانتها والدفاع عنها.

ج- أسلوبها ومكانتها :

أشرنا سابقا إلى أن أسلوب الصحافة الإصلاحية كان من أرقى الأساليب بلاغة ورقة ومضمونا، ونفس الكلام يمكن أن يقال عن الشهاب التي كان "أسلوبها قويا، وعربيا مبينا، لاشيء فيه من آثار الركاكة التي وصم أديب مروه بها الصحافة العربية في الجزائر، وليأخذ الباحث أي افتتاحية من افتتاحيات هذه المجلة فإنه واجد فيها أسلوبا رصينا، ولغة مستقيمة، وسبكا متينا، وإخراجا جيدا طورا، ومقبولا طورا آخر..."[3] بل إننا "لو رجعنا إلى افتتاحيات أعداد أخرى من الشهاب لوجدنا اللهجة أحر، والأسلوب أفعل، واللغة أجزل، والصور الأدبية والبيانية أفخم"[4] وحسبنا هذا الكلام عن افتتاحيات الشهاب دليلا على سمو أسلوبها وعذوبة لغتها ورقة كلامها وبلاغة ألفاظها وسلاسة معانيها.

ومن هنا يمكن القول أن الشهاب استطاعت مدة وجودها "أن تظهر للوجود وأن تحدد لها نظرة إجتماعية، وسياسية، وثقافية، ودينية"[5]. بل وتؤسس شبه مدرسة خاصة بها في مجال الثقافة والكتابة والأدب، فصنعت لها بذلك "مكانة عالمية، ليس فقط في الجزائر بل وفي مصر، وسوريا وغيرهما...وذلك للمستوى الأدبي الرفيع الذي تميزت به مقالاتها..."[6]، ويكفي شهادة على ذلك ما كتبه الدكتور زكي مبارك في جريدة البلاغ بعنوان "نفحة من الجزائر" حين وقع بين يديه عدد من مجلة الشهاب، جاء في هذه الكلمة :"وصل يدي عدد من مجلة الشهاب وهو العدد

1- د.تركي رابح – المقال السابق - ص183

2- د.محمد ناصر – الشعر الجزائري الحديث –100/99.

3- د. عبد المالك مرتاض – أسلوبهالصحافة العربية في الجزائر – مجلة الثقافة – العدد :34 – ص 39/38. .

4 – نفس المرجع – ص39 .

5 – سعاد محمد خضر –الأدب الجزائري المعاصر- ص51.

6 – نفس المرجع – ص51.

الخاص بالاجتماع السنوي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وهو عدد طريف يشتمل على فوائد كثيرة تصور الحياة العلمية في الجزائر، ومن أدق ما فيه ما قرأته من إصرار العلماء هناك على إلقاء عظاتهم باللغة الفصيحة، واحتجاجهم بأن البلاغة تلقن عن طريق السماع، كما تكتسب بالدرس، ومعنى ذلك أن العامة يكتسبون الذوق الأدبي كما يكتسبه العلماء بكثرة الإطلاع على الكلام الفصيح، ذلك يقع في الجزائر والعامية هناك بعيدة بعدا شديدا عن اللغة الفصيحة، فليعرف ذلك الواعظ هنا في مصر، وعامة أهل هذه البلاد قريبة كل القرب من الكلام المعرب الفصيح.

وحرص أهل الجزائر على اللغة العربية هو من أظهر ما هم عليه من الشهامة والرحولة والإباء، فإليهم على بعد الدار التحيات"[1] هذه جريدة الشهاب، وهذه هي مكانتها التي ارتقتها بفضل عملها الدؤوب وجهدها المتواصل، وبفضل أسلوبها المتميز، ولغتها الراقية، وكتابها وأدبائها المتميزون، فكانت منها المساهمة الفعالة في نشر الثقافة واللغة العربية والارتقاء بها نحو الفضل.

2- البصائر :

وأما اهتمامنا بالبصائر بعد الشهاب بالحديث والدراسة فذلك لكونها لسان حال جمعية العلماء، والمعبرة عن آرائها ومنهجها في العمل، ولكونها "أطول عمرا، وأخطر أمرا، وأبعد قيمة في تاريخ النهضة الأدبية بالجزائر" [2]كما أنها تكاد تفوق الشهاب في دفاعها عن اللغة العربية وعن العروبة والإسلام، بل وتفوقها من حيث المكانة العلمية والأدبية التي تبوأتها بفضل كتابها وكتابها، وبفضل ارتقاء لغتها وأسلوبها، ومن حيث ما أحدثته من نهضة أدبية في تلك المرحلة من تاريخ الجزائر.

أ- كتابها :

لعله لم يجتمع لجريدة ما اجتمع للبصائر من كتاب قديرين ومتمكنين من ناصية اللغة والعلم والدراسة والبحث على مر سنواتها —في سلسلتها الأولى والثانية- هؤلاء الكتاب رفعوا من مكانتها، وطوروها شكلا ومضمونا...فقد كان من كتابها "العقبي، وابن باديس، ومبارك الميلي، ثم الإبراهيمي، وتوفيق المدني، وأحمد رضا حوحو، ثم يأتي بعد ذلك كتاب مختلفون لعل أهمهم : بوزوزو، وبوكوشة، وأحمد بن ذياب، والعربي التبسي، وعبد الوهاب بن منصور..."[3].

---

[1]- د.صالح خرفي — الجزائر عروبة وإسلام - مجلة الثقافة - العدد24 ص54/55.

وقد نشرت الشهاب هذه الكلمة وحثت على المزيد من العمل دون الالتفات إلى ذه أو ذاك.

[2]- د.عبد المالك مرتاض — نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر-1925م-1954م - ص109.

[3]- نفس المرجع — ص112.

وقد كانت الأعداد الخاصة بالمناسبة تحفل بمقالات أساتذة المعهد الباديسي بقسنطينة حيث يكاد يكتب جميعهم فيها، كما كانت "تتلقى كثيرا من المقالات التي كان يبعث بها كتاب مغاربة يعتبرون اليوم أعلاما المفكر المغربي المعاصر"[1] ومن تونس ومن مصر ومن فلسطين ومن العراق...

ب-اهتمامها باللغة والأدب :

وإذا رجعنا إلى الناحية الأدبية وجدنا أن كتاب البصائر "أقوى تعبيرا وأجمل تصويرا، وأغزر مادة من كتاب الشهاب، فقد كانت الشهاب يغلب عليها الطابع الديني والفكري، أما البصائر فقد كان يميزها الأسلوب الأدبي المشرق البليغ"[2] من خلال ما كان ينشر فيها من مقالات أدبية راقية وعالية، أكثر أصالة من الشهاب، وحسبك بالإبراهيمي من كتابها، فقد "كان ينشر فيها قليلا من الأحاديث الأدبية البحتة مثل (سجع الكهان) الذي صادف إعجابا شديدا، ونجاحا بالغا، وهي أحاديث قصيرة أدبية كتبت على طريقة المقامات"[3]. وقد كان حريصا كل الحرص على ألا ينشر إلا الجيد من المقالات والكتابات فيها، ولم يكن متساهلا ولا متسامحا مع الكتاب حيث "كان يغريهم بالتجويد في الأسلوب ويزجي بهم أن يرتفعوا إلى المستوى العالي من فن القول"[4]. لأن الإبراهيمي كان يعتبر البصائر ليست كغيرها من الصحف الأخرى "فهي لا ترضى بالإسفاف في أسلوبها، والاضطراب في لغتها، والسطحية في أفكارها، بل هي صحيفة لمعرض العربية الراقية في الألفاظ والمعاني، والأساليب"[5] فاستطاعت بعملها هذا "خلق جيل من الكتاب الجزائريين يكتبون باللغة العربية على نحو لا يقل عن زملائهم في المشرق وفي تونس ومراكش"[6]. ينظمون الشعر العالي العبارة والمتين اللفظ والجيد المعاني، بأسلوب عربي مرن وأداء راقي وسليم. وهذا الجيل الذي صنعته البصائر والمتمكن من اللغة والمالك لناصيتها، كان رافدا مهما لها في تدبيج المقالات و قرض الشعر، وكتابة القصة، والتأريخ للأحداث، وصياغة المعاني، للحفاظ على الأدب واللغة..وبهذا استطاعت أن "تؤسس مدرسة قلميه يمكن تسميتها (مدرسة البصائر)"[7] هذه المدرسة كانت مميزة في كل شيء، في أسلوبها، وفي منهجها وفي خصائصها، قلما نجد لها مثيلا

1- نفس المرجع – ص 112 .

2- نفس المرجع – ص110.

3- نفس المرجع – ص 111.

4- نفس المرجع – ص112.

5 - نفس المرجع – ص113.

6 - أنور الجندي – الفكر والثقافة المعاصرة في شمال إفريقيا - ص197.

7 - محمد عباس – البشير الإبراهيمي أديبا - ص138.

في المدارس الأدبية والفكرية الأخرى، ولقد وجدنا أحد كتاب هذه المدرسة يهاجم من سقطت لغتهم، وتعثر أسلوبهم —وهو رضا حوحو- مبينا في نفس الوقت إحدى خصائص مدرسة البصائر، فيقول :"إننا بالمرصاد، وسنقضي على بذوره —الأدب الغير راشد- قبل استفحالها، ولا نقبل في شمالنا الإفريقي إلا أدبا عربيا مبينا، أخذ من الماضي متانته، ومن الحاضر سلاسته"[1] وهذا يمكن اعتبار البصائر كما وصفها الشيخ البشير الإبراهيمي "سجلا للحركة العلمية والأدبية بهذا القطر، وثبت حافل بأعمال جمعية العلماء، وكنز من البيان العربي، تشد عليه يد الضنانة، وأعدادها تكون كل سنة مجلدا نفيسا تزان به الخزائن"[2] لكونها أرقى صحيفة عربية في وطننا وخارج وطننا من حيث الأناقة اللفظية والأسلوبية والروعة الأدبية والفكرية والبيانية.

ج- أسلوب البصائر ومكانتها :

أسلوب البصائر من أرقى الأساليب وأعلاها، بل هو الرقي وهو القمة ، التي لم تصلها أي صحيفة عربية أخرى في ذلك الوقت، بل وتفوق كثيرا صحف اليوم، وقد عبر عن هذا فرحات الدراجي في مقال له تحت عنوان "البيان العربي شعار البصائر" بقوله :"أما أسلوب البصائر في حد ذاته فهو من أقوى وأشرق الأساليب التي ظهرت في الجزائر منذ عرفت الصحافة في الجزائر"[3] وهذا الرقي في الأساليب جاء نتيجة لحرص الكتاب على إدامة القراءة للآثار الأدبية لكبار الكتاب القدامى والمحدثين، لتكون كتاباتهم ومقالاتهم في مستوى فني عالي، وهذا ما كانت تحرص عليه البصائر في توجيهها للكتاب:"إن أجمل حلية، وأبلغ تحلية للكاتب هي أسلوبه يحككه ويجربه على غرار الفحول، وموضعه يتحكم فيه، ويقتله درسا ومعاينة، يربط بينهما ويختار لها أكفاءها من الألفاظ"[4] هذا الحرص من البصائر جعلها "تتفنن في أسلوب كتابتها تفننا مدهشا عجيبا، قد انفردت به وحدها، فيما يبدو لنا من بين الصحف العربية جميعا..لقد أصبحت البصائر لا ترض أن تنشر أي مقالة كتبها صاحبها كيفما اتفق له أن يكتبها، إنما أخذت تضوب للكتاب شروطا قاسية صعبة، لعلها أن تدفعهم إلى الإجادة ونشدان التفوق والإبداع"[5].

---

[1]- د.أبو القاسم سعد الله — دراسات في الأدب الجزائري الحديث — ص 97 - الدار التونسية للنشر والتوزيع — المؤسسة الوطنية للكتاب بالجزائر — الطبعة الثالثة 1985م.

[2]- آثار البشير الإبراهيمي — الجزء الثالث - ص106.

[3]- البصائر — السلسلة الثانية - السنة الأولى - العدد3 - سنة 1947م.

4- البصائر السلسلة الثانية — السنة الأولى - العدد:04 — سنة 1947م.

5 - د.عبد المالك مرتاض — أسلوب الصحافة العربية في الجزائر -مجلة الثقافة - العدد36 - ص41.

وندع هذه الجريدة تتحدث لنا عن نفسها وعن أسلوبها بقولها :"للبصائر طرفان : أعني: وهو معرض العربية الراقية في الألفاظ والمعاني والأساليب، وهو السوق الذي تجلب إليه كرائم اللغة من مأنوس صيره الاستعمال فصيحا، وغريبا يصيره الاستعمال مأنوسا، وهو مجلى الفصاحة والبلاغة في نمطها العالي، وهو أيضا النموذج الذي لو أحتذاه الناشئون من أبنائنا الكتاب لفحلت أساليبهم، واستحكمت ملكاتهم، مع إتقان القواعد ووفرة المحفوظ، ولهذا الطرف رجاله المعدودين، وهو نمط إعجاب أدباء الشرق بهذه الجريدة.

وطرف أدنى، وهو ما ينحط عن تلك المنزلة، ولا يصل إلى درجة اسفاف، وبين الطرفين أوساط ورتب، تعلو وتنزل، وهي مضطرب واسع يتقلب فيه كتابنا، ومن سابق إلى الغاية، مستشرف لبلوغها، ومقصر عن ذلك"[1]. ولعل هذا النمو في الأسلوب والتطور في المعاني لهذه الجريدة يرجع أساسا إلى "ازدياد الاتصال بالمشرق العربي، وصحفه وكتبه من وجهة، وإلى ازدياد عدد القراء بالعربية في الجزائر-نتيجة حتمية انتشار التعليم، وثمرة من ثمرات اشتداد الصراع الفكري بين القادة الجزائريين الروحيين منهم والسياسيين – من وجهة أخرى، وإلى تطور الإنسان في حد ذاته، حضاريا وتقنيا من وجهة ثالثة"[2].

من هنا يمكن القول : أن البصائر استطاعت بمنهجها المتميز، وأساليبها الراقية، ولغتها المميزة..أن تؤدي دورها على أكمل وجه، وترقى بالمجتمع ثقافيا وأدبيا وفكريا، وأن تحافظ على اللغة العربية وترتقي بها، وتعيدها إلى سالف عهدها، واستطاعت أن، تلفت انتباه المجتمع وأفراده إلى مكانة لغته ودورها في بناء الحضارة وتكوين الإنسان وصناعة الذات، للتميز عن المستعمر والاستقلال بالشخصية الوطنية الممتدة الجذور في الماضي العريق.. وبهذا وجدنا اللغة صارت أغنية وأنشودة وترانيم رددها الكبار والصغار، النساء والرجال، المثقفين، والأميين، في كل مكان وفي كل نادي.

المطلب الثالث : النوادي

منذ انطلاق الجمعية في العمل وهي تسعى جاهدة في ابتكار الوسائل والبدائل الكفيلة بالنهوض بالأمة، وتخليصها من الرواسب العفنة التي خلفها الاستعمار، والنهوض باللغة العربية والانتماء القومي، وإعادة الشخصية الجزائرية إلى سالف عهدها من قوة وعزة وفخار، ومحاولة نشر الوعي الثقافي والسياسي بين الجزائريين، ولاشك أن الوسائل والبدائل تنوعت واختلفت حسب الشعور بالحاجة، وحسب درجة تطور المجتمع، فمن المدرسة إلى المسجد مرورا بالصحيفة ووصولا إلى

---

[1]- البصائر – السلسلة الثانية – السنة الثانية العدد86 – سنة 1948م.

[2]- د.المالك مرتاض – المرجع السابق - ص46.

"شيء جديد كل الجدة على المجتمع الجزائري، مفيدا له كل الإفادة بالنسبة إلى مجتمع مثله يعيش على الماضي الجامد في بعض طبقاته، وعلى الحاضر المبتور في بعضه الآخر.. ونعني بهذا المخلوق الجديد المفيد : ما أنشئ من نواد وما أسس من جمعيات، يضاف علمها وإنتاجها إلى ثمرات المدرسة والصحيفة حيث تتعاون جميعها على خلق مجتمع عربي سليم في الجزائر"[1]. وهذا المخلوق الجديد على حد تعبير سعد الله الذي هو النوادي، كانت الجمعية قد التفتت إليه قبل غيرها من الجمعيات والمنظمات والأحزاب، على اعتباره وسيلة جديدة على المجتمع الجزائري، وعن طريقه يمكن الوصول إلى أكبر شريحة من المجتمع الجزائري لبسط المفاهيم الدينية واللغوية والاجتماعية والسياسية والفكرية الثقافية.

من هذا المنطلق عملت الجمعية على إقامة النوادي في كل مدينة أو قرية، وتشجيع كل مبادرة تهدف إلى ذلك، وقد بينت جريدة الشهاب القصد من هذا المسعى بقولها :"كان هدف جمعية العلماء من وراء تشجيعها إقامة النوادي الثقافية الاجتماعية، هو إيجاد أمكنة عامة تجمع الشبان الجزائريين على اختلاف نزعاتهم الفكرية والسياسية والثقافية، وتتمكن عن طريق البرامج الثقافية والعظات الدينية التي تقدم في النوادي وضع هؤلاء الشبان في جو مشبع بمبادئ الإسلام والعروبة"[2] ولا شك أن الشبان الذين تريد الجمعية أن تجمعهم في النوادي، يعانون فراغا قاتلا في ظل الاستعمار والجهل والأمية والتيارات التغريبية التي تتقاذفهم يمنة ويسرة، فكان لا بد من أن تنتشلهم الجمعية وتعمل على "ملء الفراغ الذي يعاني منه الشباب، فأخذت تنشط فيهم الملكات الرياضية والفنية وتشجيعهم على إقامة الفرق الرياضية والمسرحية والموسيقية"[3]. وهذا العمل الذي يؤديه النادي اعتبره الدكتور رابح تركي من معاهد التعليم العربي الحر[4]، أي تابعا للمدارس العربية الحرة، والحقيقة أنه كذلك بحكم الوظيفة التي يؤديها، وبحكم الأهداف التي يطمع لتحقيقها وقد أشار إلى هذا المعنى الشيخ البشير الإبراهيمي حينما قال :"جمعية العلماء ترى أن النوادي التي أسستها أو تؤسسها هي في حكم مدارس التعليم ومكملة لوظائفها، لأن طبقات الأمة ثلاث : صغار تضمهم المدارس الإبتدائية، وكبار تجمعهم المساجد، وشبان تتخطفهم الأزقة وأماكن الخمر والفجور، فإذا أرادت الجمعية أن تقوم بواجبها الديني معهم لم تجدهم في المساجد

---

[1]- د.أبو القاسم سعد الله – دراسات في الأدب الجزائري الحديث - ص114/113.

[2]- الشهاب – الجزء الثاني - المجلد 11 - ماي 1935.

[3]- د.احمد الخطيب – جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها الإصلاحي في الجزائر - ص229.

[4]- انظر د.رابح تركي – التعليم القومي والشخصية الجزائرية 1931م –1956م - ص182.

ولا في المدارس، فمن واجب الجمعية أن تنشط النوادي لتقوم بمهمتها التهذيبية فيها... "[1] فهذه الطائفة العظيمة من الشباب التي لا هي في المسجد ولا هي في المدرسة، فالنادي هو الوحيد الكفيل بضمهم وتجميعهم وتبليغهم دعوة الدين والعلم والعروبة، والوعي القومي والشعور بالانتماء الحضاري، من هذا المنطلق وجدنا "المجهود الكبير الذي بذله رسول اليقظة العربية في الجزائر المرحوم عبد الحميد بن باديس، فقد عمل هذا المصلح طاقته في سبيل أن يحتفظ الجزائريون برباطهم المقدس الذي يجمعهم على كلمة واحدة دينا ولغة، ماضيا ومصيرا، فكان أول مشجع لتلاميذه واتباعه على تأسيس النوادي، وتكوين الجمعيات، التي تجمع إليها الشبان وتضم الطبقات المختلفة من أفراد الشعب حتى أنه كان يفتتحها بنفسه ويتولى رئاستها الشرفية ويحضر اجتماعاتها"[2].

وتنشط الجمعية في تأسيس النوادي الثقافية في كل مكان حتى "قال الشيخ الإبراهيمي أنه كان لدى جمعية العلماء وحدها أكثر من سبعين ناديا تحمل رسالتها وتضم اتباعها"[3] وهذه النوادي التي عمت المدن الجزائرية كلها تقريبا، كان أهمها : نادي الترقي بالجزائر العاصمة ونادي صالح باي بقسنطينة الذي سمي بعد ذلك بنادي ابن باديس، ونادي الاتحاد بقسنطينة كذلك، والنادي الإسلامي في ميلة، ونادي التقدم في البليدة، ونادي النجاح في سيدي بلعباس ونادي العمل بسكيكدة، ونادي الشبان المسلمين في قالمة، وغيرها من النوادي.

ولقد امتد نشاط تأسيس النوادي الثقافية إلى فرنسا أين توجد جالية جزائرية كبيرة، حيث أرسلت جمعية العلماء بعثة لها تتولى المهمة التربوية والتثقيفية والتعليمية في وسط الجالية الجزائرية المغتربة "وقد استطاعت بعثتها التربوية أن تكون خلال ثلاث سنوات فقط أحد عشر ناديا موزعا على مختلف أحياء باريس، كما أنشأت نوادي في بعض المدن الفرنسية التي يجتمع فيها العمال الجزائريون، ورتبت فيها جميعا دروسا باللغة العربية لأبنائها الصغار، بالنهار خصوصا، وإن عددا كبيرا منهم ولدوا من أب جزائري وأم فرنسية، وبالتالي لا يعرفون شيئا من اللغة العربية سواء في ذلك اللغة الفصحى أو العامية، كما رتبت دروسا أخرى ليلية للشبان والكبار بعد الانتهاء من أعمالهم"[4].

---

[1]- الشيخ خير الدين – المذكرات - الجزء الثاني - ص42.

- آثار الإبراهيمي – الجزء الثاني - ص27.

- البصائر السلسة الثانية – العدد 10 - السنة الأولى – 1947م.

[2]- د.أبو القاسم سعد الله – دراسات في الأدب الجزائري الحديث - ص115/114.

[3]- نفس المرجع – ص117.

[4]- د.تركي رابح – الشيخ عبد الحميد بن باديس فلسفته وجهوده في التربية والتعليم-1900م/1940م - ص367/366.

ولقد كان لهذه النوادي دورا بارزا في الوعي القومي والنهضة الأدبية حيث :"ساهمت مساهمة كبيرة في دفع عجلة النهضة واليقظة الجزائرية إلى الأمام في هذه الفترة من تاريخ الجزائر، وأن برامج نشاطها وعناوين محاضراتها كافية لتلقي أضواء على تلك المساهمة وعلى معرفة الوضع الثقافي الذي كانت تعيشه الجزائر يوم أن عرفت المحاولات الأولى لإنشاء صحافة عربية في الجزائر.

وبناء على ذلك فإنه من المؤكد أن النوادي قد طورت مجتمعنا الجزائري، وحاولت أن تجعل منه مجتمعا جديدا يعاصر زمانه ويواكب الأمم المتحضرة بالرغم من الحصار والسياج الذي ضربته عليه السلطات الاستعمارية"[1]. وهكذا وجد الوعي السياسي طريقه إلى أذهان وعقول الشعب، ووجد الأدب العربي سوقا رائجة، وأبوابا مفتوحة، ووجدت اللغة مكانا تحيا فيه وتعود إلى سالف عهدها، وبدأت الألسنة تقوم وتستقيم لأنه "في هذه النوادي والمؤسسات، تناقش السياسة، ويلقى الشعر، ويسمر الأدباء، وتمثل المسرحيات، ويحيى الأدب الشعبي، كما تقام منابر الخطابة، وتلقى الأناشيد الحماسية"[2] كما كانت "أماكن اللقاء لجميع المثقفين من جماعة النخبة، أو جماعة المحافظين، الأمر الذي مكنهم من تبادل الآراء في مختلف الميادين السياسية والاجتماعية والثقافية، وذلك بإلقاء المحاضرات، وقراءة الصحف العربية الشرقية والكتب الجديدة وتناقل الأخبار، كل ذلك تمشيا مع روح العصر وتيار النهضة العربية الإسلامية، وريح التطور وحسة التجديد"[3].

وكانت هذه النوادي هي الأماكن المفضلة للأدباء لإقامة نهضة أدبية فكانوا يغشونها أناء الليل وأطراف النهار يقدمون خدماتهم الجليلة للأدب الجزائري والأدب العربي "فقد كانوا يقومون بتأليف الفرق التمثيلية التي تمثل الروايات العربية مترجمة أو موضوعة، وكانوا يجمعون إليهم العناصر العاملة في حقل الأدب كالشعراء والصحفيين والأساتذة المختصين حيث يلقون أبحاثا ودراسات تختلف موضوعا واتجاها"[4] والعمل جد على "مراجعة مؤلفات الكتاب أمثال جرجي زيدان، وجبران خليل جبران، والريحاني، وقراءة شعر الشعراء، أمثال إبراهيم اليازجي، وجميل صدقي الزهاوي، وأحمد شوقي"[5]. فقد أحيى مثلا نادي الترقي ذكرى الشاعرين حافظ إبراهيم

---

[1]- الزبير سيف الإسلام – تاريخ الصحافة في الجزائر-الجزء الرابع - ص29.- المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر 1985م.

[2]- د.أبو القاسم سعد الله – محمد العيد آل خليفة رائد الشعر الجزائري في العصر الحديث - ص26.

[3]- الزبير سيف الإسلام – المرجع السابق-الجزء4 - ص27.

[4]- د.أبو القاسم سعد الله – دراسات في الأدب الجزائري الحديث - ص118.

[5]- د.نور سلمان – الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرير-ص159 /160.

وأحمد شوقي، بإقامة مهرجان ضخم سنة 1934م تباري فيه الأدباء والشعراء والخطباء، وكان لابن باديس فيه كلمة قيمة حول الذكرى.

فكان لهذه المهرجانات الخطابية في مثل هذه المناسبات دورها في إحياء "الخطابة الرائعة، والشعر الجميل، والمقالة الحسنة، والأقصوصة المصورة، والمحاضرات المتبحرة"[1] والمسرحيات الهادفة.

وإذا كان هذا الدور الذي لعبته النوادي في الحياة الثقافية والسياسية والأدبية في حياة الجزائر وحفظ ثقافتها ولغتها فإنه من الظلم أن تسدل عليها ستائر النسيان كما يقول الدكتور مرتاض[2].

• مثال على النوادي : نادي الترقي

في سياق الحديث عن النوادي لا ينبغي أن نغفل الحديث عن نادي الترقي، ونفرده بسطور تعرف به أكثر من بين النوادي، وهذا للدور الذي لعبه في نهضة الجزائر الحديثة خاصة منها الأدبية والثقافية، والذي زاد في مكانة هذا النادي و"ضاعف من أهميته أنه أمسى مجتمعا لابن باديس وأصحابه من أعضاء جمعية العلماء الأسبقين، يؤمونه كل حين، فيسمعون فيه إلى المحاضرين، الذين لم يكونوا إلا منهم، ويتحاورون في قضايا الأدب، و السياسة، والمجتمع، والدين"[3]. وقد ساعدهم على ذلك كونه ضخما بحيث يتسع لأكثر من خمسة آلاف شخص، وكان يشتمل على قاعات وأبهاء ، تتسع لجمهور عريض يلتقي به أعضاء الجمعية ومحبوها.

كما أنه كان "كعبة القصاد عند أبي اليقظان، وهو دوحة تفرعت عنها كل النوادي الجزائرية وبه استردت الجزائر صيتها في عواصم المشرق والمغرب"[4] وقد عدّه عبد المالك مرتاض كأنه أحد أسواق الجاهلية تنبع حكمة و تزدهر شعرا و بلاغة و أدبا بقوله:"لا يغالي الباحث في جوانب نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر أثناء العقد الرابع من هذا القرن، أن يعد نادي الترقي بمدينة الجزائر بل في مجموع الوطن كعكاظ في الجاهلية في جزيرة العرب، وكالمربد في البصرة أثناء القرن الأول الهجري.

فقد كان هذا النادي مأقطا عظيما يطفح بالنشاط الأدبي ويفيض بالخصب الفكري، ويكتظ بالعلم والعلماء، ويحفل بالخطب والخطباء"[5].

---

[1]- د.عبد الله مرتاض – تطور الأدب العربي - ص59.

[2]- انظر نفس المرجع - ص58.

[3]- د.عبد الله مرتاض – نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر –1925م/1954 م - ص40.

[4]- د.صالح خرفي – الشعر الجزائري الحديث - ص 141.

[5]- د.عبد المالك مرتاض -- المرجع السابق - ص40.

وبكلمة موجزة نجد أن نادي الترقي قد لعب "دورا هاما في الحياة الأدبية والثقافية وفي الدعوة إلى إحياء اللغة العربية والثقافة القومية"[1]. وما وصف به هذا النادي ينطبق على بقية النوادي مع التفاوت، في دورها في الحياة الأدبية والعقلية في الجزائر.

المطلب الرابع : المطبعة

المؤسسات أو المشاريع السابقة الذكر، من تعليم وصحافة ونوادي..ما كان لها أن تنجح وتنمو وتتطور، وتحقق أهدافها، والانتشار الواسع بين الجزائريين، لولا تفطن الشيخ عبد الحميد ابن باديس –رحمه الله– إلى وجوب أن تدعمها مطبعة خاصة، لا سلطة ولا وصاية عليها إلا سلطة ووصاية الجمعية وأعضاءها، يقول الأستاذ علي مرحوم :"والحقيقة التي يجب ألا نغفل عنها هي أن نجاح جميع المشاريع الآنفة الذكر يرجع إلى وجود "المطبعة الجزائرية الإسلامية بقسنطينة" التي وفق الله الشيخ لتأسيسها، وكان لها دور أساسي فعال، منذ بداية ظهور النهضة لأنها يسرت للشيخ سبيل النشر الذي هو أخطر الوسائل في بناء النهضات الوطنية"[2].

والحقيقة أن ضرورة وجود مطبعة تدعم بقية المشاريع التي أنجزتها الجمعية لم تكن فقط من اهتمامات الشيخ عبد الحميد بن باديس، وإنما من اهتمامات بقية الأعضاء الآخرين للجمعية.

فكان التعاون بين الجميع لتحقيق هذا الإنجاز، فها هو الشيخ مبارك الميلي يعضد ساعد أخاه ابن باديس في هذا المجال، يقول المرحوم عبد الحفيظ الجنان :"رجع الشيخ المبارك من تونس حاملا معه مسودة قانون أساسي يحث الطلاب وأهل العلم على المساهمة في إنشاء مطبعة كبرى تطبع المخطوطات وتنشر الجرائد والمجلات لتحيى الأمة حياة عملية، لا نظرية، ووجد أستاذه المرحوم عبد الحميد بن باديس قد بعث بقلمه صيحة مدوية في أرجاء الوطن، فانضوى تحت لواء أستاذه بالأمس، وصاحبه في الحال وقال له :"ها أنذا الفتى المقدام والمناصر الهمام" "[3] ويحدثنا الشيخ خير الدين وهو أحد الأعضاء البارزين في الجمعية عن تأسيسه هو الآخر مطبعة الإصلاح ببسكرة بقوله :"كان أول أعمالي ببسكرة السعي لشراء مطبعة بالاشتراك مع جماعة المصلحين، وذلك بهدف إصدار جريدة "الإصلاح" التي أدارها الشيخ الطيب العقبي، والقيام ببعض الأعمال التجارية التي خصص عائدها للإنفاق على سبيل الحركة الإصلاحية، وقد جعلناها وقفا على

---

[1]- د.عبد الله ركيبي – الشعر الديني الجزائري الحديث - ص40.

[2]- علي مرحوم – لمحات من حياة ابن باديس - مجلة الأصالة – العدد24 - ص102 / 103 - السنة4 - ربيع الأول/ ربيع الثاني -1395هـ / مارس / أفريل –1975م.

[3]- أحمد بن ذياب – الشيخ مبارك الميلي في ذكرى وفاته الثانية والثلاثين - مجلة الثقافة – العدد 34 - ص15/44.

خدمة الحركة الدينية الإصلاحية راجين بذلك ثواب الله"[1]. وهذا الحرص من أعضاء الجمعية على ضرورة وجود مطابع تابعة لهم، نابعة من وجوب الاستقلالية عن المستعمر، والاعتماد على الجهد الذاتي للحركة دون اللجوء إلى جهات أخرى، ممن لا يروقها رؤية الحرف العربي يشق سبيله إلى النشر والازدهار، ولا يروقها نجاح الجمعية في عملها و مسعاها.

ولهذا كان مسعى ابن باديس وإخوانه في الاعتماد على أنفسهم وتفطنه "ليس فقط إلى العمل الصحفي، ولكن أيضا شروط نجاحه، فقد أراد أن يوفر أقصى ما يمكن من شروط النجاح لجريدته بواسطة تأمين مطبعة تكون ملكا له، حتى لا تكون طباعة الجريدة عبئا عليه"[2]. وبهذا الإنجاز "لعبت الطباعة دورا بارزا في انطلاقة النهضة العربية الحديثة، وذلك في مجال إيصال الكلمة المطبوعة إلى مختلف قطاعات الشعب، بعد أن، كانت وقفا على العلماء والموسرين، وساعد ظهور المطابع على إنماء التعليم والصحافة وسواهما.."[3].

ولعل إلقاء إطلالة على قائمة الصحف والمجلات التي كانت تصدرها مطابع الجمعية وخاصة مطبعة ابن باديس يتضح لنا الأهمية الكبرى التي لعبتها في صناعة النهضة العلمية والثقافية والأدبية، ونشرها للبيان والحرف العربي والوعي القومي، "حيث نجد البصائر الأولى تطبع فيها ابتداء من سنة سبع وثلاثين إلى سنة تسع وثلاثين، ومثل ذلك يقال في المنتقد والشهاب والنجاح والبرق، والشعلة، وكانت هذه الدوريات فيما يبدو تطبع كلها بالمطبعة الجزائرية الإسلامية التي أسسها ابن باديس"[4]، وكذلك بقية الصحف الأخرى "السنة النبوية، والشريعة، والصراط السوي سنة 1933م وصحف أخرى صدرت عن نفس المطبعة ليست للجمعية، ولكن موالية لها وهي: جريدة الجحيم سنة 1933م، وجريدة أبو العجائب للشيخ محمد العابد الجلالي سنة 1935م"[5] وبانتشار الصحافة انتشر الحرف العربي واللغة العربية.

"وكما كان للطباعة أثرها في ظهور الصحافة وانتشارها، فقد كان لها دورها كذلك في إحياء التراث القومي"[6] وانتشار الثقافة والعناية بالأدب نثرا وشعرا، وتدعيم النهضة العلمية والعقلية، وتشجيع الجيل الجديد من الأدباء والكتاب والمفكرين على نشر إنتاجهم بين مختلف طبقات

---

[1]- الشيخ خير الدين – المذكرات – الجزء الأول – ص91.

[2]- محمد الميلي – ابن باديس وعروبة الجزائر – ص13 – الشركة الوطنية للنشر والتوزيع – الجزائر1973.

[3]- د.كاظم حطيط – أعلام ورواد في الأدب العربي ص 180 – الشركة العالمية للكتاب – بيروت لبنان – الطبعة الأولى 1407هـ-1987م.

[4]- د.عبد المالك مرتاض – نشأة الصحافة العربية وتطورها في الجزائر – مجلة الثقافة – العدد33 – ص35

[5]- علي مرحوم – لمحات من حياة ابن باديس – مجلة الأصالة – العدد:24 – ص 102/101.

[6]- د. عبد الله ركيبي – الشعر الديني الجزائري الحديث – ص 39.

الشعب، وهذا بما قامت المطابع به من طبع للكتب، وما أخرجته من نشريات ومنشورات كثيرة منها "عدة كتب في التاريخ والتراجم والاجتماع والدين ونحوها"[1].

"والحق أن هذه المطبعة -خاصة- قد أسهمت بحظ موفور في إحياء اللغة العربية والثقافة الإسلامية، وأدت خدمات جليلة في دعم النهضة الحديثة في الجزائر منذ تأسيسها"[2] فكانت بذلك وسيلة فعالة في ذلك كله، لم يلتفت إليها ويوليها العناية والاهتمام مثل جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

المطلب الخامس : الكشافة الإسلامية

لعله في بداية كلامنا يمكن القول أن الكشافة الإسلامية ما نشأت وترعرعت إلا في أحضان الحركة الإصلاحية ورجالها، فمحمد بوراس رائد الكشافة الإسلامية الجزائرية كان من أصدقاء الشيخ عبد الحميد بن باديس، ومن المقربين إلى جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، فعندما سعى لتأسيس أول فوج للكشافة كان في منطلقاته وتوجهاته وأهدافه "متأثرا بعلماء الحركة الإصلاحية أمثال العقبي وابن باديس"[3].

واهتمت الجمعية بعد نشأتها بالكشافة، لكونها محضنا مهما ومفيدا للشباب الجزائري لتملأ فراغه، وليشبع بالروح الوطنية وبالعروبة ويتعلم العربية، وأنماط التعبير و أشكال المحاورة و الحديث، لتهيئة هذا النشأ للمستقبل ولتمكينه من مواجهة حملات التغريب والفرنسة :

1- د.أبو القاسم سعد الله – محمد العيد آل خليفة رائد الشعر الجزائري في العصر الحديث – ص25.

ومن الكتب التي تم طبعها بمطابع جمعية العلماء خاصة المطبعة الجزائرية الإسلامية ، التي أسسها ابن باديس ما يلي :

- كتاب الجزائر – لأحمد توفيق المدني
- تاريخ الجزائر القديم والحديث – للشيخ مبارك الميلي
- تاريخ الجزائر العام – لعبد الرحمان الجيلالي.
- محمد عثمان باشا داي الجزائر – لأحمد توفيق المدني
- ذكرى ابن أبي شنب – لعبد الرحمان الجيلالي.
- رسالة الشرك ومظاهره – للشيخ مبارك الميلي
- سجل المؤتمر الخامس لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين - الشيخ البشير الإبراهيمي.
- تفسير ابن باديس.
- كثير من الكتب المدرسية والمسرحيات مثل : مسرحية بلال لمحمد العيد آل خليفة ، ومسرحية بلال لمحمد العيد آل خليفة ومسرحية حنبعل لأحمد توفيق المدني . وغيرها كثير مما طبع بهذه المطبعة التاريخية.

2- علي مرحوم – المرجع السابق – ص102/101.

3- د.احمد الخطيب – جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها الإصلاحي في الجزائر – ص230.

فكانت الكشافة كوسيلة فعالة في ذلك، لهذا اهتمت الجمعية بل و"شجعت الشبان الجزائريين على تكوين المنظمات الكشفية"[1]. ويبين لنا محمد الصالح رمضان ذلك بقوله: "إن الكشافة نشأت وترعرعت في أحضان الحركة الإصلاحية..كما نبتت أكثر أخواتها وجمعياتها في أوساط وبيئات إصلاحية إلى جانب المدارس الحرة..وكان أغلب فتيانها وقادتها من معلمي مدارس الجمعية..وكان أقطاب الحركة الإصلاحية وأئمتها يشجعونها ويساعدونها..كابن باديس والعقبي والإبراهيمي... "[2]، وقد كان أول مؤتمر تعقده الأفواج الكشفية المنتشرة في ربوع الوطن بعد توحيدها سنة 1939م كان برئاسة الشيخ عبد الحميد بن باديس "وكان الشعار الذي رفعه المؤتمر هو نفسه شعار جمعية العلماء...(الإسلام ديننا والعربية لغتنا والجزائر وطننا)"[3]. ومن خلال هذا الاهتمام بالكشافة من الجمعية، ومن خلال برنامج عملها، ومنهج خطتها..كان أفراد هذا التنظيم جنود للعروبة والإسلام من الذين أحيوا النهوة الجزائرية، ودفعوا الأمة نحو الحفاظ على شخصيتها الوطنية ولسانها العربي، والانفصال عن المستعمر، وتمتين الروابط مع العالم العربي والقومية العربية، من خلال النشاطات المتعددة، والمجالات المختلفة التي اخترقتها هذه المنظمة "وقد امتد النشاط الكشفي إلى مختلف النشاط الاجتماعي والأدبي والفني، فاعتلى خشبة المسرح، وعزف الموسيقى، وطعم المحافل..بروح متفائلة ومشرقة"[4] فلغة الاتصال في هذا كله مع الشعب هي العربية، فبالعربية كان الحوار، وبها كان التمثيل، وبها كان الغناء، وبها يمارس كل شيء..بعربية صحيحة، فأعادت لها بذلك الحياة والروح. وما زاد اللغة إشعاعا وحماسة ورقة وعذوبة تلك الأناشيد الحية الدفاقة، لأن التنظيم الكشفي كان من المجالات التي "انطلقت فيها الأناشيد الوطنية، فاهتم الشعراء بالناشئة، وبما تتغنى به في مواقفها المختلفة، وألفوا لها الأناشيد التي تتغنى بالأمجاد، وتشيد بالإسلام والعروبة، وتهيب إلى مستقبل أفضل"[5]. وانبرى الكتاب والشعراء في تطعيم هذا التنظيم بكتاباتهم، ومسرحياتهم، وقصائدهم، وأناشيدهم، خدمة للوطن وللعربية، وإحياءا لأنماط التعبير اللغوي، وأشكال الاتصال.

ورأى الناشئة، والشعب الجزائري معها كيف كانت الأناشيد بحماستها وموسيقاها ونضمها باللسان القومي تبعث روح التحدي، وترفع من الهمم والإحساس بالانتماء الحضاري إلى الماضي

---

[1]-المرجع السابق – ص 229.

[2]- نفس المرجع – ص231/230.

[3]- نفس المرجع – ص230 / 231

[4]- د.صالح خرفي – الشعر الجزائري الحديث - ص166.

[5]- نفس المرجع - ص167/166.

السحيق، وكانت هذه الأناشيد في مجموعها "من وضع شعراء الحركة الوطنية والحركة الإصلاحية أمثال محمد العيد.."[1] ومحمد العابد الجلالي وغيرهما.

"وقد ظهرت سنة 1939م مجموعة أناشيد مدرسية من تأليف محمد العابد الجلالي"[2] كلها تفيض بالروح الوطنية والتزوع نحو الاستقلال، والانتماء القومي العربي الإسلامي والتغني بأمجاد الماضي والتطلع إلى مستقبل أفضل.

المطلب السادس : التواصل والاتصال مع المشرق

المشرق كل نفوس الجزائريين تهفو إليه، قديما وحديثا، فهو منبع الرسالة والوحي، وهو منطلق الفاتحين، وهو موطن العربية والعروبة، وقد كان التواصل معه منذ العصور القديمة والأزمنة الغابرة، واستمر إلى يومنا هذا، وسيستمر إلى ما شاء الله له في مستقبل الأيام، غير أن الاستعمار حين دخل الجزائر عمل على قطع هذا الامتداد مع المشرق ومع الخارج لأجل ضرب العربية والإسلام، وهذا بإقامة الحواجز "فضرب سدا منيعا بين الجزائر والمشرق العربي، ففصلهما سياسيا حين اعتبرها جزءا من فرنسا، كما فصلها ثقافيا عندما حرم اللغة العربية ومنع دخول الصحف العربية للجزائر"[3] لأنه كان يريد من وراء ذلك ويهدف إلى القضاء على "أية رابطة تربطها بشعب عربي أو إسلامي خارج الحدود، فكانت المحمات مسلطة على الجبهة الداخلية، وعلى الجبهات التي يمكن أن تكون مصدرا لامتداد خارجي"[4].

هذه الصلة وهذه العلاقة التي أراد الاستعمار قطعها وبترها، عملت الجمعية في المقابل على استمرارها وتواصلها وتنميتها أكثر لأن لنا حضارتنا المميزة وثقافتنا وتاريخنا المميز "ثقافة مميزة هي الثقافة العربية الإسلامية، وبالتالي فإن الجزائر ترتبط روحيا وتاريخيا بالعالم العربي"[5]. ويصور لنا الشيخ البشير الإبراهيمي كيف تتطلع قلوب الجزائريين ونفوسهم إلى الشرق فيقول :"فهذا الشمال الإفريقي كله قلوب تهفو إلى الشرق العربي والشرق الإسلامي، وكله نفوس تتطلع إلى ما يأتي منه من أنوار، وكله عقول تعرف ما، انبت ذلك الشرق من علوم وفنون وحضارات، وتعترف لبغداد بما أفاءت على العروبة والإسلام من خير وفضل"[6] ونفس الأمر يطرحه الفتى

---

[1]- د.أحمد الخطيب — جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها الإصلاحي في الجزائر - ص231.

[2]- د.صالح خرفي — المرجع السابق - ص 167.

[3]- د.عبد الله ركيبي — القصة الجزائرية القصيرة - ص33.

[4]- د.صالح خرفي — الجزائر عروبة واسلام - مجلة الثقافة — العدد 24 - ص52.

[5]- أنور الجندي — الفكر والثقافة المعاصرة في شمال إفريقيا - ص49.

[6]- آثار البشير الإبراهيمي — الجزء الثالث - ص67.

الزواوي –باعزيز بن عمر– ويبين أزلية التواصل مع المشرق من خلال تعدد الروابط فيقول "إن علاقتنا بالشرق والشرقيين علاقة متينة قوية، تزداد على مر الأيام متانة وقوة، وتغذيها عدة روابط، روحية ودينية ولغوية وأدبية، نشعر بها كلها شعورا لولاه لضاق بنا العيش ولذهبت النفوس حسرات"[1].

ارتباطنا بالمشرق ارتباطا روحيا، وتاريخيا، ولغويا..أي ارتباطا حضاريا، فهو من الضرورات بل من الواجبات..التي أدركتها الجمعية وعملت على تكريسها من خلال عمل أعضائها أمثال الإبراهيمي والطيب العقبي وابن باديس الذي "كان له صلة قوية للغاية بأمير البيان –شكيب ارسلان– الذي كان يصدر في الثلاثينات مجلة "الأمة العربية" بالفرنسية في جنيف بسويسرا، وهذه المجلة كان ابن باديس ينقل منها بعض مقالات الأمير شكيب ارسلان وينشرها في الشهاب، كما كانت له صلة قوية كذلك بالشيخ رشيد رضا صاحب مجلة "المنار" والسيد محب الدين الخطيب صاحب مجلة "الفتح" اللتين ينقل منهما في بعض الأحيان بعض مقالاتها وينشرها في الشهاب".

و كان قصده من ذلك هو ربط القراء في الجزائر بكل ما يجري في الوطن العربي من أحداث وتطورات حتى يكونوا على إلمام كامل بها، إلى جانب إفساد خطة فرنسا التي عملت على عزل الجزائر عن شقيقاتها العربيات في المشرق العربي، كما كان يقصد بذلك إعادة فتح نوافذ الاتصال الفكري الخصيب بين جناحي الأمة العربية في المشرق العربي والمغرب العربي، التي قُطعت منذ احتلال الجزائر عام 1830م"[2] ويتفاعل الجزائريون مع مثل هذه النقول من المجلات المشرقية ،أو المساهمات والكتابات المباشرة من أصحابها، وقد كانت الشهاب لا يصدر منها عدد إلا وفيه شيء من هذه المقالات والكتابات المشرقية، ونفس الشيء للبصائر خاصة في سلسلتها الثانية التي كانت لا يصدر منها عدد إلا وفيه مساهمات وكتابات للمشارقة، وهذا دعما وتدعيما للروابط مع المشرق، "فكانت جريدة البصائر أثناء ذلك ترسل كمية ضخمة باتجاه بلدان المشرق العربي إهداء، وكانت هداياها من كل عدد تقترب من ألف نسخة"[3]، وهذا التواصل والانفتاح على أحداث المشرق العربي الذي أوجدته الصحافة ،كان التفاعل والتجاوب والتقارب الذي سجله السعيد الزاهري سنة 1936م بقوله :"وكل حركة دينية أو أدبية في مصر، لها صداها القوي في هذا المغرب العربي، فللأستاذ المرحوم الشيخ محمد عبده المصري أنصار ومريدون، وفكرة الإصلاح

---

[1]- د.نور سلمان – الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرير – ص165

[2]- د.تركي رابح – الشيخ عبد الحميد بن باديس فلسفته وجهوده في التربية والتعليم 1900م-1940م – ص123

[3]- البصائر – السلسلة الثانية – العدد60 – السنة2 – ديسمبر 1948م.

التي كان يدعو إليها أصبحت اليوم في الجزائر مذهبا اجتماعيا تعتنقه الكثرة الكثيرة من النـــاس وتقوده جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

وكل أديب كبير في مصر له أنصار و أشياخ في بلاد المغرب العربي ، وللزعماء المصريين منـازلهم في قلوب الناس هنا، والمطبوعات المصرية تحتل المقام الأول عندنا، سواء في ذلـــك الصحـــف والكتب والمجلات . والصحف لكثرة ما تروي عن مصر، وما تنشر من أخبارها تكاد تكـــون طبعات مغربية لزميلاتها المصريات .

إن تاريخ هذه البلاد حافل بالشواهد والبيانات على أن المغرب العربي يرتبط بمصر منذ العصـــر الحجري، بكثير من روابط النسب والحضارة والدين.

وأن الذي ما بيـــــــــننا * وما بين مصر لمحض النسب

وأن الذي ما بيـــــــــننا * ويجمعنا ديننا والحســـب

ولكن هل يمكن أن يبعث من جديد ما كان بين المغرب العربي ومصر من الروابـــط وصـــلات القربى؟"[1].

وكان من ثمرة هذا التفاعل والتجاوب مع المشرق أن الأدباء عندنا كانوا يفرحون ويحتفلون حين يبرز علما من الأعلام، أو شاعرا من الشعراء ، ويهللون لذلك أشد التهليل، كما أنهم يحزنـــون كل الحزن إذا فقد أحد هؤلاء الأعلام والشعراء والأدباء، فلقد هزهم موت الشـــاعر حـــافظ إبراهيم، وأحمد شوقي، ومصطفى صادق الرافعي، ورشيد رضا، وغـــيرهم..وكـــانت تعقـــد اللقاءات الأدبية والشعرية والمهرجانات الثقافية تخليدا لذكراهم، وذكرا لأسمائـــهم، وتذكـــيرا بأعمالهم وأمجادهم وتضحياتهم في سبيل العربية والإسلام.

وليس إحياء ذكراهم فقط، بل والمشاركة في كل ما يطرح هناك بالمناقشات وإبداء الرأي "فمـــن ذلك مثلا أراء طه حسين التي كان طرحها حول الشعر الجاهلي، وآراؤه حول إصلاح النحـــو العربي، وحركته الأدبية مع الرافعي، وهلم جرا من هذه القضايا الفكرية التي كـــانت تثـــار في المشرق فتثير معها زوابع مذهلة من الردود الحادة، ثم أراء شكيب أرسلان، ورشيد رضا، وقبلـــه محمد عبده، ثم محب الدين الخطيب، بالإضافة إلى الكتابة عن الشخصيات الأدبية وتحليلها بتفـــرد في الرأي، واستقلال في الحكم، كالحديث عن المنفلوطي، والرافعي وشوقي وحافظ إبراهيـــم، ومحمة البيطار، ومحمد عبده، ورشيد رضا، وغير أولاء كثير.."[2] هذا كله كان يقع رغم الأسوار الحديدية التي وضعها المستعمر لفصل الجزائر عن العالم الخارجي ، خاصة منه المشـــرق العـــربي.

---

[1]- د.صالح خرفي – محمد السعيد الزاهري - ص15.

[2]- د.عبد المالك مرتاض – الثقافة العربية في الجزائر بين التأثير والتأثر – ص117.

لكن التواصل كان أكثر والامتداد أزيد، وبذلك سجلت الجزائر حضورها الدائم "فلم يغب طيفها عن حادثة تقع في المشرق لتجد أصداءها في أعماق هذه الربوع، ولم يختلف حاديها عن أي ركب تحرري في وطن عربي أو إسلامي، ولا غاب شاعرها أو ناثرها عن أي محفل أدبي أو سوق أدبية تقع في أحد أندية الشرق"[1] ومن يتتبع الحركة الأدبية والثقافية للجزائر في تلك المرحلة يدرك جيدا الحضور الدائم للكتاب والشعراء الجزائريين للاهتمام بقضايا المشرق منطلق العودة إلى الجذور الأولى للحضارة العربية الإسلامية "فكانت المقالات الكثيرة والقصائد التي تعبر عن حنين إلى الشرق وإلى الماضي العربي الذي يجمع بين الجزائر والأقطار العربية الأخرى"[2] وهذه الكتابات والمقالات فيها إلحاح شديد وتأكيد قوي على ضرورة التمسك "والتشبث باللغة العربية على اعتبار أنها المقوم الذي يحفظ للجزائر شخصيتها الوطنية والقومية معا، وعلى التمسك بالعروبة، وبالدين الإسلامي بالخصوص باعتباره القيمة التي تحافظ على عقيدة الشعب، لأن الشعب الذي لا عقيدة له يسهل ابتلاعه ومسخه"[3].

ولعل الشعراء كانوا أكثر من غيرهم عناية واهتماما وحديثا عن المشرق والتجاوب التام مع أحداثه، فيشاركون فيها ويعبرون عن أفراحهم أو أحزانهم، وهذه العناية "تبدو في قصائدهم، فما من قصيدة إلا وجدنا بعض أبياتها تشيد بالشرق وتنسب الجزائر إليه وتهاجم الغرب"[4] وبهذا الاعتناء وبهذه المشاركة رأينا كيف "تتردد أسماء العواصم العربية، عناوين لقصائد الشعراء، حتى لتكاد تخرج من هذه العناوين بخارطة للوطن العربي من المحيط إلى الخليج، تحوم لفظة العروبة وتقع عنوانا لقصائد تؤلف مجتمعة "ديوان العروبة" "[5]. وهذه القصائد كلها نبضا عربيا دافقا يغذي العروبة ويفجر بركان حممها في وجه المستعمر الغاصب، لأن الشرق عند الشعراء يعني العرب والعروبة، ولعل محمد العيد آل خليفة كان أكثر الشعراء في وقته عناية بالمشرق، فقد انفعل بأحداث مصر، خاصة منها قضية القنال، ومن ذلك قصيدته "يا مصر" كما تحدث عن بلدان أخرى منها قصيدة "استقلال ليبيا" وقصيدة "استقلال السودان" ومواضيع أخرى ترتبط بالشوق كرثاء أحمد شوقي وحافظ إبراهيم..ويمكن أن نعد قصيدته "نبتغي العيش في الجزائر حرا" التي

---

[1]- د.صالح خرفي – في رحاب المغرب العربي - ص156.

[2]- د.عبد الله ركيبي – قضايا عربية في الشعر الجزائري المعاصر –ص212- المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر –دون تاريخ-

[3]- المرجع السابق – ص 212.

[4]- د.عبد الله ركيبي – الشعر الديني الجزائري الحديث - ص682.

[5]- د.صالح خرفي – في رحاب المغرب العربي - ص212.

يخاطب فيها الشباب الجزائري ملفتا نظره إلى أن نسبه مرتبط بالعروبة في المشرق دليلا على هذا الارتباط حيث يقول فيها :

يا شباب اتجه إلى الشرق واحفظ * كل كرم له إليه انتساب
إنما الشرق للعروبة كهف * آمن الظل بالأذى لا يصاب
إنما الشرق نسبة العرب الأحرار * لم تنقطع لها أسباب
إنما الشرق للعروبة ورد * بارد الماء سائغ مستطاب

وإذا انتقلنا إلى قصيدة أخرى وجدنا قصيدته "في أذى الشرق" ملحمة أخرى من ملاحم العروبة الصادقة والإسلام الدافق فهو فيها لا يعيش لقطرية ضيقة، مهما تكن المعاناة، وإنما يتمثل الإسلام والعروبة في عمق التاريخ، ويعانقها في عرض الحاضر، امتدادا جغرافيا يتخطى العالم العربي إلى العالم الإسلامي، وعلى الخارطة المترامية يتحسس الشاعر موقع وطنه الجزائري العربي المسلم، ويتلمس الملامح التي توغل بالنسب في التاريخ وتغذي التحدي في الحاضر المزيف"[1].

ونفس المعاني نجدها عند عبد الكريم العقون في قصيدته "بني العرب هذا يومكم" التي يربط العلاقة فيها بين الجزائر والمشرق العربي فيقول :

سينقشع الغيم المخيم عن شعبي * فيغدو ضحوكا مشرق الأفق كالغرب
ويحظى بآمال عذاب جميلة * وكم من جنى عذب لدى الأمل العذاب
ويخلع أغلالا ثقالا يجرها * ويجلو ظلام الظلم بالزأر و الوثب
يا شعب ول وجهك الشرق واعتبر * بجامعة العرب الموحدة الركب
فثق بمباديها وكن من جنودها * وخض معها الأحداث جنبا إلى جنب
وما نحن إلا من سلالة يعرب * وعبد مناف جدنا وبنو كعب
فما الشرق إلا منبع النور والهدى * ومعقل دين الله في الموقف الصعب
ألا فاقتفوا آثارهم وتحالفوا * تحالفهم عيشو جميعا على الرحب[2]

و نفس الإحساس و الشعور وجدناه عند الزاهري واحمد سحنون، والربيع بوشامة وغيرهم.

هذه بعض الأمثلة- وهي كثيرة -عن الشعر وتفاعله مع المشرق وقضاياه، وحثه على التواصل مع المشرق العربي الإسلامي، ولم يكن الشعراء وحدهم في هذا الاتجاه، بل شاركهم في ذلك كتاب النثر، وقبل هؤلاء وأولائك كان الشعب الجزائري برمته، ودون شك أن الشعراء والكتاب نقلوا إحساس هذا الشعب وتطلعه نحو الشرق.

---

[1] - د.صالح خرفي – محمد العيد خليفة – ص 22 - المؤسسة الوطنية للكتاب - الجزائر 1986م.

[2] - د.عبد الله ركيبي – قضايا عربية في الشعر الجزائري المعاصر ص22/23.

فمن الكتاب الذين نقلوا هذا الإحساس وترجموه واقعا وعاطفة "الشيخ البشير الإبراهيمي في مقال له بعنوان "من خفقات الشرق" صور فيه النوازع العميقة نحو العروبة والمشرق العربي فقال : "داو الكلوم يا شرق..." وقد عبر عن هذا الإحساس عبر الإبراهيمي كتاب كثيرون أمثال الهادي السنوسي، الذي كتب في مقال له بأنه ليس هناك من الأدباء الجزائريين من لم يتأثر بمدرسة إسماعيل صبري وحافظ وشوقي..."[1]. ومن الكتابات النثرية كذلك عن المشرق، كتابات الزاهري الذي "يؤكد هذا التعلق بروافد المشرق العربي، في فترة كانت فيها القطيعة المفروضة من طرف المستعمر، تزيد التعلق عمقا، وتفرض جسور التواصل معه، ويعدد الزاهري الدوريات التي يستسرها المواطن من الشرق ويسمي الشعراء الذين كانت دواوينهم وأشعارهم مثار المناقشات الأدبية ونموذج الصياغة في المدارس والمعاهد، فلا يكاد في تعداده ذلك يغفل شاردة أو واردة تناقلتها الأندية الأدبية في المشرق حتى لكأن الحصار الذي فرضه الاستعمار على المنطقة في وجه التواصل العربي الإسلامي تلاشت غيومه وتهاوت أسواره الحديدية".[2] وممن كتب نثرا عن فلسطين، وتونس، والمغرب...الشيخ عبد الحميد بن باديس خاصة افتتاحياته للبصائر الأولى سنة 1938م، والشيخ الطيب العقبي عن فلسطين كذلك "حصن الإسلام ومعقل العروبة " وهذه الكتابات كلها كانت تعبيرا عن مدى تعلق الجزائريين والجزائر بعروبتهم وبشخصيتهم العربية، وبتاريخهم وحضارتهم.

ولم يقتصر التواصل مع المشرق على الشعر أو النثر، بل تعدى ذلك إلى ميدان الفن، فقد كانت بعض الفرق المسرحية من مصر الشقيقة تقوم بين الفينة والأخرى بجولات إلى منطقة المغرب العربي ومنها الجزائر، فكانت تستقبل استقبال الأبطال الفاتحين، مثل ما حدث مع فرقة يوسف وهبي القومية التي زارت الجزائر في مطلع الخمسينيات، حيث عمدت جمعية العلماء إلى إقامة حفل استقبال لهذه الفرقة بدار الحديث بتلمسان للتعبير لها عن مدى حبهم للمشرق، وتفاعلهم مع العرب والعروبة، وأنهم لم يمسخوا، ولم تمسخ شخصيتهم ولغتهم ولسانهم، ولاشك أن يوسف وهبي عميد المسرح العربي والفرقة قد أدرك هذه المعاني في لقائه بالجمهور من خلال :"مسرحياته الاجتماعية المثيرة مثل "أولاد الشوارع" كان لقاءا مفعما بالمشاعر الجياشة طافحا بالمعاني القومية"[3]. هذه المعاني القومية والتواصل مع العروبة في الشرق زادته الجمعية وضوحا وجلاء أكثر من خلال استقبالها للفرقة واهتمامها بها، فكانت بذلك رسالة قومية حملتها الجمعية

---

[1] - د.عبد الله ركيبي -- قضايا عربية في الشعر الجزائري المعاصر - ص18/17.

[2] - د.صالح خرفي -- في رحاب المغرب العربي - ص172.

[3] - نفس المرجع - ص22.

للفرقة من خلال "الشاعر الجزائري محمد الصالح رمضان في ذلك القصيد الرائع الذي ألقـــاه في الحفل الذي أقيم للفرقة بدار الحديث بتلمسان العاصمة التاريخية في عرب البلاد.

لقد كانت الأبيات الشعرية مجنحة في الأبعاد القومية، لم تتلمس في خشبه مسرح (يوسف وهبي) إلا منطقا لمشاعر قومية حميمة، ومنبرا لتصحيح ظنونا سيئة متفشية تتـــهم الجزائـــر في أقـــدس مقدساتها وأعز مقوماتها :

لقد قال قوم، قد مسخنا فـــرنجة	*	وصرنا بمنأى عن بني الشرق مبهم
فما نحن إلا من سلالة يعـــــرب	*	وللشرق تعزى لا لغرب مهـــدم
ابلغوا مصـــــــر إذا رجعتـــم	*	إليها بأن لم تمت لم تحطـــــم
وقولوا لها إنا لمصـــــر جنودها	*	وإن لها مثل الو شيح المقـــــوم
ستعتز مصر والعـــــروبة كلـــها	*	بنا إن رعوا حق الجوار المعظـــم
جناحك يا مصر العزيزة (مشرق)	*	قوي عزيز الريش واللحم والـــدم
و (مغربنا) هذا مهيض أصـــــابه	*	من الغرب جرح لم يزل في تورم
فما بال نسر العرب ما انفك واقعا	*	أما آن للنسر الصعود لأنجـــم

كان هذا اللقاء الفني الشعري في رسالة قومية..فيتاح لنسر العروبة أن يحوم من جديد وللجنـــاح المهيض أن يطاول الأنجم"[1].

واستمرت الروابط قائمة بين المشرق والمغرب واستمر معها تطلع الجزائريين نحو العرب والعروبة ومحاولة محاكاة الشرق في نهضته الأدبية والفكرية، وقد تعززت هذه الصلات وهذا التطلع مـــن خلال أفواج الحجاج التي كانت تتجه إلى مكة مرورا بعدة دول عربية أخرى وفي كثـــير مـــن الأحيان تحت إشراف أعضاء من جمعية العلماء، ومما زاد تلك الروابط قوة وعمقا ومتانة تلـــك البعثات الدراسية إلى معاهد الشرق وجامعاته وقد لعبت الزيتونة والقرويين والأزهـــر ومعـــاهد أخرى..دورا رائدا وعظيما في ذلك حيث شكلت "دعامة قوية في النهضة العربيـــة الجزائريـــة، وأعطت الإنسان الجزائري فكرة أوضح وأدق لمعالم النهضة العربية في المشـــرق، والـــتي كـــان يتصورها من خلال الكتب والمجلات، وقد هاجر عدد من قادة حركة الإصـــلاح إلى الشـــرق وعادوا منه بزاد وفير من العلم والمعرفة، بالإضافة إلى إطلاعهم على واقـــع النهضـــة العربيـــة الإسلامية مثل، عبد الحميد بن باديس، والطيب العقبي، والبشير الإبراهيمي"[2] والعربي التبســـي، ومحمد الغسيري وغيرهم...ويلخص الشيخ البشير الإبراهيمي دور خريجي المـــدارس العربيـــة

---

[1] - المرجع السابق - ص202/203.

[2] - التلي بن الشيخ — دور الشعر الشعبي الجزائري في الثورة 1830م-1945 م - ص50.

الأخرى قبل وبعد نشأة الجمعية، يضاف إليها وصول آثار أدباء المشرق إلى الجزائر، ودورهم في النهضة الأدبية الجزائرية، وشعورهم بعروبتها وإحساسهم بالانتماء العربي فيقول: "حمل أولائك النفر من مصر ومن تونس إلى الجزائر قبسا خافتا من الأدب العربي ولكنه كان كافيا في تحريك القرائح والأذهان، وكان ذلك أو سبقه بقليل وصول الآثار الأدبية الجديدة من شعراء الشرق المحلين، وعرفت الجزائر شعر شوقي، وحافظ، ومطران والرصافي...فكانت تلك المؤثرات المختلفة الموارد قد فعلت فعلها في نفوس الناشئة التي هي طلائع النهضة الأدبية، وشعرت الجزائر بعروبتها الأصلية التي كانت كامنة كالنار في الحمر.."[1].

فاندفعت الجزائر من خلال ذلك التواصل والارتباط بالشرق الذي بعثه فيها الجمعية إلى إبراز عروبتها، والدفاع عن انتمائها العربي الإسلامي، وانبرى الكتاب والشعراء والمفكرون وحتى السياسيون إلى العمل للمحافظة على لسانهم ولغتهم العربية والحيلولة دون ذوبان الشخصية الجزائرية وانمحائها، وحث الشعب على التمسك بتلك الأرومة والدفاع عنها حتى آخر نفس لأنها هي حياتهم وتاريخهم وحضارتهم، وبيان أن الارتباط بالشرق هو ارتباط طبيعي لأنه ارتباط بالتاريخ وبالدين والأجداد..فكانت بذلك يقظة عظيمة ووعي شامل وجهاد متواصل وتضحية مستمرة لتبقى الجزائر على صلتها بأصولها وقومها وعروبتها.

المطلب السابع : إحياء التراث

وتستمر الجمعية في العمل على إحياء اللغة، وتتعدد الوسائل والأساليب لذلك: لتنشأ نهضة الجزائر الأدبية والفكرية بلسان عربي مبين..ولقد تنبهت الجمعية إلى كون التراث من العوامل الأساسية في إعادة نشر اللغة العربية من جديد والتمكين لها بين الجماهير لأن "اللغة تحتفظ بالتراث الثقافي جيلا بعد جيل، وتجعل للمعارف والأفكار البشرية قيمها الاجتماعية بسبب المجتمع للغة، للدلالة على معارفه وأفكاره، وباعتبار اللغة من أقوى الوسائل التعليمية"[2]. واحتفاظها بالتراث يجعل منها "لغة الثقافة المشتركة لكل أفراد المجتمع..وهي وسيلة التعبير عن كل مظاهر الثقافة لأفراد المجتمع العربي، ومن ثمة فهي لغة الماضي والحاضر والمستقبل..فهي لغة التاريخ والتراث والحضارة، ذات الطابع العربي الإسلامي"[3]. وإذا كانت اللغة تحمل التراث الثقافي للمجتمع وتعمل على نشر هذا التراث بين الناس، فإننا دون شك نجد التراث هو بدوره

---

[1] - البشير الإبراهيمي – تصدير كتاب محمد العبد آل خليفة لأبي القاسم سعد الله

[2] - د.عبد العزيز عبد الحميد – اللغة العربية – الجزء الأول - ص19 - دار المعارف -جمهورية مصر العربية - الطبعة الثانية -1961م.

[3] - د.أحمد بن نعمان – فرنسا والأطروحة البربرية في الجزائر – ص70.

يحمل اللغة بكل خصائصها وتميزاتها وقيمها، وقواعدها الأساسية، فالعلاقة عكسية حيث اللغة تحمل التراث وتعمل على حفظه ونشره، والتراث هو الآخر يحمل اللغة ويعمل على حفظها ونشرها، وهذه المسألة ما كانت لتغيب عن رجال جمعية العلماء، لهذا كانت محل عنايتهم واهتمامهم لأجل خدمة اللغة العربية والحفاظ عليها، لأن نقل عيون التراث العربي القديم، وروائع الإبداع الفكري العربي يعتبر خدمة للغة لهذا "كانت الحركة الإصلاحية يشدها إلى الماضي حنين ووفاء، فكانت في مختلف نشاطاتها نزوعا إلى أمجاد هذا الماضي، وبحثا له على أعمدة الصحف والمنابر والمدارس الحرة، وتعزيز جانب المواطن ببطولات آبائه وأجداده وتحضيره إلى أن يكون جديرا بوراثة هذا التراث من البطولات والأمجاد"[1].

ومن أهداف هذا الاهتمام بالتراث هو تعلم اللغة العربية والتمكن منها جيدا، للوقوف في وجه التيارات الفكرية والتغريبية الفرنسية المعادية، لهذا عمل علماء الإصلاح على إقناع الجزائريين على ضرورة الرجوع إلى التراث وبعثه من جديد ليأخذوا بذلك العربية من "أصولها الفصيحة ومصادرها الصحيحة، وتعليمها للشباب الجزائري تعليما موسعا، يمكنهم من الإطلاع على التراث..وتكوين جيل جديد يحمل على عاتقه هموم اللغة والأدب العربي والفكر الإسلامي.."[2] وليتمكن هذا الجيل من الشباب من الرد على رجال الفكر الفرنسي الذين يحاولون المساس بهذا التراث والذي يسندون إليه دائما ضعف اللغة العربية وثقافتها.

من هذه المنطلقات وجدنا اهتمام الجمعية بالتراث، والذي حاولت إخراجه في صور متعددة منها إحياء "التاريخ الإسلامي في صور أدبية جديدة، فكانت، تنشر في صحفها نماذج من الشعر العربي القديم والحديث، وتخصص أبوابها للقصص الديني والعربي القديم، كما كانت تدعو إلى دراسة تاريخ الجزائر قبل الاحتلال وبعده"[3] والعمل على "مراجعة التراث وغربلته والبحث فيه عن جوهره الثمين"[4]. وليس فقط الاهتمام بالتاريخ في صور أدبية لبعث الهمم، بل والاهتمام بنفائس وذخائر الأدب العربي القديم للنهوض باللغة العربية وبأدبها مرة أخرى، فلقد وجدنا البصائر توجه الشباب للأخذ من هذا الأدب وتنسب الضعف الذي يعانيه إلى "تنكب جمهور المتعلمين عن الجاحظ وابن العميد والتوحيدي، وعن نتاج القرن الثالث والرابع"[5]. وهذا الاهتمام

---

[1] - د.صالح خرفي – الشعر الجزائري الحديث - ص97.

[2] - ابن حمو محمد – دور التبشير والاستشراق في الثقافة العربية الإسلامية في الجزائر – ص214.

[3] - د.عبد الله ركيبي – القصة الجزائرية القصيرة – ص24.

[4] - د.عبد الله ركيبي – الشعر الديني الجزائري الحديث – ص560

[5] - محمد علي –البصائر – السلسلة الثانية – السنة7 - العدد 49 - ديسمبر1953م.

بتراث وأدب القدامى، اعتبارا لكون "أدب السلف هو المقياس والمثال، وذلك بردة فعل حذرة من كل جديد قد يعرضها للمسخ والتشويه، أو قد يقطع الصلة بالقدامى الذين يمثلون التراث"[1] وبهذا التوجيه "كان المثقفون الجزائريون يغترفون من بحر هذا الأدب العربي القديم، في إعجاب شديد له، وحرص كبير على التزود منه، وميل واضح إلى تمثله ومحاكاته حين الكتابة"[2]. وقد اعتبر الدكتور ركيبي أن الاستلهام من التراث خاصة منه القصص التاريخي كان له الأثر الكبير في نشأة القصة الجزائرية القصيرة[3]، ونضيف نحن أنه كان له الأثر كذلك في ازدهار الشعر العربي الجزائري، وظهور المقالة، والتمكن من الخطابة والمحاضرة، حتى أصبحت اللغة العربية لغة بحث ودراسة وتنقيب في جميع الفنون والعلوم، من تاريخ وأدب وعلوم دينية، والخطابة، وغيرها، ولقد بدا واضحا تأثير التراث في النهضة الأدبية والإصلاحية في الجزائر من حيث المضامين والأشكال والأساليب والمعاني..ولقد عبر الشيخ عبد الحميد بن باديس –رحمه الله– عن تأثير التراث على الأمة الجزائرية بقوله :"إنا بالأمس حين لم نلتفت بهذه اللغة إلى ماضينا وقوتنا السماوية ما كنا نرهب أحدا ولا نستطيع أن نشعر بوجودنا أحدا، أما اليوم فبهذه اللفتة القصيرة إلى تراثنا المجيد فقد استطعنا أن نعلن عن وجودنا ونخيف بعد أن كنا نخاف"[4].

---

[1] – د.نور سلمان – الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرير – ص411.

[2] – د.عبد المالك مرتاض – فنون النثر الأدبي في الجزائر1931م–1954م – ص325.

[3] – انظر د.عبد الله ركيبي – القصة الجزائرية القصيرة – ص25.

[4] – أنور الجندي – الفكر والثقافة المعاصرة في شمال إفريقيا – نقلا عن الشهاب لسنة 1939م.

الفصل الثالث

" الإنتاج الأدبي واللغوي وآراء جمعية العلماء في اللغة العربية "

- المبحث الأول : الإنتاج الأدبي واللغوي لجمعية العلماء
- المبحث الثاني : أراء رجال الجمعية في اللغة العربية نماذج :

(ابن باديس – الإبراهيمي)

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تمهيـــد

هذا الفصل خصصناه للحديث عن الإنتاج الأدبي واللغوي لرجال الجمعية وأراء أهم رجالها حـــول اللغـــة العربية ، وقد اقتضى منا ذلك توظيف مبحثين اثنين :

الأول : وهو للحديث عن الإنتاج الأدبي واللغوي ، وقد أتينا فيه على ذكر أهم ما ترتـــب عـــن النهضـــة الفكرية الأدبية والثقافة التي صنعتها الجمعية من خلال مؤسساتها التي أنشأتها ورجالهـــا وتلاميذهـــا الذيـــن كونتهم ، وما ترتب عن ذلك من خدمة للغة العربية التي أصبحت لغة ثقافة وتفكير وإنتاج أدبي من خلال ما تفتق من قرائح وتحرك من أحاسيس وانطلق من أقلام...فظهرت نهضة أدبية قلما وجدت في تاريخ الجزائـــر تشبه أو تماثل النهضة الأدبية والثقافية التي ظهرت في بقية العالم العربي، خاصة منه المشرق وذلك بظهور كـــل الفنون والأغراض الأدبية ، من قصة ، و مقالة ، و مسرح ، و خطابة ، و نقد ، وشعر...وغير ذلـــك ممـــا يضاهي في بلاغته ، ولغته الأدبية والفنية ، وأسلوبه ، أرقى الكتابات بل ينافسها في النهضات الأدبية عـــبر العصور.

أما المبحث الثاني : فقد كان الحديث فيه عن آراء أهم شخصيتين في جمعية العلماء [الشيخ عبد الحميد ابـــن باديس و الشيخ البشير الإبراهيمي] حول اللغة العربية ومحاولة عملهما المستمر لنشر تلك الآراء في المجتمـــع الجزائري ليتبناها ويحتظنها ليكون بذلك رأيا عاما نخبويا وشعبيا يحمل قضية اللغة العربيـــة ، الـــتي هـــي أم القضايا وأهمها و التي قدما لها جهودًا و أعمالًا مضنية ، وأراء سديدة استوعبها الجيل الجديد وعمـــل علـــى تحقيقها وتجسيدها ميدانيا ، وهذا من خلال ما عملا ، له من استغلال كافة الوســـائل المتاحـــة والمتعددة خاصة منها السياسية لدفع الرأي العام للاهتمام بهذه القضية و تبنيها واحتضانها ، كون اللغة العربية هي لغة القومية ولغة الشخصية الوطنية ، ولغة الدين والتاريخ ، ولغة الحضارة ، أي هي لغة الماضي والحاضر والمستقبل، التي يجب أن نحمل قضيتها ونعمل على أن نرجع لها الحياة من جديد لتستأنف نشاطها وعملـــها كما كانت من قبل وأكثر ، متحدية الاستعمار ومخططاته قد فرضت وجودها وهي اليوم تؤدي رسالتها كما بالأمس .

المبحث الأول

الإنتاج الأدبي واللغوي لجمعية العلماء

و مساهمته في خدمة اللغة العربية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الأدب العربي في الجزائر شعرا ونثرا لم يكن شيئا يذكر قبل نشوء الحركة الإصلاحية على يد جمعية العلمـــاء المسلمين الجزائريين إلا ما ورد من أشعار قليلة وخطب نادرة تقال هنا وهناك وتكاد تنحصر في المجال الديـــني مع ضعفها من الناحية الفنية : البيانية والأسلوبية..غير أنه وبعد ظهور جمعية العلماء عملت على تكوين جيل " اضطلع بقيادة تلك النهضة إلى أن أصبحت كاملة في الأدب والعلم والسياسة ، وكانت هذه الفروع سائقا بعضها إلى بعض ، لأن ضرورة الوطن تستدعي سيرها في طريق واحد ، وكان مظهرها الأعلـــى وعنوانهـــا الأحلى جمعية العلماء ، فهي التي جمعت الشتات، وأحيت الموات ، وحددت المبادئ ، ووفـــرت الوســـائل للقوادم المستعدة أن تطير وتحلق ، وللأفكار المقيدة أن تبحث وتتعمق و بدأت النهضة الأدبية تسابق الإصلاح الديني وتغذيه "[1] . فكانت الجهود الجبارة والعمل المتواصل والسعي المستمر لإحداث نهضة أدبيـــة وفكريـــة عربية جزائرية ، هذه الجهود كانت " من حيث عملية الإحياء والانبعاث ، ومن حيث التخطيط والنشـــاط والتضحية ، ومن حيث الأسلوب والمنهجية التي سلكتها هذه الجمعية في نشر الثقافة العربية الإسلامية، بل في إيقاظ الوعي الحقيقي للجماهير الجزائرية "[2].

المطلب الأول : الحركـــة الأدبيـــة :

فقد بدأت عملية الأحياء والانبعاث للأدب بادئ الأمر من خلال الاعتماد على خريجي جامعـــات المشـــرق الذين عرفوا اتجاهات الأدب وتذوقوا اللغة العربية، وعايشوا نهضتها هناك ، فكان من الواجب عليهم القيـــام بالدور والمهمة اتجاه وطنهم وبلدهم الذي تحتضر فيه اللغة ويكاد ينعدم فيه الأدب فقد " حمل أولائك النفـــر من مصر ومن تونس إلى الجزائر قبسا خافتا من الأدب العربي ولكنه كان كافيا في تحريك القرائح والأذهان ، وقارن ذلك أو سبقه بقليل وصول الآثار الأدبية الجديدة من شعراء الشرق المجلين ، وعرفت الجزائـــر شـــعر شوقي وحافظ ومطران والرصافي ، وما إن انتهت الحرب العالمية الأولى حتى كانت تلك المؤثرات المختلفـــة الموارد قد فعلت فعلها في نفوس الناشئة التي هي طلائع النهضة الأدبية ، وشعرت الجزائر بعروبتها الأصيلـــة التي كانت كامنة في الحجر "[3] . ويؤكد هذه القضية الشيخ الطاهر التلمساني مؤلف كتاب " شعراء الجزائـــر في العصر الحاضر " بقوله : " من منا معشر الأدباء الجزائريين من لم يفتح عينيه منذ انتهت الحرب الكـــبرى على آثار مدرسة إسماعيل صبري ، و حافظ ، و شوقي ، و طه حسين ، و أحمد أمـــين ، و المنفلوطـــي ، والزيات من أفراد الرعيل الثاني، أقول الثاني لأنهم سبقوا بطبقة الشيخ محمد عبده وممن التف حوله من أمثال

---

[1] - من تصدير الشيخ البشير الإبراهيمي لكتاب د.أبو القاسم سعد الله – محمد العيد آل خليفة – ص02 .

[2] - محمد عباس – الإبراهيمي أديبا – ص19.

[3] - من تصدير الشيخ البشير الإبراهيمي لكتاب د.أبو القاسم سعد الله – محمد العيد آل خليفة – ص01 –02 .

رشيد رضا ، و عبد العزيز ، جاويش ، و طنطاوي جوهري ، و علي يوسف ، و المرصفي: فكانت [الهلال] و [المقتطف] ، و [المنار] هذه الثلاثة على الخصوص رسل النهضة الأدبية المشرقية إلى الشمال الإفريقي ، وكان أساتذتنا لا يفتأون يتحرون لنا من منظومهم ما يؤثروننا به لتثقيف عقولنا وإصلاح ألسنتنا وتبصيرنا بما تجود به أفكار المدرسة الحديثة في عالم العرب "[1] ، فارتبطت بهذا نهضة الأدب العربي في الجزائر بصدى النهضة الأدبية في المشرق حتى أنه " لا يكاد يشك مؤرخ منصف بأن النهضة الأدبية في الجزائر صدى لرائدتها في المشرق ، عليها تخرج شعراء الجزائر ، وعلى هديها نسجوا ، وبإشعاعها تلمسوا طريق الإنتاج ، وربما بدأت النهضة في الجزائر تقليدا عميقا لأختها في المشرق ، وترديدا باهتا لأصدائها ، فما لبث التحاوب أن فجر صورة رائعة من الطاقة الخلاقة الكامنة وأصبحت النظرة المقلدة نظرة تجديد ، بل تطلعت إلى مواقف نقدية تقييمية لما تتلقاه من روافد الشرق العربي ، وذهبت إلى أبعد منذ ذلك إلى طرح إنتاجها في الدوريات البارزة في المشرق "[2] فكانت عملية تأثر وتأثير بالأدب الوارد من المشرق والإنتاج الثقافي للأدباء والمفكرين المشارقة ، لهذا نجد أن الأدب الجزائري مرتبط ارتباطا وثيقا بالأدب العربي كله " وليس بمقدور المؤرخ للأدب الجزائري أن يفصله عن الأدب العربي العام في العصر الحديث ، من حيث الاتجاه العام الذي اتجه نحو الغاية والهدف ، ونحو السعي في تحقيق القيم الحضارية والتراثية في الحفاظ على معاني الأصالة والإباء والشرف والحرية في تثبيت الشخصية.."[3] ولم تكتف الحركة الإصلاحية بالاغتراف من المشارقة ومن أدبهم وإنتاجهم لتشكيل اتجاه أدبي جزائري ، بل عملت على أن تخلق اتجاها أدبيا جزائريا صرفا ، وبإطارات وكوادر أدبية جزائرية خالصة ، وقد كان لصيحة كثير من الكتاب والأدباء الجزائريين - صداها لدى الشباب والأدباء الجزائريين — إلى الكف عن تقليد كتاب المشرق وأدبائه وكتاباتهم ، مثل تلك الصيحة التي أطلقها الشيخ خير الدين في الاجتماع العام لجمعية العلماء سنة 1935م ، حيث ألح على دور الأدباء في الاعتماد على أنفسهم وإنتاج الأدباء الجزائريين قديما وحديثا حتى يكونوا أدبا واتجاها خاصا بهم ، فيقول : "..فأدباؤنا اليوم لا يخطر ببال أحدهم أن يبحث وينقب عن كنوز الأدب الجزائري ، وتا الله لو بعث هذا الأدب من مرقده وجمعت هذه الثروة المتفرقة المتوزعة ، لأجتمع للجزائر أدب تباهي به الأمم وتطاول به العصور وتحيي فينا به تلك الذكريات وتحرك فينا تلك النعرات، ولكن أدباءنا - عفا الله عنهم - رضوا بأن يكونوا عالة على كتاب الشرق و أدبائه ، لا يقرأون إلا ما يكتب بأقلام غير جزائرية كأنهم خلقوا للتقليد و المحاكاة ، و ما

---

[1] - د.صالح خرفي - الشعر الجزائري الحديث - ص15

[2] - المرجع نفسه — ص14 - وممن كتب في المجلات المشرقية-الزاهري الذي نشر في مجلة [الفتح] و [المقتطف] و [الرسالة].

[3] - محمد عباس — الإبراهيمي أديبا - ص21.

خلقوا للابتكار ، فلا همّ لأدبائنا و معتنقي الأدب هنا في مجالسهم إلا المفاضلة بين شوقي وحافظ ، و بين الرافعي و الزيات ، و بين مجلتي الرسالة و الهلال ،.. و هذه حالة لا تجمل بمن يريد أن يجدد أدبا قد انـدرس ، أو يحمي أمة بعد موتها ، و من الخير لو أكب أدباؤنا على المطالعة و القراءة حتى تكتمل ملكاتهم الأدبيـة ، حتى يكتبوا لنا في النواحي الأدبية التي تتصل بحياتنا و هي كثيرة متسعة الأطراف "[1] وقد وجـــدت هـــذه الصيحة وغيرها آذانا صاغية فتكون ذلك الاتجاه الأدبي الجزائري وبأدباء جزائريين ، تمثلوا خاصة في الاتجـــاه الذي شكله الشيخ عبد الحميد بن باديس واللفيف المعتبر من الذين خرجهم حيث " ظهرت مدرســـة ابـن باديس الذي كشف لتلاميذه طرائق في الأدب وأسلوبه ، من اللفظة الجزئية حتى البناء الكامل ، وكان للشيخ طريقة خاصة في تناول الحياة تشهد له بالحذق والبراعة ، إذ كان يدعو تلاميذه إلى القديم والجديـــد معـــا ، القديم في محاسنه ورزانته والجديد في طلاقته وتطوره "[2] وقد لمس هذا الأمر الشيخ البشير الإبراهيمي عندمـــا رجع إلى الجزائر ليباشر العمل الإصلاحي فيها رفقة زميلة ابن باديس ، فأعجبه ما خرجه من تلاميذ قديرين ، فقال عن ذلك : "...ورأيت شبانا ممن تخرجوا على يد هذا الرجل وقد أصبحوا ينظمون الشعر العربي بلغـة فصيحة وتركيب عربي حر ، ومعان بليغة ومعان منتزعة من صميم حياة الأمة ، وأوصاف رائعة في المجتمـــع الجزائري وتشريح لأدائه ، ورأيت جماعة أخرى من أولائك التلامذة ، وقد أصبحوا يحبروا المقالات البديعـــة في الصحف فلا يقصرون عن أمثالهم من إخوانهم في الشرق العربي ، وآخرين يعتلون المنابر فيحـــاضرون في الموضوعات الدينية والاجتماعية فيرتجلون القول المؤثر ، والوصف الجامع ، ويصفون الدواء الشافي في القول البليغ "[3] . فكانت بعد ذلك كوكبة كبيرة قادت الحركة الأدبية والثقافية وأخرجت إنتاجا وفيرا غزيرا عربيا جزائريا " فإذا استثنينا شيوخ جمعية العلماء التي كانت رافعة لواء الإصلاح في الجزائر فإن الباقين من أعضائها كانوا جميعا تلامذة لابن باديس درسوا عليه في قسنطينة، ونلقى من هؤلاء من أصبح من الكتاب . ومـــن أبرز الكتاب من تلاميذه ، محمد الغسيري ، ومحمد الصالح رمضان ، وأحمد بن ذياب ، وعلـــي مرحـــوم ، وأحمد بن عاشور "[4] .

---

[1] - الشيخ خير الدين – المذكرات - الجزء الأول - ص150/151 ، وكذلك الشيخ البشير الإبراهيمي سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين- ص159 وما بعدها.

[2] - أنور الجندي – الفكر و الثقافة المعاصرة في شمال إفريقيا – ص 225 .

[3] - البشير الإبراهيمي – أنا – الثقافة - العدد 87 – ص 20 - السنة15 – شعبان/رمضان – 1405هـ – مايو/يونيو 1985 م .

[4] - د.عبد المالك مرتاض – فنون النثر الأدبي في الجزائر – ص54 .

وكان من رواد هذه النهضة الأدبية والثقافية كذلك " مؤرخ الجزائر الأستاذ مبارك الميلي ، والكاتب الشاعر محمد السعيد الزاهري ، والشاعر محمد الهادي السنوسي ، والأديب الكاتب محمد بن العابد الجيلالي، والخطيب المصقع الفضيل الورتلاني...وغيرهم رحمهم الله "[1] .

وهذه الحركة الأدبية أنشأها وقادها ابن باديس في العشرينيات والثلاثينيات واصل قيادتها وتوجيهها الإبراهيمي في الأربعينيات وبداية الخمسينيات حيث اكتمل نموها ، وقوي عودها ، واشتد ساعدها ، وفرضت وجودها في واقع الحياة الثقافية الجزائرية بل و العربية ، فأخذت لها حيزا في الأدب العربي كله ، وقد تخرج تلاميذ كثر كذلك على يد الشيخ الإبراهيمي طرقوا جميع المجالات الأدبية شعرية منها ونثرية ، والملاحظ في هذه الحركة الأدبية أنها أدت إلى انتعاش اللغة العربية شعرا ونثرا ، حتى أصبحت تضاهي أو تقترب في تألقها العصور الذهبية الأولى للأمة العربية ، ولم يحدث في تاريخنا الأدبي والثقافي أن تعاصر فيه مجموعة من العمالقة كما حدث ذلك خلال نشأة جمعية العلماء ووجودها . ويعلق الشيخ البشير الإبراهيمي على هذه النهضة الأدبية بقوله : "جاهدت هذه الأمة في سبيل لغتها جهادا متواصلا ، كان من ثمرات النصر فيه هذه النهضة التعليمية التي ولدت الكتاب والشعراء والخطاب والوعاظ وهي نهضة لم تعتمد الأمة فيها إلا على ما في نفسها من حيوية معروفة ، ولم تلتمس فيها عون من أحني، بل لم تلق من الأجنبي إلا المعارضة والتثبيط القاتل "[2] .

وبفضل تكاتف جهود الشيخ عبد الحميد بن باديس والشيخ البشير الإبراهيمي وتلاميذهما تشكل في الجزائر، اتجاها أدبيا برز بشكل كبير في الصحف العربية ، هذا الاتجاه الأدبي كانت له خصائصه ومميزاته من خلال ما أصدر من كتابات ومقالات رأشعار متعددة في تلك المرحلة .

ومن أهم الذين مثلوا هذا الاتجاه الأدبي :

- محمد البشير الإبراهيمي في كتاباته الأدبية التي كانت تعول على الخيال البارع ، وتستمد من بحره الطافح ، كما يتجلى ذلك في أحاديثه [سجع الكهان] وفصول أخرى كثيرة كان يعبر فيها عن ذاتية واضحة .

و عن فصوله سجع الكهان يقول الإبراهيمي في تقديمه لهذه الأحاديث و إلى إعذاره للناس مما جاء فيه من غريب : " وفي هذه الفصول من لبوس الألفاظ ما يعده المتخلفون من كتابنا غريبا ، وما غرابته في

---

[1] - علي مرحوم – حول الذكرى الأربعين لوفاة الإمام عبد الحميد بن باديس - مجلة الثقافة - العدد 56 - السنة10 – ص20/19 – ربيع الثاني /جمادى الأولى 1400هـ – مارس/أفريل 1980م.

[2] - الإبراهيمي – عون البصائر – ص312/311 .

أذواقهم إلا كغرابة الأعلاق النفسية في أسواقهم ، ولو حفظوه ووعوا معانيه وأقروه في مواضعه من كلامهم واحسنوا إجراءه في ألسنتهم و أقلامهم لأحيوه فحيوا به ، و لأصبح مأنوسا لا غريبا ، ولكن أعياهم الإحسان فعفروا في وحوه الحسان ، وعجزوا في حني الثمرة عن الهصر ، فرضوا من اللغة بما يباع في سوق العصر "[1]

- أحمد رضا حوحو في كتاباته القصصية والمسرحية العديدة ، ومقالاته الأدبية المتنوعة .
- محمد السعيد الزاهري ولاسيما في فصوله [الإسلام في حاجة إلى دعاية وتبشير] وفي مقالاته ومحاولاته القصصية التي كان ينشرها بالمجلات العربية الجزائرية والمشرقية .
- أحمد بن ذياب في مسرحياته ومقالاته الأدبية المتنوعة .
- أحمد توفيق المدني في مسرحيته [حنبعل] وكتاباته الأدبية الأخرى .
- أحمد بن عاشور في أقاصيصه الكثيرة التي كان ينشرها بالبصائر الثانية .
- محمد بن العابد الجيلالي في محاولاته القصصية التي كان ينشرها في الشهاب وفي مقالات أدبية أخرى .
- أبو القاسم سعد الله في بعض أحاديثه الأدبية والنقدية وفي قصته الجميلة [السعفة الخضراء] التي نشرها بالبصائر والثانية .

وهكذا كانت رؤية جديدة للأدب ومفهومه ودوره في الحياة الثقافية والاجتماعية والسياسية في الجزائر ، فدار نقاش طويل حول هذه المفاهيم على صفحات جرائد الجمعية فكتب أحمد بن ذياب عن [الأديب][2] ورضا حوحو عن [الأدب والأديب][3] وتساءل حمزة بوكوشة في مقال له [هل في الجزائر شعراء ؟][4] وكتب عبد الوهاب بن منصور مقالا عن الأدباء الجزائريين بعنوان [مالهم لا ينطقون ؟][5] وقد أخذ هذا المقال حيزا كبيرا من النقاش والرد بين مؤيد ومعارض لما جاء فيه من آراء ، وممن ردوا عليه ابن منصور وأحمد رضا حوحو في مقال [مالهم لا يثرثرون][6] ، و رد عليه صالح أبو غزال[7] وعمر العرباوي[8] كما رد عليه الكامل

---

[1] – البصائر الثانية – العدد 69 – فبراير 1949م

[2] – البصائر الثانية – العدد 12 – جانفي/1948م.

[3] – البصائر الثانية – العدد 06 – جويلية /1947م.

[4] – البصائر الثانية – العدد 85 – جويلية /1949م.

[5] – البصائر الثانية – العدد 207 – نوفمبر /1952م.

[6] – البصائر الثانية – العدد 216 – فيفري/1953م.

[7] – البصائر الثانية – العدد 216 – فيري/1953م.

[8] – البصائر الثانية – العدد 218 – فيفري/1953م.

الحناشي [أدباؤنا ينطقون][1] ، وعلي مرحوم بمقال [لنمضي إلى الهدف][2].

وبعد هذا النقاش الذي دار حول الأدب مفهومه وغايته ، وحول الأديب دوره ومكانته ، وحـول الأدب في الجزائر واقعه وآفاقه...وغير ذلك مما له علاقة بالأدب الجزائري يمكن القول أن الاتجاه الأدبي الجزائري أصبح موجودا كواقع ملموس، مع وجود كوكبة من الأدباء والشعراء برزت في تلك المرحلة ، بدأت بعد ذلـك الدعوة إلى إحياء إطار تنظيمي يجمع شمل هؤلاء الأدباء ويوحد صفوفهم ويبرز غايتهم ومجالات نشـاطهم، فكانت الدعوة إلى عقد مؤتمر للأدباء في الجزائر . ولاشك أن هذه مرحلة ناضجة جدا في مسـار الحركـة الأدبية في الجزائر، فقد اقترح ذلك عبد الوهاب بن منصور [الدعوة إلى عقد مؤتمر أدبي جزائري][3] كمـا كتب الشيخ صالح أبو غزال مقالا تحت عنوان [نحو مؤتمر أدبي جزائري] يدعو فيه إلى وجوب إيجاد إيطار تنظيمي يلم شمل الأدباء ويوحد جهودهم يقول فيه : " لم يبق خافيا اليوم أن في الجزائر نهضة أدبيـة طيبـة تساير النهضة التعليمية الموجودة فيها ، و تتمثل هذه النهضة في هذا اللفيف الصالح من الكتاب و الشـعراء ، و هـذه الآثار الطيبة و البواكير الحسنة ، التي تظهر للبعض منهم من حين إلى آخر في ميـدان التأليف و التصنيف ، و غيره من الميادين الحيوية ...لكن ينقصها وجود رابطة تجمع شـمل الأدبـاء و تلم شعثهم و تنسق جهودهم... "[4] ويبدو أن مثل هذه الدعوة لم تكن لتنطلق لولا وجود نهضة أدبية حقيقية وشـاملة، ووجود أدباء متمكنون ومتمرسون تناولوا جميع الأغراض الأدبية التي كانت موجودة في عصرهـم عندهـم وعند غيرهم فعالجوها معالجة الأديب المتمكن المتمرس ، القادر والمبدع دون أي مركب نقص أو إحسـاس بالضعف والعجز ، فقد ظهرت كل أنواع النثر الأدبي " المعروفة في معجم الأدب ، منها القصة ، والمسرحية، والمقالة ، والخاطرة ، والمذكرات ، والرسائل والخطب ، ونحوها ، وهذه الفنون الأدبية إنما ازدهرت نسبيا بعد تأسيس جمعية العلماء لانتشار الصحف العربية ولظهور كتاب..ونشوب صراعـات فكريـة.."[5] ، وقـد استطاعت اللغة التي حاربها المستعمر وعمل على إلغائها من حياة الناس وعقولهـم وتفكـيرهم ، أن تجـدد حيويتها وعزمها لتواصل الكفاح ، ولتنهض بالأمة لتسترد لها قيمها وتحافظ لها على شخصيتها ، وتعيد للدين مجده ، وللأدب دوره ومكانته ، وللأنفس والعواطف رقتها وحنانها ، وللأحاسيس رهفتها ، لأنها كانت تبني

---

[1] - البصائر الثانية العدد 218 – فيفري /1953م.

[2] - البصائر الثانية العدد 219 – فيفري /1953م.

[3] - البصائر الثانية العدد 253 –أوت /1954م.

[4] - البصائر الثانية – العدد 256 – السنة 6 – جانفي 1956م

[5] - د.عبد المالك مرتاض – فنون النثر الأدبي في الجزائر – ص04 .

على المهاد الأول و تصل من أمجاد الماضي ما أضاعه التفريط والقدر، كما استطاعت اللغة أن تسترد مكانتها " وأن تعبر عن مشاعر الكتاب و تنقل إلينا ما كان يجري .. و أن الأسلوب الأدبي تطور تطورا واضحا في القرن الحالي بسبب احتكاك الكتاب بالعالم الخارجي ، و ظهرت أشكال أدبية نثرية جديدة لم تكن موجودة في القرن الماضي [19م] فيما يتعلق بالنثر مما ساعد على صفاء اللغة و مرونتها و صقلها..."[1] .

و قد ظهرت اللغة في مقالات و كتابات الأدباء و الشعراء أصيلة أصالة فنية متميزة وفي أسلوب بياني رائق و جذاب ، و تجنيح خيالي مبدع ، لا ينحني على الواقعية و إنما يقربها من النفوس ، و يتوسل لها الأفهام و يكون وقعها خفيفا على القارئ ... هذا كله في مضامين جادة في الدين و اللغة و الأدب و التاريخ و المجتمع...مما طبع الأدب الجزائري في تلك الفترة بسمات قلما توجد في أدب آخر خاصة منها القومية في ظل الصراع مع الاستعمار و لغة الاستعمار، و قد جاءت أبرز معالم و سمات الأدب الجزائري في تلك الفترة متمركزة أساسا في مايلي :

- المقاومة لكل محاولات القضاء على الشخصية الجزائرية و الكيان الجزائري و التراث العربي الإسلامي.
- ظهور النزعة القومية بقوة، و استيحاء التاريخ القديم مرجعا لها.
- التأثر بالأدب العربي في مصر وأدب المهجر و بصحافة المشرق و أعلامه.
- إحياء تاريخ أعلام المغرب العربي عامة و الجزائر خاصة.
- الدعوة بكل الأشكال إلى المحافظة على اللغة العربية.
- التمسك بالتراث و عدم الإنحياد عنه.

و بعد هذه النظرة العامة عن الحركة الأدبية نأتي إلى التفصيل بالحديث حول جميع الأغراض الأدبية الشعرية منها و النثرية ليتضح أكثر ما فعلته اللغة في نفوس الجزائريين و ما تركته من إنتاج أدبي غزير .

المطلب الثاني : الشعر .

إذا كان الشعر هو ديوان العرب الذي حفظ مآثرهم و بطولاتهم ، و مجد تاريخهم و مناقب رجالهم ..فانه هو الذي حفظ اللغة العربية بألفاظها و معانيها و نسقها و بلاغتها و بيانها و إعجازها.. فحين أراد علماء اللغة العرب أن يقعدوا للغة ليحفظوها و يصونوها من اللحن و من الدخيل ، رجعوا إلى الشعر ليقوموا بذلك . فلا ريب بعد ذلك أن نجد اهتمام رجال جمعية العلماء بالشعر إنشادا و حفظا و دراسة و تدوينا و نشرا بين الناس ، بل إن اهتمامهم بالشعر فاق الأغراض الأدبية الأخرى . و الجزائر لم تعرف قبل ظهور الحركة

---

[1] - د.عبد الله ركيبي - تطور النثر الجزائري - ص 261 .

الإصلاحية المتمثلة أساسا في جمعية العلماء حركة أدبية و شعرية قوية و بارزة وذات معالم واضحة إلا ما كان من بعض الشعراء القليلين من أمثال : المولود بن الموهوب ، و رمضان حمود... والملاحظ في شعر تلك الفترة أنه يفتقر إلى القوة و المتانة و سلاسة الأسلوب ووضوح العبارة كما أن موضوعاته تصب في اغلبها في الجانب الإصلاحي .

و مع بروز الحركة الإصلاحية برز الاهتمام بالأدب عامة و بالشعر خاصة ، حيث أولته جمعية العلماء و رجالها اهتماما بالغا ، و حث الناس خاصة الشباب منهم على مدارسته و قرضه و الاعتناء به ، لأنه هو معين اللغة الصافي و منبعها الأصيل ، به يصقل السان ، و يقوم الاعوجاج ، وتوهب الملكة للعقول و الأذهان ، و به يحفظ اللسان العربي لهذه الأمة من الزوال و الاندثار ، فكما حفظ اللغة عبر العصور و القرون ، لا يعجز اليوم أن يحييها من جديد و يبعث فيها الحياة ، لتقوم بدورها الأبدي .

لذا وجدنا من الصيحات الأولى للاهتمام بالشعر ، صيحات الشيخ عبد الحميد بن باديس الذي جاء على لسانه قوله :

" الشعر العربي هو أصل ثروتنا الأدبية ، و أصل بلاغتنا و مرجع شعرائنا في اللغة و البلاغة و أساليب العربية، فدراسته و الاستفادة منه أمر ضروري لحفظ هذا اللسان المبين ، فكيف نبني دعوتنا إلى توسيع الشعر العربي بالتزهيد فيه " [1] . و بلغ من اهتمام الشيخ ابن باديس بالشعر ، أن عمل في البداية مع جماعة من أصحابه عرفت باسم [جماعة الشهاب] من خلال دورية الشهاب ، حيث أعطى عناية خاصة للأدب و بالأخص الشعر الذي كان عليه التركيز . فكيف لا ؟ و أحد أفراد هذه الجماعة هو الشاعر النحل محمد العيد آل خليفة ، و قد خصصت الشهاب صفحة أو أكثر للشعر . وكما سخرت الشهاب لخدمة الأدب و الشعر سخرت بعد ذلك البصائر الأولى و الثانية و غيرها من صحف الجمعية لخدمة الشعر ، و هذا استنهاضا للهمم و دفعا نحو الاعتناء به و الخروج به من القوالب القديمة و الاهتمامات التقليدية إلى رحاب أوسع من الإبداع و الابتكار ، وهذا الذي دفع الشيخ خير الدين إلى أن يصيح : " أن من فتور العزائم الذي أصابنا في مبدأ نهضتنا هذا الفتور الذي عقد ألسنة شعرائنا فهم لا يقولون الشعر إلا من المناسبات كالاجتماعات و الاحتفالات ، أما الطوارئ التي تتجدد كل يوم ، و الأمراض الاجتماعية ، و الأخلاقية المرذولة ن فهم لا يهتمون بها لذاتها ، اللهمّ إلا إذا ذكرت عرضا في اجتماع فخيم أو مأدبة تكريم .. "[2].

---

[1] – الشهاب – المجلد06 – الجزء 2 لسنة 1930 م.

[2] – الشيخ محمد خير الدين – المذكرات – الجزء الأول – ص 155

. – و سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين – ص 159 و ما بعدها

و تجلت اهتمامات رجال الجمعية بالشعر إلى محاولة إشراك كل من له قدرة على قرضه و بناء قصائده إلى دعوتهم للمشاركة من خلال المسابقات التي كانت تقام هنا وهناك خاصة التي ترد في صحف الجمعية ،و ربما تساءلت الشهاب أو البصائر بماذا تحيى الجزائر ؟ و طرحت السؤال موضوعا لمسابقة شعرية ، أو ربما أقيمت هذه المسابقة الشعرية في النوادي و المدارس و المساجد التي تشرف عليها الجمعية . كما كان من مظاهر الاهتمام بالشعر و الدعوة إليه أن تعمد الصحف إلى نقل القصائد الشعرية لشعراء المشرق البارزين كدعوة للتواصل معهم و الاقتداء بهم ، و الأخذ من ينابيعهم، و النسج على منوالهم " فقد كانت الصحف الجزائرية تنقل القصائد الكثيرة للشعراء العرب أمثال شوقي ، و حافظ ، و إيليا أبو ماضي، و الرصافي، وغيرهم ممن كانوا ينوهون بالقضايا العربية ، و يتحدثون عن الوطن العربي و الإسلامي ، و يشاركون بأشعارهم و قصائدهم في شتى المناسبات و الأحداث التي تقع في الأقطار العربية " [1].

و بلغ من الاهتمام بالشعر و معرفة فضله انه حين يصدر الشاعر التونسي أبو القاسم الشابي دراسات في ذلك نجد أن " ابن باديس يحتفل بما جاء في كتابه [الخيال الشعري عند العرب] و يعرض لما فيه من أفكار و آراء يوافقها أو يخالفها ... و هذا هو أحمد توفيق المدني يستقبل ديوانه [أغاني الحياة] و يقرضه بعبارات طافحة بالإعجاب ، ويراه جديرا بكل خطوة و اعتبارا "[2]. و ليس هذا فحسب بل إن " إنتاج جماعة أبو لو كان معروفا لدى الأدباء الجزائريين منذ نشأتها ، و كانت مجلة [أبو لو][3] تصل إلى الجزائر بانتظام ، و إلى جانبها كانت مجلة [الرسالة] هي الأخرى تصل إلى كل أنحاء القطر الجزائري "[4] . كما قرأ الجزائريون مجلة [المقتطف] و شاركوا حتى بالكتابة فيها . و بهذا " كان الشعراء الجزائريون منذ بداية الحركة الأدبية على صلة بالإنتاج الأدبي الوافد من المشرق العربي ، و المهجر الأمريكي ، كما كان بعض منهم على صلة بالأدب الرومانسي الفرنسي . و صلة الشعراء بهذين الرافدين جعلتهم يكتشفون في الشعر جوانب جديدة تختلف عما ألفوه في الشعر التقليدي ، و إطلاع بعضهم على الدراسات النقدية هنا و هناك و سعت أفق معرفتهم الشعرية و أكسبتهم معلومات غير تلك المعلومات التي كانوا يقرأونها في كتب النقد القديمة "[5] .

---

[1] - د.عبد الله ركيبي – قضايا عربية في الشعر الجزائري المعاصر– ص 16/15.

[2] - د. محمد ناصر – الشعر الجزائري الحديث – ص 109 .

[3] - هذه المجلة كانت تنشر لكثير من الشعراء أمثال : علي محمود طه ، وصالح خرفات ، وعبد العزيز عتيق ، وقد اسس جماعة أبولو الشاعر أحمد زكي أبو شادي .

[4] - نفس المرجع – ص 110/109 .

[5] - نفس المرجع – ص 96 .

و ليس معنى أن يهتم الشاعر أو الأديب الجزائري بإنتاج عصره مما عند شعراء المشرق أو المهجر أو مما عند الأمم الأخرى انه قد انقطع تماما عن ماضيه و تراثه بل " ظل الشاعر الجزائري معتزا بتراثه يستمد منه رصيده الثقافي و اللغوي و يتخذ من معالمه الأسوة الحسنة ، و تتوق نفسه أحيانا إلى الإقتداء و الاقتباس و المحاكاة ، بروح واعية متعمدة ، يستحضر التاريخ و يعايش الأحداث و يرى الماضي في الحاضر.."[1] تواصلا نحو المستقبل .

و بهذا الاغتراف المتنوع و بهذا التواصل الدائم ، كان للشاعر الجزائري كيانه و شخصيته ، و إنتاجه و إبداعه الخاص به ، فتخطى الشعر بذلك عتبة الماضي إلى الحاضر تمهيدا للمستقبل، و استبدل التساؤل بالإقرار بالخيط الذي يصل اليوم بالأمس لبناء الغد المشرق . و هكذا تمكن الشعر أن يزدهر و يخرج من طي النسيان و الإهمال و الضعف... و ينبري ثلة من الشعراء الفطاحل في كل نادي أو تجمع و على صفحات كل جريدة عربية ، يقرضون الشعر و ينون القصائد و ينظمون الأبيات ، و يحسنون المعاني و يجلون الصور في أدق تعبير ، و أبلغ بيان ، و أرق كلمات .. من أمثال الزاهري ، و أبو اليقظان ، و الربيع بو شامة وأحمد سحنون ، و الهادي السنوسي ، و البشير الإبراهيمي ، و الأمين العمودي ، و عبد الكريم العقون، و أحمد ابن عاشور ، و حمزة بو كوشة ، و نويوات الأحمدي ، و أحمد بن ذياب ، و محمد الصالح رمضان، و غيرهم من الذين قالوا أجمل القصائد الشعرية .

من هنا يمكننا القول : " لقد كان حظ الشعر في هذه النهضة عظيما و نبغ في أرض الجزائر من الشعراء الفطاحل ما يكسبها فخرا و ذكرا جميلا ، و إذا كانت الكتابة في الجزائر قد أصبحت تضاهي في أسلوبها ورقتها و غناها كتابة المشارقة ، فإن الشعر كذلك قد خرج من منطقة الرثاء و المديح و التغزل و دخل إلى الميدان القومي البحت فأصبحت الجزائر بذلك ذات أدب قومي خاص يمتاز بمتانة العربية و تصويره أدق تصوير للوسط المقول فيه ".[2] و مع كثرة الشعراء الذين أخذوا ينشرون في الصحف العربية، و يغتنمون الفرصة في كل احتفال أو اجتماع أو مناسبة إلا و تنطلق قرائحهم بالقصائد و الأبيات المخلدة للحدث والمؤثرة في النفس و المستنهضة للهمم...فيجعلك ذلك كله تتخيل أنك في سوق ذي المجاز أو عكاظ عند العرب قديما ، فلو بحثنا عن سوق نافعة للشعر العربي في الجزائر الحديثة لوجدناها في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين .

وخرج الشعر إلى آفاق رحبة ليشارك الشعب الجزائري همومه وآلامه فهو لسانه في كل ميدان.."..فاتجه..إلى

---

[1] - محمد عباس – الإبراهيمي أديبا – ص 26 .

[2] - أحمد توفيق المدني – كتاب الجزائر - ص 95

مهاجمة الانحراف الديني والمطالبة الملحة بالإصلاح، واتجه إلى خلق الجو الثقافي والديني الذي يحتضن الفكرة المصلحة "[1] ، كما " خاض الشعر معارك ضد الفكر المتحجر ودعا إلى اليقظة والعلم ، وهاجم الخرافات ولازم خط الحركة الإصلاحية "[2] . وإذا استعرضنا شعر تلك الفترة وجدنا أن أكثر الميادين اهتماما هو الميدان القومي ببعديه العربي والإسلامي وهذا عند أغلبية الشعراء " فإذا استعرضنا أدب الجزائر خلال القرن الجاري وخاصة الشعر منه وجدنا الشعراء والكتاب يلحون على العروبة وعلى الإسلام الذي أدى دور حامي العروبة بأقطار المغرب العربي ، ولا أبالغ إذا قلت أن البعد العربي في الأدب الجزائري الحديث وخاصة قبل 1962م كان أكثر وضوحا في الأدب الجزائري منه في أدب أي قطر آخر من أقطار المغرب العربي "[3] .

ولعل الشاعر حلواح في قصيدته التي نشرتها البصائر [أنا عربي] من أوائل الشعراء الذين تغنوا بالعروبة بل لعله الأول الذي عبر بصراحة عن عروبته في هذه القصيدة لأن غيره من الشعراء كان حديثهم عن العروبة عرضا أثناء مناسبات مختلفة ، بينما حلواح يعبر عن إحساسه العربي وانتمائه للعروبة بشكل مريح ومحدد وتحت عنوان بارز يعبر عن انتمائه العربي فهو بهذا قد " أعلن ولاءه الكامل للعروبة والعرب ، لا بوصف العروبة حضارة ولكن بوصفها فكرة ، وأيضا لم ينظر إلى العرب نظرة عامة كغيره وإنما نظر إليهم جنسا ينتمي إليه ، ويفخر به ، وهذا يجسد فكرة القومية، فهو يؤمن بالقومية العربية لأنه عربي... "[4] وقد صرح بهذا في مطلع قصيدته حين قال :

أنا عربي لا جنس أمجد من جنسي * أنا عربي أفدي العروبة بالنفس

كما تجلى اتجاهه هذا في قصائد أخرى له، مثل [على لسان الجزائر] و [أيها الشرق].

كما أن قضية العربية والعرب والعروبة نالت اهتمام شعراء آخرين خاصة منهم محمد العيد آل خليفة الذي "من شعره القوي حديثه عن اللغة العربية الفصحى كحق من حقوق الشعب الذي ينادي به في شعاراته الوطنية، ونحن لا نستغرب أن يخصص الشاعر اللغة الفصحى...فقد وقفت الجزائر كلها أحزابا وأفرادا تنادي بهذا الحق للقدس ، وتطالب اعتبار اللغة العربية لغة رسمية ، وقد عبر الشاعر عن هذا التيار الوطني ، ثم أشار إلى أن الشعب الجزائري من سلالة عربية عريقة وأن الذين يحاولون فصله عن عروبته وتجريده من لسانه

---

[1] - د.عبد الله ركيبي – الشعر الديني الجزائري - ص35.

[2] - د.نور سلمان – الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرير - ص190

[3] - د.عثمان سعدي – عروبة الجزائر عبر التاريخ - ص134

[4] - د.عبد الله ركيبي – الشاعر حلواح - ص205/206.

القوي سيدر كهم النشل لا محالة :

– تحن إلى نيل الحقـــوق نفوسنـــا * وتأبى علينا نيلهـــا قوة الغشـــم

– ونقصي عن الفصحى ونلهى بغيرها * وليس سوى الفصحى لسان لنا رسمي

– وما لحـــن إلا من سلالة يعـــرب * فمن رام عنها فصلنـــا باء بالرغم

كما يقول :

– صل العرب العرباء واحم لسانهـــم * فانك من أصلابهم تتحـــــدر"[1]

ويتحدث حمزة بوكوشة عن غربة العربية في أوطانها وهو كله أسى وحزن وأسف فيقول :

– يا بلبل الشرق ما أشجاك أشجاني * قم ناجي قلبي بتغريد وتحنـــان

– فإن مثلي كثيب حل في شـــرك * وأنت مثلي غريب بين أوطـــان

وإضافة إلى قضية العروبة والعربية اهتمت القصيدة الشعرية في تلك الفترة وعالجت جميع الأغراض الشعرية لم تكد تغادر أحدا منها في ذلك الوقت إلا وعنت به.

فقد عالجت الرثاء الذي جاء في قصائد كثيرة لعدد من الشعراء مثل ما ورد في الشهاب لمحمد العيد آل خليفة ومحمد بطينة في رثاء الشاعرين أحمد شوقي وحافظ إبراهيم ، كما وردت قصائد كثيرة في رثاء رائد النهضة العربية الإسلامية في الجزائر الشيخ عبد الحميد بن باديس بعد وفاته .

كما عالجت القصـــــيدة شعر المناسبات ، خلال افتتاح المدارس أو النوادي العربية وفي المناسبات الدينية ، وعند مغادرة وفود الحجيج..وغيرهـــــا من المناسبات الكثيرة ، ومن أمثلة ذلك قصيدة عبد الوهاب ابـــن منصور بمناسبة زواج ابنه ، ويلقي القصيدة أمام الشيخ الإبراهيمي ويتعرض فيها لمأساة فلسطين ، وقصيدة سحنون بمناسبة افتتاح دار العلماء[2] وقصيدة أخرى كذلك بمناسبة إتمام مسجد شكيب ارسلان[3]، وقصيدة لعمر شكيري يحيي فيها ميلاد معهد ابن باديس[4] [المعهد الباديسي بقسنطينة]وقصيدة لمحمد العيد بمناسبة انتخاب الشيخ البشير الإبراهيمي مراسلا لمجمع اللغة العربية بالقاهرة[5].

---

[1] – د.أبو القاسم سعد الله – محمد العيد آل خليفة – ص65/63

[2] – وردت في البصائر الثانية – العدد 54.

[3] – وردت في البصائر الثانية – العدد 63

[4] – وردت في البصائر الثانية – العدد 44

[5] – وردت في البصائر الثانية – العدد 254

أما شعر الإخوانيات فقد أخذ هو الآخر جزءا من اهتمام الشعراء أمثال عبد الكريم العقون ، ومحمد السعيد الزاهري ، وأحمد سحنون[1]. كما كانت عناية خاصة بالشعر الاجتماعي والمشاكل الاجتماعية ، كالشباب وتوجيهه ، وتعليم المرأة .

كما وردت القصائد في الزهد والفخر والحيرة والتشاؤم والوطنية وغيرها..

وتناول شعراء تلك الفترة الغزل وقالوا فيه بعض القصائد، التي كثيرا ما كانوا يحتفظون بها لأنفسهم و لم يعمدوا إلى نشرها نظرا للظروف الاجتماعية والدينية وللعادات والتقاليد التي كانت تتحفظ حول مثل هذه القضايا ، ومع ذلك كانت هناك بعض القصائد التي تظهر مرة بعد المرة مثل ما ورد في الشهاب[2] من أن ، " الشيخ عبد الحميد بن باديس زعيم الحركة الإصلاحية والرئيس المباشر لصحافتها تجرأ ذات يوم فنشر قصيدة غزلية تساجلها ثلاثة من شعراء الجزائر في حسناء مرت بهم جالسين في إحدى الحدائق العامة بعاصمة الجزائر، ولكن الشيخ الوقور لم يفته أن يقدم الأبيات في مجلة الشهاب بهذه السطور الوقورة هي الأخرى :]اجتمع الأساتذة بدوي جلول ، أحمد سحنون ، محمد العيد في أحد المتنزهات الجميلة بعاصمة الجزائر فمر أمامهم ما حرك شاعر يتهم بالأبيات التالية وكأنهم خاطبوا في ذلك الشخص المرئي شخصا آخر غير مرئي] " [3] .

أما الهجاء فالملاحظ فيه أنه لم ينشر وظل محفوظا في صدور الرجال فضاع علينا شعر كثير، يقول الدكتور عبد المالك مرتاض : " لقد أنشدني الأستاذ بوشوشي في تيزي وزو (صيف سنة 1973م) قصيدة رائعة لأحد الشعراء الجزائريين في فن الهجاء فلما أزمعت على كتابتها اقسم بالله أن لا يمليها علي وهو يعتقد بإملائها سيمس الهاجي والمهجو جميعا في شخصيتهما!! فأسفت لهذا التمنع..."[4] ولعلنا يمكن أن نصنف بعض القصائد التي قيلت في بعض الطرق الصوفية والزوايا المنحرفة وشيوخها المنحرفين من الهجاء الذي قيل في تلك الفترة.

وقد برزت بعض الأغراض التي لم تتداول بكثرة وإنما قيلت في مناسبات محددة كما ورد في " بعض القصائد التي عنيت بالهزليات أو الفكاهة منها قطعة قالها الأمين العمودي في الدكتور سعدان الذي كان متزوجا بامرأة

---

[1] - انظر البصائر الثانية العدد 30

[2] - الشهاب - الجزء الثالث - المجلد14 لسنة 1938م.

[3] - د. صالح خرفي – الشعر الجزائري الحديث – ص 292

[4] - د.عبد المالك مرتاض – فنون النثر الأدبي في الجزائر - ص68 - الهامش 118.

فرنسية أنجبت له طفلا، وقد تهكم العمودي بسعدان تهكما مرا ، وقد قال :

– حي الطبيب ولا تنسى قرينته * فهو سليمان والمـــدام بلقيس

– له غـــلام أطال الله مدته * تنازع العرب فيه والفرنسيس

– لا تعذلوه إذا ما خـــان ملته * فنصفه صالح والنصف موريس"[1]

فالشعر إذن قد طرق الأغراض جميعها مع التفاوت في المعالجة بين غرض وآخر ، وبرزت القصائد الكثـــيرة لتساهم في النهضة الثقافية والأدبية الجزائرية في تلك الفترة ، وقد أحصى الدكتور محمـــد نـــاصر في مجلة **الشهاب** (1929 م —1939م) عناوين القصائد الشعرية وأسماء شعرائها وتاريخ نشرها حيث بلغت أكثر من 110 **قصائد لشعراء بارزين وغير بارزين**[2]، كما أحصى في جريدة البصائر السلسلة الأولى (1935م — 1939م) أكثر **من ثلاثين (30) قصيدة**[3]. وفي السلسلة الثانية من البصائر (1947م — 1956م) أكثر من 215 قصيدة لكثير مـــن **الشعراء**[4].ومجموع هذه القصائد وغيرها الكثير مما ورد في صحف أبي اليقظان وصحف أخرى يشكل ســـفرا كبيرا من الشعر العربي الجزائري الحديث الذي أسهم بشكل واضح في القصيدة العربية ، والذي عـــبر فيـــه الشعراء عن ارتباطهم بالتراث وتعلقهم بالثقافة العربية واللسان العربي المبين ، واستطاعوا رفع المستوى الثقافي العام والرقي باللغة وأساليبها ، ونمو ميادين تعبيرها وبيان مرونتها وحيويتها وسهولة تداولهـــا بـــين النـــاس، وتطويع الأقلام والألسنة والأفئدة لها ، رغم المأساة الاستعمارية التي يعيشها الوطن .

فساهم الشعر اليوم — كما بالأمس – في الرقي باللغة وإحيائها والحفاظ عليها من جديد لتستأنف رسالتها في الوجود وتحافظ على كيان هذه الأمة .

المطلب الثالث : القصـــة والروايـــة :

الجهود التي قدمتها الجمعية في مجال التعليم و الصحافة و النوادي... في نشر اللغة العربية و تعليـــم الشـــباب طرائق التعبير و أساليب البيان ، و روح المطالعة و فن القراءة و الحفظ و أساليب النقد و التقـــويم ، جعـــل الحركة الإصلاحية تساهم ، " بالطبع في خلق طبقة من المثقفين بالعربية اهتمت بالفنون الأدبيـــة المختلفـــة ، وبالتالي ساعدت على ظهور القصة العربية "[5]و بروزها بشكل جلي لهذا وجدنا أنه " تتضح بصمات جمعيـــة

---

[1] – المرجع السابق — ص71.

[2] – د.محمد ناصر — الشعر الجزائري الحديث – من ص685 إلى ص726

[3] – المرجع نفسه

[4] – المرجع نفسه

[5] – د.عبد الله ركيبي – تطور النثر الجزائري – ص165

العلماء حلية في كل قصة في هذه المرحلة ، و بخاصة أن هذه الجمعية المالكة لزمام المجالات الثقافية العربية ووسائل النشر..."[1] من صحف و مطبعة و غيرها. ففتحت بذلك المجال للمبدعين " و شجعت الأشكال القصصية التي تخدم غايتها و أهدافها قاصدة بذلك إثارة شعور القارئ و تنبيهه لما هو عليه من أوضاع قائمة، كما سعت أيضا إلى ترسيخ اللغة السليمة المهددة بالإندثار، و هذا ما حفز الكتاب – و من بينهم كتاب القصة – إلى الاجتهاد لنيل ثقتها و حسن ظنها بهم "[2] من هنا رأينا نشوء القصة و ترعرعها بين أحضان الحركة الإصلاحية ثم تطورت و اكتمل نموها بعد ذلك . و إذا كان الدكتور صالح خرفي يرى بأن القصة الجزائرية نشأت على يد محمد بن العابد الجيلالي سنة1935م . و إذا كان أيضا الدكتور عبد الله ركيبي يرى أنها لم تنشأ في شكلها الناضج و الكامل إلا في أعقاب الحرب العالمية الثانية فإنه ليس من الهام أن نوافقها "إنما الهام حقا هو أن نعرف أن هذه القصة نشأت و تطورت على يد محمد بن العابد الجيلالي ، و أحمد رضا حوحو ، و أحمد بن عاشور، و محمد الشريف الحسيني ، و عبد المجيد الشافعي ، و زهور ونيسي ، وآخرين.."[3] و لكن من الأهم أن نشير أن البدايات الأولى للقصة قبل محمد بن العابد الجيلالي كانت على يد محمد السعيد الزاهري الذي " يعد من أسبق الكتاب الجزائريين إلى اصطناع أسلوب مبسط يعالج به موضوعات مختلفة بطريقة قصصية حية مشوقة "[4] إذ يمكن أن نعتبر محاولاته " التي جمعها في كتابه[الإسلام في حاجة إلى دعاية و تبشير] أول نسيج قصصي أخرج للحياة الأدبية في العقد الثالث "[5] .

كانت هذه المحاولات الأولى لكتابة القصة، أما البداية الجادة فقد بدأت في ضل الحركة الإصلاحية على شكل مقال قصصي أو صورة قصصية –كما يسميها الدكتور ركيبي– . حيث " لعب المقال القصصي دورا بارزا في الحياة الأدبية فقد ساهم في التمهيد لتطور القصة الفنية فيما بعد "[6] و " أما الرواية فلم تكن قد ظهرت بعد في شكلها الناضج ، و ليست غادة أم القرى لأحمد رضا حوحو، و الطالب المنكوب لعبد المجيد الشافعي إلا قصتين مطولتين ليس غير "[7] كما أشار إلى ذلك الدكتور مصايف موافقا الدكتور ركيبي .

و قد كانت المحاولات الجادة الأولى – كما أشرنا سابقا – لكتابة القصة من طرف محمد بن العابد الجيلالي

---

[1] – أحمد طالب – الالتزام في القصة القصيرة الجزائرية المعاصرة – ص47 – ديوان المطبوعات الجامعية – الجزائر 1989م.

[2] – المرجع نفسه – ص33 .

[3] – د.محمد مصايف – النثر الجزائري الحديث – ص116/115

[4] – د.عبد المالك مرتاض – فنون النثر الأدبي في الجزائر – ص359

[5] – أحمد طالب – المرجع السابق – ص33

[6] – د–عبد الله ركيبي – تطور النثر الجزائري – ص168

[7] – د.محمد مصايف – المرجع السابق – ص117

الذي نشر قصته الأولى عام1935م كما نشر " طائفة من المحاولات في مجلة الشهاب البادیسية خلال سنوات خمس و ثلاثين ، و ست و ثلاثين ، و سبع و ثلاثين ، و كان يوقعها باسم مستعار هو [رشيد] "[1] و كانت أهم قصصه التي نشرت في الشهاب[السعادة البتراء] و [الصائد في الفخ] و [في القطـــار] و [بعـد الملاقاة] و غيرها من القصص و " يعتبر الجيلالي رائدا في مجال القصة القصيرة العربية من حيث جودة كتابتـه و عمق تفكيره ، و روحه النقدية ، و مرحه، و موقفه الجريء من السلطات الفرنسية، و المجتمع الجزائـــري التقليدي.."[2] و " من القصاصين الذين برزوا فيما بعد الحرب العالمية الثانية مباشرة أحمد بن عاشور الـــذي نشر أقاصيص كثيرة في جريدة البصائر بوجه خاص "[3] و لعله يكون أغزر إنتاجا و أكثر كتابة من غـــيره في مجال القصة . فمن القصص التي كتبها في البصائر [في عرس] ، و [مع إمام] ، و [من حديث الحجـــاج في الدكاكين] ، و [حجاج في مقهى] ، و [من تاريخ بؤسائنا] ، و [زوجـــة أوروبيـــة] ، و [زوج متمدن] ، و [خطر الاندماج] ، و [صالح و خطيبته] ، و [النسوة في الشارع] ، و [زواج عصري]، و [عانس تشكو] ، و [الحياة في الريف] ، و [تضحية] ، و [الجندي المرتزق] ، و [في القطـــار]، وغيرها من القصص الكثيرة . وكان يعالج قصصه بأسلوب أدبي جذاب و مبسط حيث " يعبر عن أفكـــاره بنفس الأسلوب و نفس الاتجاه الذي لاحظناه من قبل لدى الزاهري "[4] في كتابه [الإسلام في حاجـــة الى دعاية و تبشير] .

و من كتاب الصورة القصصية و القصة،الذين كانت البصائر تنشر لهم بشكل منتظم عبد المجيد الشافعي من خلال قصصه : [من صميم الواقع] ، و [هذه جناية أم عبرة] ، و [بين فتاتين] ، و [كان بصـــيرا]، و[الشباب الضائع] ، و [سأكون ملكا] ، و [قال صاحبي] ، و غيرها..، و محمد شـــريف الحســـيني كذلك من خلال قصصه [عروس تزف إلى القبر] ، و [قانون قرامون] ، و [سوزان عائشة] . و الكاتبة زهور و نيسي بقصصها هي الأخرى [من المهين ؟] ، و [جلسة مع صديقـــات] ، و [جنايـــة أب] ، و[نتيجة مؤلمة] .

كما نشرت البصائر لآخرين بغير انتظام ، منهم رضا حوحو ؛ [الفقراء] ، و [صاحبي المجنون] ، و [مع

---

[1] - د.عبد المالك مرتاض - نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر - ص07

[2] - عايدة أديب بايمة - تطور الأدب القصصي الجزائري 1925م/1967م - ص306 - ترجمة د. محمد صقر - ديوان المطبوعات الجامعية - الجزائر - دون تاريخ .

[3] - د.عبد المالك مرتاض - المرجع السابق - ص07

[4] - د.عبد المالك مرتاض - فنون النثر الأدبي في الجزائر - ص364

حمار الحكيم [،و عبد الله ركيبي ؛ [الطاعية الأعرج] ، و [الكاهنة] ؛ و أحمد بن دياب ؛ [جانب من الأمة] ، و أحسن قولتمية [في ليلة الميلاد] ، و [الضحية] ، و فتيحة مريغني [الفتاة الصابرة] ، والسائحي حكار [القاتلة] ، و محمد العربي [صورة] ، و أبو القاسم سعد الله [السعفة الخضراء] غيرهم كثير مما يتعذر حصرهم جميعا لكثرة عددهم [1].

و رغم وجود هذه القصص أو الصور القصصية الكثيرة التي أتينا على ذكر جزءا منها أحس بعض الكتاب بالفراغ الناجم عن غياب القصة أو الرواية،ف وجدنا أحمد رضا حوحو يدعو إلى كتابة القصة للنهوض بالأدب و التقويم الخلقي و الاجتماعي خلال مقال له بعنوان " استنطاق الشخصيات في الأدب القصصي"[2] .

و نفس الأمر يدعو إليه أبو القاسم سعد الله حين قدم قصته" السعفة الخضراء " بقوله: "ذلك الخلو البالغ هو الذي دفعني إلى أن أحاول موضوع القصة و أن أبرز فيه معالم من حياتنا الاجتماعية ظلت منسية "[3] و كانت القصة تسير بشيء من الالتزام و الواقعية متناولة بالعلاج قضايا المجتمع في أسلوب فني جميل " و بهذا الالتزام وبهذه الواقعية خطت القصة القصيرة خطوات واسعة بأسلوب عربي رشيق و غدت تأخذ مكانها كفن له تأثيره و فعاليته "[4].

و قد أخذت القصة مكانها و تموقعت بين كتابات الأدباء و اهتماماتهم من خلال المواضيع المتعددة و المتنوعة التي تطرقت إليها بالمعالجة خاصة منها جوانب الحياة الاجتماعية و السياسية و التقاليد السائدة في المجتمع..، مما كان محل عناية الكتاب فقد " وجدنا أنهم ركزوا اهتمامهم في البداية على أمراض المجتمع و عاداته البالية وما سببه الاستعمار من ويلات تركت بصماتها على حياة الشعب الجزائري .

فعالجوا تعليم المرأة و حريتها و زواجها على أساس سليم ، و الاندماج ، و الفرنسية ، و التزوج بالأجنبيات، و الحث على تعليم العربية ، والحفاظ عليها ، وهي نفس الموضوعات التي عالجها المقال القصصي ، ولكن بشكل آخر، إلى جانب أننا نلمح في بعض الأحيان بذور الرومانسية في بعض الصور القصصية..."[5] بل أننا لا نلمح فقط بذور عن الرومانسية التي انطبعت بها بعض القصص وإنما جرأة في طرح قضايا تعدها تقاليد تلك المرحلة من الممنوعات التي يجب عدم الخوض فيها منها قضايا الحب والعاطفة التي " تجرأ محمد بن العابد

---

[1] - يمكن الرجوع إلى السلسلة الثانية من البصائر من سنة 1947م إلى سنة1956م لمعرفة جميع القصص و كتابها.

[2] - البصائر السلسلة الثانية – العدد 07 - السنة 02 /فبراير1949 م

[3] - البصائر السلسلة الثانية - العدد21 - السنة 07 /مايو 1954م

[4] - محمد طمار - الروابط الثقافية بين الجزائر و الخارج - ص271 – الشركة الوطنية للنشر و التوزيع – الجزائر – 1985م.

[5] - د.عبد الله ركيبي – تطور النثر الجزائري - ص169

الجيلالي على إدراج مواقف عاطفية في قصصه التي كان ينشرها بالتباهات "[1] خاصة في قصته [السعادة البتراء] وهذه تعتبر قفزة نوعية في معالجة القضايا الاجتماعية من خلال القصة والخوض فيها كان يعتبر من الممنوعات في تلك المرحلة ومحاولة إبداء وجهة النظر فيها وتوجيهها أو معالجتها المعالجة الصحيحة.

وهذه المعالجة للقضايا الاجتماعية في المقالة القصصية والصورة القصصية يمكن القول : " بأنهما سجلتا صورا من الواقع، وعالجتا بعض قضايا الساعة آنذاك فملأتا فراغ القصة في الأدب الجزائري "[2].

وهذا استطاعت القصة أن تؤدي دورها الاجتماعي والسياسي والثقافي في نشر الوعي بين مختلف طبقات المجتمع ونشر الثقافة العربية وخاصة " دورها في رفع مستوى اللغة وتطوير الأسلوب الأدبي "[3] ولا سيما بعد أن أخذ الكتاب " يهتمون بعناصر الفن من إنحاء ورسم الشخصية القصصية وتفاعلها مع الأحداث "[4] والحقيقة أن النشأة الأولى للقصة كان من أجل الحفاظ على اللغة العربية وثقافتها، فقد قال محمد بن العابد الجيلالي في تعليقه على كتاب [الرحلة المراكشية] : " ومن ذا الذي ينكر على الرواية والقصة فضلهما في تأصيل اللغة وتنمية روحها ، وحسن أثرهما في الثقافة"[5] ومن هنا يمكن القول : أنه من خلال القصة " فاللغة العربية أخرجت من قوقعتها العتيقة لتطوع للغة القصصي والروائي ، ولكل الأفكار التحررية الجديدة بعدما كانت مقتصرة على الشعر.. "[6] فكان ميدان اللغة واسعا ، ومجال عملها متشعبا للحفاظ على نصاعتها ودورها في صيانة الشخصية الوطنية الجزائرية فوجدت في القصة مجالا لذلك .

المطلب الرابع : المقـــال .

كانت المقالة من الأشكال الفنية التي تطورت في موضوعها ومضمونها مع ظهور الحركة الإصلاحية، بل وتطورت حتى في أسلوبها ، بسبب النهضة الأدبية التي ساعدتها في إحياء اللغة العربية ، وجعلها أداة للتعبير عما في النفوس والوجدان دون صنعة أو تكلف " ونحسب أن هذه الفترة أزهى فترة إطلاقا ، عرفتها الجزائر طوال عهد الاحتلال الفرنسي ، وقد أطلقنا هذا الحكم هنا ، لما استأثرت به هذه الفترة من كتاب ممتازين أثروا الحركة الأدبية ، وفن المقالة بوجه خاص ، بما كانوا يملكون من مواهب وعبقريات ، فلقد أتيح لهذه

---

[1] – د.محمد ناصر – الشعر الجزائري الحديث – ص295

[2] – د.نور سلمان – الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرير – ص417

[3] – محمد طمار – الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج – ص271/270

[4] – نفس المرجع – ص271/270

[5] – د.عبد الله ركيبي – القصة الجزائرية القصيرة – ص28

[6] – د.واسيني الأعرج – اتجاهات الرواية العربية في الجزائر – ص49 –المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر – 1986م.

الفترة أن تعرف طبقة ممتازة من كتاب المقالة الأدبية، لم تستطع العقود الثلاثة الأولى من هذا القرن في الجزائر أن تظفر بمثلها .

فقد كانت هذه الطبقة تصطنع لغة نقية فصيحة وأحيانا جزلة قوية ، كما كانت تستخدم أسلوبا ناظرا أنيقا رشيقا ، وكانت صحف الاتجاه الإصلاحي خاصة ، لا تنشر من المقالات إلا ما استوت فيها عربية قائمة على احترام القواعد النحوية مستكملة لأسباب الفصاحة "[1]. هؤلاء الكتاب الممتازون والبارعين كانوا يمثلون النخبة التي نهضت بالمقالة فانتعشت وتطورت حتى " أصبحت قبل ثورة أربع وخمسين تضاهي أرقى المقالات الأدبية في أي قطر عربي آخر "[2] من خلال رواد المقالة عندنا أمثال " ابن باديس، ومحمد البشير الإبراهيمي، ومحمد السعيد الزاهري ، وأحمد توفيق المدني ، ومحمد العابد الجيلالي ، وباعزيز ، وأبي يعلى الزواوي ، وفرحات الدراجي، والطيب العقبي، وأبي اليقظان ، وأحمد بن ذياب ، وأحمد رضا حوحو ، وسواهم ممن انتعشت المقالة الأدبية بفعل أقلامهم ونتف قرائحهم، وبعد هممم في إحياء العربية وبعث الأدب في هذه الربوع"[3]. وهذا العدد الهائل من كتاب المقالة وجدناهم في كتاباتهم أو مقالاتهم نوعان أو صنفان :

الأول : وهو " النوع الذي اهتم بالفكرة وتوصيلها بأسلوب صريح مباشر وباهتمام باللغة من حيث مفرداتها، وأيضا من حيث أصالتها وقدرتها على تبليغ الأفكار بل والعناية ببعض خصائص الأساليب والبيان العربي، دون اهتمام كبير بجمال التعبير وصياغته يقصد من ورائها اللذة الأدبية .

وهذا النوع هو الأكثر أو هو النموذج الغالب في الكتابات الإصلاحية، ويأتي في مقدمة هؤلاء عبد الحميد ابن باديس ، والعربي التبسي، ومبارك الميلي، والطيب العقبي وغيرهم...وينتمي لهؤلاء من يكتب المقالات السياسية التي يراعي فيها قدرا من الجمال الأدبي، مثل أحمد توفيق المدني..والزاهري..وغيرهما من كتاب المقالة السياسية "[4]

الثاني : وهم " أولائك الذين عنوا – إلى جانب الفكرة – بالتعبير والتصوير، واهتموا باللغة وحدها ، لا من حيث نقاؤها وصفاؤها ومرونتها كما فعل السابقون ، بل عنوا بها من حيث الإيحاء ، وجمال التعبير، ومراعاة الصور البيانية.

---

[1] – د.عبد المالك مرتاض – فنون النثر الأدبي في الجزائر – ص86.

[2] – المرجع السابق – ص85.

[3] – د.أبو القاسم سعد الله – هموم حضارية ص69

– ود.عبد المالك مرتاض – فنون النثر الأدبي في الجزائر – ص87.

[4] – د.عبد الله ركيبي – تطور النثر الجزائري- ص137/138 بتصرف قليل.

فمنهم من لاءم بين الفكرة والأسلوب العربي التقليدي ، والبلاغة العربية القديمة ويأتي في مقدمتهم الإبراهيمي..ومنهم من حاول أن يجدد في الصياغة والمحتوى معا، ويمثل هذا التيار أحمد رضا حوحو "[1].

وقد تعددت المواضيع التي تناولتها المقالة بالتحليل والدراسة ، وتعدد توجه كتابها بتعدد القضايا والبواعث التي كانوا يعيشونها ، فكان الاهتمام بالقضايا الاجتماعية وما يعانيه المجتمع من حرمان وقهر وجهل، واستبداد وغير ذلك من الظواهر الاجتماعية في فن المقالة " ومن طرق المواضيع الاجتماعية أحمد ابن ذياب..ومحمد البشير الإبراهيمي..وأحمد بن عاشور..وعمر العرباوي.."[2] وكان حديثهم عن القضايا الاجتماعية ينبعث من الألم والحسرة والمعاناة، تأسفا على ما يعيشه المجتمع الجزائري ، من ذلك مثلا ما كتبه أبويعلى الزواوي عن ظاهرة الأمية في المجتمع في مقاله بعنوان [الأمية في امتنا الجزائرية][3] ، وغيرها من القضايا الأخرى ودون شك " أن أكتب كتاب المقالة الاجتماعية في الجزائر إنما هو أبو عزيز بن عمر الذي خلف نتاجا مقاليا ضخما دبجه كله حول موضوعات اجتماعية مختلفة "[4] نشرت كلها في البصائر في أكثر من عشر مقالات اجتماعية.

واهتم المقال كذلك بالقضايا السياسية التي تعددت وتنوعت في تلك الفترة ، فكانت مادة خصبة وباعثا هاما في تدبيج المقالات السياسية المتنوعة " من القضايا السياسية التي كتبت حولها مقالات سياسية كثيرة، قضية اللغة العربية في الجزائر، التي من أحسن ما كتب حولها، تلك المقالات الطويلة الرائعة التي دبجها الشيخ الإبراهيمي ونشرها في جريدة البصائر الثانية التي تعتبر مرآة . مجلوة للأدب العربي، والفكر الإسلامي في الجزائر فيما بعد الحرب العالمية الثانية، فقد كتب الشيخ زهاء عشر مقالات تحت عنوان واحد هو [التعليم العربي والحكومة]"[5] . وكان الهدف من هذه المقالات الدفاع وبيان " قضية انتماء الشعب الجزائري إلى الأمة العربية، والدفاع عن اللغة العربية بوصفها اللغة التي تربط بين أبناء الأمة العربية الواحدة ، وأن هذا الانتماء يجعل الجزائر غير فرنسية ، وليست جزءا من فرنسا، وقد حاول المستعمرون الفرنسيون بالقانون والقوة أن يفصلوا الجزائر عن الوطن العربي وعن الحضارة العربية الإسلامية "[6] وغيرها من المقالات السياسية الأخرى خاصة منها مقالات أحمد توفيق المدني .

---

[1] -المرجع نفسه - ص139/138 بتصرف قليل

[2] - د.عبد المالك مرتاض – فنون النثر الأدبي في الجزائر – ص115/114.

[3] - البصائر السلسلة الثانية – العدد25 – السنة الأولى – فيفري 1948م.

[4] د.عبد المالك مرتاض – المرجع السابق – ص113.

[5] - المرجع السابق - ص135 - وقد جمعت مقالات الإبراهيمي في كتاب عيون البصائر.

[6] - د.عبد الله ركيبي – تطور النثر الجزائري - ص140

كما أهتم كتاب المقالة بالأدب والدراسات الأدبية خاصة منها ما اتصل بدراسة الشخصيات الأدبية " وقد نشطت مقالة [ترجمة الحياة] أو دراسة الشخصيات الأدبية... بفضل رجلين اثنين هما : عبد الوهاب ابن منصور وأحمد بن ذياب.

فقد حاول ابن منصور أن يعرف بكثير من الشخصيات الأدبية فيخرجها من أوحال الزمن، ونسيان التاريخ، إلى الوجود المعاصر، فتراه يكتب مقالات حول : محمد المقري التلمساني ، وأفلح بن عبد الوهاب التاهرتي، وأبي القاسم المالقي ، وعبد الرحمان الجامعي الفاسي ، وابن مرزوق الخطيب..، وأما أحمد بن ذياب فكتب مقالات حول الشاعر التلمساني ، الشاب الظريف "[1] كما وجدنا كتابا آخرين كتبوا حول شخصيات أدبية أخرى منهم " مصطفى بن سعد الجيحلي – وهو مغمور - يكتب بعض المقالات في حياة ابن زيدون..وصالح بوغزال يكتب مقالة حول شخصية مشرقية هي الزهاوي بعنوان [الزهاوي وبكاء الشباب].. وسعد الدين بن شنب يكتب مقالة حول أبي القاسم محمد بن هاني الأندلسي..."[2]، وما يمكن ملاحظته حول المقال الذي عني بترجمة الحياة الأدبية لبعض الشخصيات هو : " أن هؤلاء الكتاب عنوا بالشخصيات الأدبية المغربية أكثر مما عنوا بالمشارقة ، حتى أن مصطفى الجيحلي اقترح على البصائر الثانية[3] أن تخصص صفحة واحدة من كل عدد لبحث الأدب العربي في المغرب، وكان يتوخى من هذا الاقتراح أن تتباهى أقلام الأدباء والكتاب ، ويخصصوا جانبا من الوقت لبحث الأدب العربي في المغرب "[4] الذي تكاثر عليه غبار النسيان طيلة عهود طويلة ، فحان الوقت في ظل هذه النهضة الأدبية والثقافية كي يخرج إلى النور ونجني كنوزه وذخائره ونبرز قيمته ومكانته في تاريخ الثقافة العربية الإسلامية ودوره في الحفاظ على اللغة العربية واللسان العربي .

وهكذا تعددت مواضيع المقال بين اجتماعية وسياسية وأدبية..انطلاقا من إيمان الكتاب بالدور الذي يمكن أن يؤديه المقال في هذه المجالات، الأمر الذي جعله ينتشر ويشيع أكثر ويتطور بشكل ملفت للنظر.

وقد أسهم هذا الانتشار وهذا القبول بين الناس في الدفاع عن اللغة العربية والمحافظة عليها من خلال "الصحافة الوطنية التي كانت في طليعة الصفوف تدافع باستماتة عن حرمة اللغة العربية ومكانتها في الجزائر، ولم يتبلور دفاعها ذاك في المقالات الحارة التي فتحت لها صدرها وتدفقت على أغرها فحسب بل كانت هي

---

[1] – د.عبد المالك مرتاض– فنون النثر الأدبي في الجزائر – ص10/9

[2] – نفس المرجع – ص10/9

[3] – و ذلك في العدد71 من البصائر.

[4] – د. عبد المالك مرتاض – المرجع السابق – ص10/9

نفسها عاملا من عوامل نموها وانتشارها في أنحاء القطر الجزائري بما منحته هذه اللغة من تطور مع متطلبات العصر، واستعمال للأساليب البسيطة الهادفة التي خرجت باللغة من قوالب عصر الانحطاط المتحجرة "[1] .

هذه المقالات المتنوعة بأساليبها، الجذابة بلغتها، المتينة ببنائها، السلسة في تراكيبها..كانت محل إعجاب وإكبار من القراء ، خاصة منهم جيل الشباب الذي أولاها عناية خاصة ، دراسة وحفظا ومحاكاة وتقليدا مثل الأساليب التي كان يستعملها الشيخ البشير الإبراهيمي التي يقول عنها الدكتور ركيبي " وإني لأذكر بأن هذه الفصول كان يحفظها كثيرون حين كانت تصدر في البصائر ويرتقبون صدورها ، لأنها كانت تستجيب لما في نفوس الناس من تطلعات ثم لأنها كانت تستخدم لغة خاصة وأسلوبا ظنه الناس ذهب مع ماضيه ، فإذا بالكاتب يحييه من جديد، ولكنه لا يستخدمه لمجرد الفصاحة والبيان ، ولكن إلى جانب ذلك كان يعالج به قضايا وقته وعصره ، وشارك به في توعية الناس بواقعهم وظروفهم "[2] .

وأصبحت الجزائر في تلك الفترة بفضل تطور اللغة وانتشار المقالات خاصة ، تفاخر – وحق لها أن تفاخر – بوجود كتاب ومبدعين متمكنين في مجال الكتابة والمقال بالخصوص يماثلون بهم إخوانهم في المغرب أو المشرق العربيين ، وربما فاقوهم في كثير من الأحيان ، وما ذلك إلا ثمرة من ثمار الجهد الذي بذلته الحركة الإصلاحية والنهضة الأدبية والثقافية التي صنعتها وأخرجتها للوجود .

المطلب الخامس : النقد الأدبي .

يعد النقد الأدبي نتاجا للعمل الثقافي وللنهضة الأدبية التي أحدثها عمل جمعية العلماء المسلمين و جهدها في هذا المجال ، ودلالة على تطور اللغة العربية في تلك الفترة وتمكن الأدباء والكتاب من ناصيتها مما حذا بهم إلى تقويم ونقد ذلك الإنتاج الأدبي في تلك الفترة .

والنقد الأدبي لم يظهر بالصورة التي هو عليها مع نشأة جمعية العلماء المسلمين بل سبقه محاولات نقدية مهدت له الطريق للبروز والتشكل أكثر، وهذا من خلال " ما كان يدرسه الشيخ عبد الحميد بن باديس لتلاميذه من طرائق في الأدب وأساليبه ودراسته "[3] وهذا من اللفظة إلى البناء الكامل في النص ، فقد كان رحمه الله " يدعو تلاميذه والمثقفين بثقافته إلى القديم والجديد معا ، القديم في محاسنه ورزانته والجديد في طلاقته وتطوره ، وإذا كانت هذه الدعوة من الشيخ عامة ، تشمل أسلوب الإصلاح جميعا، فلقد كانت

---

[1] – د.محمد ناصر – واقع اللغة العربية – مجلة الأصالة – ع18/17 – ص262

[2] – د.عبد الله ركيبي – تطور النثر الجزائري – ص160.

[3] – د.واسيني الأعرج – اتجاهات الرواية العربية في الجزائر – ص61.

أوضح ما تكون فيما عالجه من وسائل الأدب لتلاميذه ولا سيما في دراسته للكامل والأمالي وغيرهما "[1]، وما كان ينشره في الشهاب من محاولات نقدية لبعض الأدباء من أمثال رمضان حمود الذي نشر مقالا[2] يرى فيه أنه " من واجب الأدباء الشباب أن يفهموا أسرار اللغة فهما جديدا وأن يحاولوا تطوير هذه اللغة بحيث تتجاوز الماضي وتصبح لغة المستقبل "[3]، كما يدعو في مقال آخر إلى تبسيط لغة الشعر حتى يفهمها العامة وتحاشي اللغة الصعبة والكلمات المعقدة بل وينفي الشاعرية عن كل شاعر يميل إلى هذه الأساليب المعقدة واللغة الصعبة على الأفهام فيقول : " لا يسمى الشاعر شاعرا عندي إلا إذا خاطب الناس باللغة التي يفهمونها بحيث تنزل على قلوبهم نزول ندى الصباح على الزهرة الباسمة، لا أن يكلمونا في القرن العشرين بلغة أمرئ القيس وطرفة والمهلهل الجاهليين "[4] . كان هذا مما مهد لحركة النقد لتنمو وتطور أكثر على يد جمعية العلماء المسلمين حيث فتحت صفحات جرائدها لذلك وشجعت الأدباء والكتاب والمثقفين في الخوض في مثل هذا الفن والالتزام بقواعده ومناهجه وأسسه فيما يكتبون وينشرون ، ويتبلور هذا الاتجاه أكثر ويبرز عدد غير قليل من الأدباء والكتاب فيه بمساهماتهم والإدلاء بآرائهم حتى رأينا محاولات نقدية لتوجهات أدبية خارج المغرب العربي فهاجموا الاتجاه الحديث في النقد الأدبي بالمشرق مناصرة لدعاة التقليد والوحدة الإسلامية ، وكان من أحرأ هؤلاء و أكثرهم صراحة، محمد السعيد الزاهري [5] الذي هاجم طه حسين هجوما عنيفا واتهمه بالشذوذ و الزق و الشعوبية ، و استخدام الموضوعات و الأساليب التي يريدها الاستعمار"[6] و من المحاولات النقدية في السنوات الأولى للجمعية ما نشرته الشهاب حيث تشيد بعاطفة الشاعر عمر البسكري وباهتمامه بالمناسبات الوطنية ، في الوقت الذي تنبهه إلى قلة قراءته في كتب الأدب و الى تغليب اهتمامه بالفقه على اهتمامه بالأدب فتقول : " ولو أن الشيخ عمر أعطى كتب الأدب ودواوين الشعر من العناية مثل ما أعطى كتب فقه السنة لاستحكم سبكه وفحل شعره ، وجزلت تراكيبه، وإن مطالعاته الدينية التي تفتح لذهنه آفاق الإصلاح ، وتلهمه سداد الرأي و القول فيهما لمحتاجة إلى مدد من مطالعات أدبية تمكن لأسلوبه في الشعر، وتزيد طريقته في الكتابة متانة وقوة ، وأن عسى يتسع وقته لذلك "[7].

---

[1] - د.أبو القاسم سعد الله – دراسات في الأدب الجزائري الحديث - ص80 .

[2] - نشر المقال في الشهاب - العدد94 - السنة2 / أفريل 1927م.

[3] - د.محمد مصايف – النقد الأدبي الحديث في المغرب العربي - ص211.

[4] - الشهاب - السنة3 - العدد108 / أوت 1928م.

[5] - هاجم طه حسين في مقال نشر في الصراط - العدد4 / أكتوبر 1932م .

[6] - د.محمد مصايف – المرجع السابق - ص24

[7] - الشهاب - السنة14 - العدد42 / جوان جويلية 1938م

وبدأت معالم النقد الأدبي تتضح أكثر وتبرز أكثر مما كانت عليه من قبل ، على يد الشيخ البشير الإبراهيمي " الذي اتخذ من الصحافة – الشهاب و البصائر – مجالا لممارسة النقد ، وتقويم معظم ما ينشر من إبداعات بكلمات تقييمية صغيرة "[1] ، فإننا يمكن أن نعتبر " مقدمات الإبراهيمي لقصائد العيد في الشهاب و البصائر وفي المحافل ليست ديباجة معهودة ، و إنما ومضات نقدية موحية ، و هذه المقدمات الموجزة المكثفة المشحونة لو جمعت لجسدت فصلا رائعا في النقد الأدبي الجزائري الحديث "[2]، و الإبراهيمي بهذه الومضات يزن الكلمات و ينتقي الحروف و الألفاظ انتقاء الخبير العارف بأسرارها و أبعادها فكان صاحب الفضل والسبق في إرساء دعائم النقد الأدبي للمسيرة الشعرية لمحمد العيد و غيره من الشعراء و الكتاب في مختلف أطوار هذه التجربة. وقد كانت للإبراهيمي نظرته الخاصة في مجال النقد " وقد انعكست نظرة الإبراهيمي في أسلوبه في النقد فكان كثيرا ما يدرس الإنتاج الشعري من زاويته اللغوية ، ويقيمه بناءا على هذا التصور ، إلى حد جعله يعتبر التضلع في الأدب العربي القديم مقياسا يزن به الجيد و الرديء من شعر الشعراء ، ويعتبر تفوق هذا و إخفاق ذاك إنما يرجع أساسا إلى مقدار عنايتهم بالأدب العربي القديم و تشربهم له"[3] مثلما تجلى ذلك في تعليقه على قصائد كل من مبارك جلواح ، و عمر بن البسكري ، و السعيد الصالحي[4].

ومن خلال المحاولات النقدية لبعض معاصري الإبراهيمي في نماذج تنشر في البصائر التي اتخذها "ميدانا لقيادة الجيل الجديد في الأدب سواء بما كان ينشر من نماذج تثير الإعجاب، وتدعو إلى الاحتذاء ، أو فيما كانت تنشره الجريدة من شروط للأدباء والكتاب الذين يرغبون في المساهمة والتحرير "[5] .

ثم يعرف النقد الأدبي نظرة أدق ، ودراسة أعمق ، وتطورا أشمل ، ووضوحا أكثر من ذي قبل بعد الحرب العالمية الثانية على يد الشيخ البشير الإبراهيمي دائما ، والجيل الذي خرجه مع ابن باديس " فقد توجه هذا الجيل إلى نقد الشعر ، كما حاول أن يخلق بينه وبين الفن القصصي جسدا نقديا تمثل في إحازات بكوشة النقدية، وبعض محاولات أحمد رضا حوحو، وابن منصور، ومولود الطياب وغيرهم.."[6] وقد كان إلى جانب الإبراهيمي أحمد رضا حوحو الذي انتفع " بتجربته في الشرق العربي حيث التقى بالمنابع الأولى للثقافة العربية ووقف على أهم المشاكل التي تشغل بال الأدباء آنذاك والمعارك التي كانت تنشب بين حين وآخر ، لنصرة

---

[1] – د.واسيني الأعرج – اتجاهات الرواية العربية في الجزائر – ص61.

[2] – د. أبو القاسم سعد الله – محمد العيد خليفة – ص 20.

[3] – د. محمد ناصر – الشعر الجزائري الحديث – ص 48.

[4] – انظر ذلك في الشهاب – الجزء الرابع – المجلد 14 – سنة 1938م.

[5] – محمد الطمار – تاريخ الأدب الجزائري – ص360 –الشركة الوطنية للنشر و التوزيع – الجزائر – 1969م.

[6] – د.محمد مصايف – النقد الأدبي الحديث في المغرب العربي – ص53/60/162.

هذا الاتجاه أو ذاك "[1] وتجربته في المشرق وانتفاعه بها جعلته يقول : " لا نقل في شمالنا الإفريقي إلا أدبا عربيا مبينا، أخذ من الماضي متانته ومن الحاضر سلاسته وليذهب الرصيد الفني والشعورية الفارغة وقاقيع الأدب إلى الجحيم "[2] لهذا وجدنا حوحو " ثائرا على الأدب المائع والأسلوب الركيك يدعو إلى أدب عربي محكم البناء ، جزيل العبارة ، وكان يقول : أننا لا نرضى لأدبنا أن يذهب به هؤلاء الأدباء العصريون الذين لا يحسنون إلا شقشقة الألفاظ، ومضغ الكلام الضيق.

وقد كتب عنهم عدة مرات وأشار إليهم في كثير من مقالاته ومحاوراته النقدية وكان آخر ما كتب عنهم مقالا بعنوان [أين تذهبون بالأدب يا فقاقيع الأدب][3]، كما وردت عدة محاولات نقدية أخرى ، ومن المقالات النقدية في مجال القصة وجدنا ، " مقال الإبراهيمي [انتقاد وردة] ، ومقال [أدب القصة والعقاد] لعبد الرحمان رحماني ، ومقال [دراسات في القصة والمسرح] لمحمود تيمور ، وانتقاد التبوكي لقصة حوحو [أم القرى] ، وحوحو محللا وناقدا لمسرحية الصحراء لفرقة محمد الطاهر فضلاء "[4] .

كما وجدنا مواضيع أدبية أخذت من الأدباء والنقاد مجالا خصبا لإبداء آرائهم ، وأخذت وقتا طويلا من اهتمامهم واستمر النقاش حولها لفترة زمنية ليست بالقصيرة ، الشيء الذي حدث حول مقال [مالهم لا ينطقون ؟] حيث جرت معركة طويلة حوله " أسهم فيها أدباء ونقاد تلك الفترة ، وانقسم الرأي العام إلى فريقين : أحدهما يلوم الأدب والأدباء، والآخر يدافع عنهما ويحمل الظروف ما يعاني منه الأديب المنشئ والناقد معا .

وقد كان الفضل في هذه المعركة لصحيفة البصائر التي عادت بعد الحرب العالمية الثانية وأتاحت الفرصة للأدباء أن يعبروا عن إحساسهم اتجاه القضايا التي كانت تشغل الأدب ، ويمكن أن نعد هذه المرحلة هي مرحلة الشعور القوي الملح بضرورة الأدب والنقد "[5]

---

[1] - د.أبو القاسم سعد الله - دراسات في الأدب الجزائري الحديث - ص89.

[2] - نفس المرجع - ص92.

[3] - نفس المرجع - ص91.

[4] - د.عبد المالك مرتاض - فنون النثر الأدبي في الجزائر - ص106 - وقد وردت هذه المحاولات على الترتيب في :

- البصائر السلسلة الثانية - العدد 143 - السنة5 / فيفري 1953م
- البصائر السلسلة الثانية - العدد 70 - السنة2 / مارس 1949م
- البصائر السلسلة الثانية - العدد163 - السنة4 / جويلية 1951م
- البصائر السلسلة الثانية - العدد22 - السنة2 / فيفري 1948م
- البصائر السلسلة الثانية - العدد 239 - السنة6 / سبتمبر 1953م

1 - د.عبد الله ركيبي - تطور النثر الجزائري - ص253.

كما برز لون من النقد التعليمي الذي ارتبط بأدب المقالة خاصة ، و " كان يتمثل في تصحيح الأخطاء اللغوية والإملائية ونحوها ، كمقال حوحو بعنوان [هل استأهل كلمة فصيحة ؟] وكمقالة كتبها الإبراهيمي تحت عنوان [سؤال وجوابه] رد فيها على من أنكر لفظ بعلة مع أنه ثابت في العربية ، وقد اهتم الإبراهيمي في هذا المقال الأدباء الجزائريين بالكسل وقلة الإلمام حتى أنهم ارتابوا في هذه اللفظة التي كانت وردت في بعض مقالات الإبراهيمي ، هل هي فصيحة حقا ؟ ثم نصح لهم بإدمان القراءة المتأنية المتدبرة لكتب الأدب الحرة الأصلية والاستكثار من حفظ اللغات والأمثال ، ومعرفة مواردها ومضاربها "[1] ومن المقالات النقدية التعليمية " ما كتبه أبو يعلى الزواوي منتقدا فيه جميع الكتاب الجزائريين يومئذ ، ماعدا الإبراهيمي الذي استثناه ، باصطناع بعض الألفاظ غير السليمة : لغة وإملاء ونحو وعربية"[2].وهكذا وجدنا للاتجاه النقدي رواجا وتطورا عند الكتاب والأدباء في ظل جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، هذا النمو النقدي والتطور يبين مدى نضج الحركة الأدبية ورقيها في ظل الإنتاج الأدبي لجمعية العلماء ، وفي ظل ما فتحته من صفحات جرائدها لكل من لهم قدرة على الكتابة والمساهمة من الأدباء والشعراء والنقاد والمثقفين فتشكلت بذلك مع الزمن الأسس والقواعد لمدرسة النقد الجزائرية وبروز أهم خصائصها .

المطلب السادس : المسرح .

تنمو الثقافة العربية في الجزائر وتزدهر اللغة وتتطور شيئا فشيئا ، بفضل العمل الجاد الذي قدمته جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من خلال الأساليب والوسائل المتعددة التي استعملتها في ذلك، فكان من ثمرة ذلك التطور والنمو الثقافي ازدهار اللغة العربية وانجلاء الغبار عنها وعودة روح الحياة فيها من جديد، لتستأنف عملها وتواصل رسالتها في مختلف الميادين ، فاقتحمت أغلب المجالات التي كان منها المسرح حيث لعبت دورا بارزا و رائدا في ذلك .

هذا النوع من الفن الأدبي عملت فيه يد المبدعين والكتاب من أعضاء جمعية العلماء حتى أخرجوه إلى المجتمع قويا جليا، وأثروا به الحياة الأدبية ودفعوا به الحركة الثقافية الجزائرية إلى التشكل والرقي أكثر، وقدموا من خلاله خدمات جليلة إلى اللسان العربي واحيوا طرائق التعبير فيه ، وأساليب البيان ، وصور البلاغة ، وسلاسة الكلام..فرجعوا إلى سالف العصور الذهبية التي كانت تحياها اللغة العربية .

---

[1] - د.عبد المالك مرتاض – فنون النثر الأدبي في الجزائر- ص106/107 ومقال حوحو والإبراهيمي وردا في :

- البصائر السلسلة الثانية - العدد63 - السنة1 / جانفي 1947م

- البصائر السلسلة الثانية - العدد143 - السنة2 / فيفري 1950

[2] - نفس المرجع - ص107.

وهذا من خلال النصوص المسرحية المتعددة التي كانت تكتب وتخرج إلى الوجود بين الحين والآخر، ثم تحفظ وتمثل أمام الجماهير المتعطشة عن طريق فرق محترفة أو هاوية على خشبات المسرح أو في النوادي والمدارس والمراكز الكشفية .

ونحن لا نميل إلى رأي الدكتور محمد مصايف عندما يتحدث عن المسرح بقوله : " أما المسرحية فلم تظهر في الواقع إلا ظهورا باهتا ، وذلك في الإطار التربوي ، الأخلاقي : الاجتماعي ، الذي كان يعمل فيه أعضاء الجمعية "[1]. ربما كانت المواضيع التي عالجتها المسرحية يغلب عليها الطابع التربوي الاجتماعي والأخلاقي، لكن ظهورها لم يكن باهتا أو خافتا..فمع ملاحظة كونه – فن المسرح – نشأ في بيئة استعمارية، وبين طبقات اجتماعية يغلب عليها الجهل والأمية ، مع قلة الكتاب في هذا الفن إلا أنه يمكن القول : أن ظهوره كان قويا وبارزا، خاصة وأن المناسبات المتعددة وبشكل أخص الدينية منها ، لم تكن تمر دون أن تحييها الفرق المسرحية بتمثيليات ومسرحيات متعددة في المدارس العربية الحرة ، وفي النوادي الثقافية ، وفي مقرات الفرق الكشفية المتعددة ، نعم لم تكن هناك ربما فرق مسرحية محترفة ، لكن وجود الفرق الهاوية خاصة منها المدرسية، والكشفية سد ذلك الفراغ الذي تركه غياب الفرق المحترفة ، كما أنها مثلت الرافد اللغوي والفني لظهور المسرح والمحافظة على استمرار يته ودوامه .

وقد لعبت المدارس العربية الحرة دورا بارزا في ظهور المسرحيات وتمثيلها ، " فكان كل مدير مدرسة عربية ، أو أحد معلميها المستنيرين يكتب مسرحية يمثلها التلاميذ : إما بمناسبة انتهاء السنة الدراسية ، وإما بمناسبة عيد المولد النبوي ، وإما بمناسبة أخرى من نوع آخر ، ولكن المناسبة الثانية هي التي ظهرت فيها معظم المسرحيات الدينية "[2] . هذه المناسبات الاحتفالية كان يحضرها أولياء التلاميذ وغيرهم من عامة الشعب ينبهرون فيها لقدرة أبنائهم على التعبير باللغة العربية بكل سهولة ويسر، فيتأثرون أيما تأثير.

ويصف لنا ذلك الشيخ ابن عتيق وهو أحد أعضاء جمعية العلماء وأحد معلميها في مدينة برج بوعريريج فيقول عن أهلها : " وربما دعوتهم للمشاركة في الاحتفالات التي كنا نقيمها بمدرسة القلعة فيشاهدون تلاميذها يمثلون بلسان عربي مبين فيتأثرون بما يشاهدوا من مقدرة التلاميذ على الكلام بالعربية الفصحى وبراعة التمثيل "[3] . والحقيقة أن هذه المسرحيات التي كانت تمثل في المدارس من الكثرة " التي لا يمكن أن

---

[1] – د.محمد مصايف – النثر الجزائري الحديث – ص116 – المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر – 1983م.

[2] – د.عبد المالك مرتاض – فنون النثر الأدبي في الجزائر – ص199.

[3] – الشيخ ابن عتيق – أحداث ومواقف... ص96/97.

يحصرها باحث ، لأنها كانت تكتب ثم تمثل، ثم تهمل وتنس دون أن يحتفظ كتابها بنصوصها لتوهمهم أنها ليست ذات قيمة أدبية ، أو لعوامل أخرى قاهرة ، وتدرك من بعض المقالات التي كتبت وصفا لحفلات عيد المولد أن النصوص المسرحية في الجزائر، لو احتفظ بها أصحابها وجمعت لشكلت مجلدا ضخما جدا "[1].

و رغم هذا وجدنا من المهتمين بالمسرح ينشطون في هذا المجال كتابة و نشرا باللغة العربية الفصحى أو باللهجة العامية " فاخرجوا عدة مسرحيات عالمية مترجمة ، و وضعوا مسرحيات اجتماعية فكاهية وتربوية وتاريخية ...[2]

فكان " من المسرحيات التاريخية التي قدمها المسرح العربي في الجزائر رواية [بلال] الشعرية لمحمد العيد والتي مثلت في مناسبات عدة و في أماكن كثيرة خاصة في المدارس و النوادي . هذه المسرحية التي عدها الدارسون لتاريخ المسرح الجزائري الحديث باللغة العربية ، كما عدها النقاد " أول نواة شعرية استلهم فيها التاريخ العربي الإسلامي"[4] بل اعتبرها الدكتور أبو العيد دودو " نقطة تحول في تاريخ المسرح الجزائري لا لأنها أول عمل شعري متكامل في هذا المجال فحسب ، و إنما لأنها عبرت أيضا عن اتجاه جديد تجلى مضمونها التاريخي إلى جانب الناحية الدينية و التربوية "[5].

ثم مسرحية [حنبعل] لأحمد توفيق المدني ، وهي مسرحية تاريخية "رائدة في مجالها و موضوعها ، و محتواها في فترة غز فيها هذا اللون من المسرحيات الأدبية المكتوبة بلغة عربية فصحى راقية و جميلة "[6]. وهي الأخرى تم طبعها.

و لم يتم طبع هذين المسرحيتين فقط ، بل طبعت مسرحيات أخرى لكتاب آخرون عكس ما ذهب إليه الدكتور عبد الله ركيبي الذي يشير إلى أن المسرحيات التي طبعت هي فقط [بلال وحنبعل][7]. بل وجدنا مسرحيات أخرى طبعت كذلك منها " [المولد النبوي] مسرحية كتبها محمد العابد الجيلالي كتبت وطبعت بالجزائر سنة 1949م مثلتها فرقة محي الدين باستارزي "[8]، و مسرحية [الناشئة المهاجرة] مسرحية

---

[1] د.عبد المالك مرتاض – المرجع السابق – ص199/200

[2] – د.أبو القاسم سعد الله – محمد العيد آل خليفة – ص25

[3] – المرجع نفسه – ص25

[4] – د.عبد الله ركيبي – تطور النثر الجزائري – ص220

[5] – قول الدكتور أبو العيد دودو نقله ركيبي عن مجلة الفجر – الجزائر مايو 1969 ، و لم استطع الحصول على هذا العدد.

[6] – د.عبد الله ركيبي – المرجع السابق– ص223.

[7] – انفس المرجع – ص221

[8] – د.عبد المالك مرتاض – فنون النثر الأدبي في الجزائر – ص224.

كتبها محمد الصالح رمضان مثلت أول مرة بمدرسة دار الحديث بتلمسان في نهاية العقد الخامس ، أما طبعها فقد تم بنفس المدينة في سنة 1949م "[1].

كما أن هناك مسرحيات أخرى كتبت و نشرت في صحف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين خاصة منها البصائر ، و أهم تلك المسرحيات التي نشرت " [مضار الحشيش] لمحمد العابد الجيلالي ، و قد ذكر الدكتور عبد المالك مرتاض أن الأستاذ محمد الصالح رمضان أخبره أنها كتبت قبل الحرب العالمية الثانية "[2]. و مسرحية [شبان اليوم][3]، و [الواجب][4] لمحي الدين باشتارزي ، و [طارق ابن زياد][5] لمحمد الصالح ابن عتيق ، و [امرأة الأب] لأحمد بن ذياب ، و [الأمر بأحكام الله] لنفس المؤلف ، و [الصراع بين الحق والباطل] لعلي مرحوم .. "[6] ، و كذلك " مسرحية [حليمة مرضع النبي][7] لمحمد الصالح رمضان "[8].

فمن خلال هذه المسرحيات التي نشرت و مثلت ، و من خلال ما لم يصل إلينا وهو الكثير الأعم ؛ يتضح لنا الاهتمام المتزايد لرجال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بالمسرحية – أو المسرح – واعتبارها فنا أدبيا يجب إحياؤه ليؤدي دوره في تحقيق أهداف الحركة الإصلاحية و لتعميم نشر اللغة العربية و خدمتها من حيث المعاني و الأساليب و أشكال التعبير وطرائق الوصف والبلاغة..و عليه يمكننا القول أن الحركة الإصلاحية ساهمت بشكل جلي في نشأة و ترعرع فن المسرح من حيث النصوص المكتوبة ، و من حيث الفرق الممثلة المجسدة للأدوار، ومن حيث الأساليب التعبيرية و طرائق التبليغ .

المطلب السابع : فـــن الخطـــابـــة .

قبل الحديث عن دور جمعية العلماء المسلمين في إبراز و تطوير الخطابة كفن أدبي يمكن أن نشير أولا إلى ما كانت عليه الخطابة قبل ذلك . فالدارس لفترة ما قبل ظهور الاتجاه الإصلاحي يجد أن الخطابة تدهورت بشكل مريع و أصابها الضعف القاتل و ذلك " لظروف تتصل بالحياة الأدبية و الفكرية و السياسية ، فقد هيمن الاستعمار على الواقع و أثر في مجرياته ، فكان تأثيره قويا على أداة الخطابة أي على اللغة العربية التي

---

[1] المرجع السابق – ص226.

[2] – نفس المرجع – ص201 – حاشية رقم541

[3] – نشرت في الشهاب – الجزء 1 – المجلد14 / مارس 1938م

[4] – نشرت في البصائر الثانية – العدد147 / مارس1951م.

[5] – نشرت في البصائر الثانية – العدد24 / فيفري 1948م

[6] – د.عبد المالك مرتاض – فنون النثر الأدبي في الجزائر – ص202/201

[7] – نشرت في البصائر الثانية – العدد24 /فيفري 1948م

[8] – د.عبد المالك مرتاض – المرجع السابق – ص229

ضعفت بل كادت تختفي من الحياة الأدبية و الثقافية "[1] بل يمكن القول أنها أحلك فترة عاشتها الخطابة ، خاصة و أنها اقتصرت على الجمعة و العيدين و انحصرت في دائرة ضيقة و ضعيفة في أركان " المساجد والزوايا ، و باتت تقليدا لعصور الانحطاط بل أشد ضعفا "[2] و إذا نظرنا إلى القائمين عليها وجدنا كل الأوصاف تنطبق عليهم إلا وصف خطيب ، فهم عبارة عن نسخة واحدة مكررة ، يكثرون من السجع و لا يعتمدون على الارتجال ، و يعتمدون على ورقة صفراء أو ديوان محنط أتى عليه الدهر بكلكله " يرددون ما كتب بلا فهم ، لأن ثقافتهم ضحلة و تعليمهم بسيط"[3]. و كانت المواضيع الملقاة بعيدة كل البعد عن واقع المجتمع و الحياة ، و بعيدة عن التغيرات التي حدثت للمجتمع و العلل و الأمراض التي انتشرت بين أفراده وطبقاته ، و بعيدة عن الظروف البسيطة التي يعيشها و يحياها هؤلاء الأفراد .

أما عن أسلوبها فحدث و لا حرج " فإذا كانت الخطابة تعتمد على الملكة و وفرة الأسلوب ، و روعة البيان فقد عدم كل ذلك "[4] فلا يرقى إلى الأساليب الأدبية إطلاقا لضحالته و غثاثته و عدم تماسك أجزائه وركاكة لغته... و بذلك كانت عائقا أمام تطور الخطابة و ازدهارها بين فنون النثر الأدبية بل " و أسهمت في الإبقاء على الجمود الفكري و الأدبي و الديني و ساعدت بشكل أو بآخر على بقاء الخرافة والوهم الخوف من العدو بما أشاعته بين الناس من روح التواكل و طلب الراحة و الأمن بأي ثمن "[5] خاصة و أن الاستعمار هو الذي أصبح يشرف على معظم المساجد و استولى على الأوقاف و أذاع الجهل و نشر الفرنسة و التغريب ، كل ذلك جعل الخطابة و كأنها غير موجودة إطلاقا .

و لكن بعد ظهور الاتجاه الإصلاحي خاصة بعد أن نشأت جمعية العلماء المسلمين و عملت على مد الجسور إلى الماضي المجيد ، و نحو البلدان العربية خاصة منها المشرقية ، وأسست النوادي و انتشر التعليم في المدارس والمساجد الحرة ، وانتشرت الجمعيات الثقافية والفرق الكشفية ، وانتشرت الصحافة و تعددت ...فازدهرت الثقافة و نمت ، و ازداد الوعي " وانتشرت الأفكار، وهبت الأمة تطالب بحقوقها و تذود عن مجدها ، وكان الأثر أبلغ الأثر في إنهاض الخطابة.."[6] في مظهر جديد و صورة مختلفة "في أسلوبها و مضمونها وموضوعها. وكان لابد أن تنشط الخطابة في جو يمتاز بالحركة و الصراع ، والدعوة إلى فكر جديد يستمد ضالته من

---

[1] - د.عبد الله ركيبي – تطور النثر الجزائري – ص21.

[2] - نفس المرجع – ص 21.

[3] - نفس المرجع - ص21.

[4] - محمد كامل الفقي - الأزهر و أثره في النهضة الحديثة – الجزء الأول - ص196.

[5] - عبد الله ركيبي – المرجع السابق – ص22.

[6] - د.محمد كامل الفقي – المرجع السابق - ص196/197.

عصور الخطابة العربية الذهبية ، و يعتمد على الفصاحة العربية و البيان العربي ، و قد ظهرت جمعية العلمـــاء المسلمين في مرحلة كانت تحتاج إلى خطباء فصحاء يدعون إلى أفكارها و ينشروها بين الناس ، ذلك أن بـــث الفكرة الإصلاحية تتطلب قدرة على الإقناع ، واتصالا مباشرا بالجماهير في شتى أنحاء الوطـــن ، فكـــانت الخطابة أداة صالحة لإذاعة هذه الأفكار و استنهاض الهمم "[1].

و أن الدارس لفترة ظهور جمعية العلماء يجد أنها امتازت فيها الخطابة بالنمو و الازدهار و التطـــور بشـــكل ملفت للانتباه حيث انه لو جمعت الخطب التي كتبت أو ألقيت ، لكونت سفرا عظيما لكثرتها و تنوعها كما أنها مع كثرتها " تطورت كثيرا في أسلوبها و محتواها ، و أصبحت فنا يعتمد على الموهبة و الثقافـــة و علـــى الارتجال ، كما يدل أيضا على عناية المصلحين بهذا الفن "[2]. و لقد برز جمع كثير من أعضاء جمعية العلمـــاء و مشايخها في مجال الخطابة غير انه يتقدمهم ، " الذين اشتهروا بالفصاحة و البيان ، الشيخ عبد الحميد ابـــن باديس ، و البشير الإبراهيمي ، و الطيب العقبي ، و أحمد توفيق المدني ..."[3] هؤلاء الذين يعدون مـــن روا هذا الفن من غير منافس ، و الذين بقيت آثارهم تدل على ذلك مما نشرته صحـــف الجمعيـــة كالشـــهاب والبصائر والسنة والشريعة ... وما كتاب [سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين] الـــذي دونـــه الشيخ البشير الإبراهيمي إلا خطبا ألقيت في مؤتمر سنة 1934م جمعت و دونت في ذلك السجل .

ولكن يبقى الشيخ عبد الحميد بن باديس متفردا في هذا الفن و متفوقا على أقرانه و معاصريه فهو أخطـــب الناس في الجزائر على عهده شهد له بذلك معاصروه جميعا من الأعداء و الأصدقاء ، ويشهد له بذلك أيضـــا ما هو بين أيدينا من آثاره الخطابية . يقول الدكتور عبد المالك مرتاض عن ذلك : " و أحسب أن ابن بـــاديس لم يبرز في ناحية أدبية تبريزه في الخطابة التي يجب أن يكون أخطب الخطباء في النصف الأول من هذا القـــرن في الجزائر . فقد كان فارسها المعلم ، وزعيمها المقدم ، وقائدها البارع في الاستحواذ على قلوب المحظـــوظين فيهم بما أوتي من مواهب عالية في إثارة المشاعر وإيقاظ العواطف ، و تهييج القلوب "[4].

و يعتبر ابن باديس أحد الذين بعثوا هذا الفن الأدبي الجميل الذي كان قد اضمحل و ضعف بضعف العربيـــة في الجزائر . فأصبحت الخطابة في الجزائر على ذلك العهد من الفنون المزدهرة الذائعة . فقد تفوق في هذا الفن بما أوتي من موهبة وبما حفظ من الآثار الأدبية الكثيرة قديمها وحديثها، مما جعله يتأثر بخطاحل الخطباء العرب

---

[1] – د.عبد الله ركيبي – الخطابة في النثر الجزائري – الأصالة – العدد25 – ص55

[2] د.عبد الله ركيبي – تطور النثر الجزائري – ص23.

[3] – نفس المرجع – ص23.

[4] – د. عبد المالك مرتاض – نهضة الأدب العربي في الجزائر – ص 63.

الأقدمين فجاءت بذلك خطبه مثالا عاليا من أمثلة البيان العربي الأصيل و البلاغة العربية الراقية ، فكان بذلك أسلوبه من " السهل الممتنع يمتاز بعذوبة و خفة تجعله لا يبحث عن الكلمات بل إنها تنساب في يسر و سهولة على سن يراعه ، و هذه المزايا نتاج لما استوعبته قريحته من أمهات كتب التراث التي درسها أو درسها : ككتاب الامالي ، و ديوان الحماسة ، و ديوان المتنبي ، و دلائل الإعجاز ، و أسرار البلاغة ، ونهاية الأرب ، و العواصم من القواصم ، و الموطأ ، و غيرها "[1].

وهكذا استطاع ابن باديس أن يؤثر في مثقفي عصره و خطبائه " فكان الإبراهيمي من بعده أخطب الخطباء في الجزائر ، وقد عم هذا التيار فقد كان المعلمون – إن صح هذا التعبير – يحاولوا أن يقلدوا مثل هؤلاء الفحول ، كما كان تلاميذ معهد ابن باديس ذوي موهبة خاصة في ارتجال الكلام "[2]

و لقد اهتم أعضاء الجمعية بالخطابة أيما اهتمام و عمدوا إلى تنشيطها و تطويرها و النهوض بها بكل الوسائل و الأساليب المتاحة ففيها اجتمع " رجال ملكوا ناصية العربية فانفثوا أساليب التعبير فيها ، و صمموا على أن يحيوا اللغة العربية في الجزائر ، و أن يعيدوا لها مجدها ، فجعلوا الخطابة جزءا هاما في برامج تعليمهم و أولوها عناية كبرى في اجتماعاتهم و لقاءاتهم بالشعب "[3] ويتجلى اهتمام رجال الجمعية بالخطابة في ذلك القرار الذي اتخذه المؤتمر السنوي لهم عام 1934م حين اتفقوا على " أن يخصص يوم كامل في آخر الاجتماع للخطب ... وفتح هذا الباب لكل مستعد من الحاضرين بشرط أن تكون الخطبة مكتوبة قابلة للنشر غير خارجة عن دائرة الأدب و العلم و الدين "[4] فكان فعلا ذلك المؤتمر و غيره لاحقا، سوقا للأدب و البلاغة والبيان ، فكان كل منهم إذا وقف خطيبا " أغلب ما تجده لا يتلكأ ، و لا يتلعثم ، ولا يعيد قولا ، ولا يكرر جملة ، أو يمسح عثنونا ، رصين الأداء ، بليغ الحجة ، سليم العبارة ، محكم الدليل ، يزين خطابه ذر من كتاب مبين، و يشرق في حديثه أدب نبوي رفيع ، و يلمع في جنباته روائع من أدب العرب و شعرهم من طول ما أخذ به التروي ، و ما ذخرت به ذاكرته من الآثار "[5].

و كان مما ذكره الزاهري معلقا على ذلك الاجتماع و ما ألقي فيه من خطب ، خاصة خطبة الشيخين ابن باديس و الإبراهيمي ، فيقول عن الأول : " ثم قام الأستاذ الرئيس – ابن باديس – مرة أخرى و عرض

---

[1] – عبد الرحمن شلواوي – ابن باديس مفسرا – ص 51/50.

[2] – د. عبد المالك مرتاض – المرجع السابق – ص 75.

[3] – محمد مهداوي – الإبراهيمي نضاله وأدبه – ص148.

[4] – البشير الإبراهيمي – سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين – ص4

[5] – د.محمد كامل الفقي – الأزهر وأثره في النهضة الحديثة – الجزء الأول – ص202

على الناس الحالة الأدبية للجمعية في خطاب استثار الحماسة و الحمية في النفوس و النخوة في الرؤوس ، أسال من العيون الدموع و العبرات ، و كان خطابا محكما وجيزا ، و كان آية من آيات البيان ..."[1]

و يقول عن الثاني : " فأبدع كل الإبداع و أتى بالعجب العجاب .. و كانت خطبته ميدانا للفصاحة وسحر البيان "[2] ثم يستنتج بعد هذه التعليقات : " و لقد شاهدنا أن الخطابة قد تقدمت تقدما محسوسا بسبل تقدما عظيما "[3].

و من مظاهر العناية بالخطابة و الاهتمام بها ما كانت تنقله صحف الجمعية خاصة منها الشهاب والبصائر من خطب لرجالها لتعيد نشرها من جديد و يطلع عليها عدد كبير من القراء " فقد نقلت عدة خطب للإبراهيمي ، و ابن باديس ، محمد و بلقاسم بن الحنفي ، و سعيد الباي ، و مصطفى حلوس ، بل للنساء أيضا مثل خطبة لفتاة تدعى فاطمة الزهراء نجار ، و فتاة تدعى سليمة صالحي .."[4] كما انتقلت العناية بالخطابة من نشر الخطب إلى كتابة بعض الدراسات و المواضيع عن الخطابة كفن أدبي ونثري يجب معرفة أركانه ودراسة أساليب التعبير فيه و طرق الإلقاء و مواضيع التأثير و غير ذلك فقد كتب احمد بن ذيبان مقالا مطولا عن تمكن الإبراهيمي و براعته في مجال الخطابة بعنوان [الخطابة و الشيخ الإبراهيمي][5] كما كتب باعزيز بن عمر مقالا آخر حول [الخطابة الدينية وضرورة تطورها][6] وكتب فرحات الدراجي مقالا : [الإبراهيمي الخطيب][7]، و أبو بكر بلقاسم مقالا [الإبراهيمي خطيبا][8]، وغيرها من المقالات التي تطرقت إلى جوانب من الخطابة أو الخطباء بالدراسة والتحليل .

و من المظاهر الملفتة للنظر في اهتمام الجمعية بالخطابة ما كان يقوم به الشيخ عبد الحميد ابن باديس – رحمه الله – مع تلاميذه من مران ومراس و تعلم على ارتجال القول و مواجهة الجماهير . " حيث كان الشيخ يدرب تلاميذه على الخطابة و الكتابة و ينشر ما يكتبه بعضهم تشجيعا لهم ، ففي ليلة يوم العطلة يجتمع الطلبة ليتباروا في إلقاء الأشعار و الكلمات المكتوبة و المرتجلة ، و كل يريد أن يتفوق فيما يأتي به من قول

---

[1] – الشهاب – المجلد10 – الجزء التاسع – أوت 1934م

[2] – نفس المصدر.

[3] – نفس المصدر .

[4] – د. عبد المالك مرتاض – فنون النثر الأدبي في الجزائر – ص 425

[5] – البصائر السلسلة الثانية – العدد 14 – السنة الأولى / نوفمبر1947 م.

[6] – البصائر السلسلة الثانية – العدد 12 – السنة الأولى / أكتوبر 1947م.

[7] – البصائر السلسلة الثانية – العدد 84 – السنة الثانية / جوان 1949م.

[8] – البصائر السلسلة الثانية – العدد 85 – السنة الثانية / جويلية 1949م.

نثرا أو شعرا . و قد برز بعضهم فعلا في هذا المضمار ، و ظهر منهم الكاتب المبدع ، و الشاعر المجيد والخطيب البليغ "[1].

بل إن جميع مدارس جمعية علماء كانت تعنى بهذا الفن، وتدريب الطلبة عليه ، خاصة معهد عبد الحميد ابن باديس ، الذي أنشأت به جمعية أدبية لتمرين الطلبة على كتابة و ارتجال الخطابة و ذلك من خلال " تنظيم ملتقيات يتبارى فيها الخطباء من التلاميذ و يتمرنون على الكلام و ارتجاله في المواقف العامة ، و المقامات الحافلة ، و قد كانت تدعى هذه الهيئة [اللجنة الخطابية] و كان يرأسها الأستاذ محمد شيوخ بمعهد عبد الحميد بن باديس بقسنطينة ، و كانت لجنة أخرى تتفرع عن هذه و مهمتها تصحيح كلمات الطلاب ، وتوضيح المناهج القويمة للخطابة الرفيعة "[2].

كما أن المعهد كانت " تتعطل فيه الدراسة طوال شهر رمضان ليتفرغ أساتذته للوعظ و الإرشاد و التجوال في مختلف أصقاع الجزائر "[3] و كان هؤلاء الخطباء يحتذون في ذلك حذو الشيخ ابن باديس و الشيخ الإبراهيمي في سلامة الأسلوب و ديباجة الكلام و زخرفة القول و ارتجال الكلام و رباطة الجأش ، و جهارة الصوت و مراعاة مقتضى الحال .. مما أتاح لهم " طول المراس ، و اعتياد القول و معاطاة الحوار و الوعظ والجدل : رصانة في الأسلوب ، و دقة في التعبير و سمو في البيان ، و طلاقة في اللسان و فيض في الخواطر ، وتدفق في المشاعر ، و اقتدار على المباغتة و المفاجأة ، و إلك لتستمع إلى خطبائهم البارعين فيخيل إليك انك تسمع في البادية عربها الفصحاء ، و مقاويلها البلغاء ، و يفتنك من هؤلاء مطاوعة اللغة لهم ، و مساعفة البيان لتصرفهم و جرى التعبير على أسلافهم ، يخطبون فيتسابقون ، و يرتجلون فيتنافسون ،و الخطيب منهم هو الذي تنعقد له الزعامة ، و يرفع له لواؤها .."[4]

و مما زاد الخطابة نموا و تطورا و أتاح لها و لأصحابها المران و الجودة أكثر ، هو ذلك التعدد الفكري والسياسي و الحوار و النقاش و الجدل القائم ، الأمر الذي أدى إلى " قيام الصراع الفكري على أشده في هذه الفترة بين الطبقات المثقفة المختلفة الاتجاهات الفكرية ، و كان هذا الصراع الفكري الحاد مما أدى إلى إخصاب الخطابة و تنشيطها "[5] .

---

[1] - علي مرحوم – لمحات من حياة الشيخ ابن باديس – الأصالة – العدد 24 – ص 99 .

[2] - د. عبد المالك مرتاض – فنون النثر الأدبي في الجزائر – ص 280.

[3] - نفس المرجع – ص 280.

[4] - محمد كامل الفقي – الأزهر وأثره في النهضة الحديثة – الجزء الأول – ص 201 .

[5] - د. عبد المالك مرتاض – المرجع السابق – ص 280

المواضيـــع التي عالجتهـــا الخطابـــة :

و خاضت الخطبة و الخطباء في جوانب متعددة و مختلفة ، حسب قضايـــا المجتمـــع و اهتمامـــات الجمعيـــة وأهدافها . فقد عالجت القضايا الوطنية و القومية ، وعالجت الأمراض الاجتماعية . كما تناولت القضايـــا السياسية و الفكرية ، و كان اهتمامها أكثر بالقضايا الدينية و الأدبية و العلمية ، فوجدنا بذلـــك الخطبـــة الاجتماعية والخطبة السياسية و الخطبة الدينية و الخطبة الأدبية وغيرها .. و كان الحديث عـــن الاندمـــاج وعن الفرنسة و عن العربية و العروبة ، و عن المرأة ، و عن التعليم ، و عن الأمية ... و يتجلـــى هـــذا في خطب الشيخ عبد الحميد بن باديس ، و خطب الشيخ الإبراهيمي ، و خطب الطيب العقبي ، و خطب أحمد توفيق المدني و غيرهم من الخطباء المصاقع للجمعية.

أسلوبهـــا:

اعتمد أسلوب الخطابة عند رجال الاتجاه الإصلاحي أساسا على التراث الثقافي العربي الإسلامي ، و تأثروا به أيما تأثير ، غير أن " الخطابة في النثر الجزائري الحديث إذا كانت قد أستندت على التراث العربي القديم و تأثرت بالأساليب العريقة فيه حيث استخدم أصحابها السجع أحيانا و استشهدوا بالقرءان أو الحديث أو الشـــعر إلا أنها اختلفت من حيث المحتوى و الموضوع من جهة ، و تحررت من الزخرف اللفظي و مالت إلى الوضـــوح والبيان العربي الأصيل من جهة أخرى ، فأعادت بذلك للأســـلوب العـــربي مكانتـــه في الأدب الجزائـــري الحديث."[1] و من هنا تحرر هذا الفن من التكلف في الأسلوب ، و هذبت عبارته ، و ارتقت لغته..

و كانت أرقى الأساليب تلك التي اعتمدها الشيخ عبد الحميد بن باديس و الشيخ الإبراهيمي الذين كانا محل اقتداء و تأثير في كل خطباء عصرهم . فقد كان أسلوب " الشيخ عبد الحميد بن باديس يمتـــاز بـــالوضوح والدقة و اختيار الألفاظ ، و تفصيل القول و لكنه استخدم السجع في أحيان قليلة ، و يكون عفو الخاطر لا يقصد إليه قصدا و خاصة في بدايات بعض خطبه "[2] و يأتي بعده الإبراهيمي الذي فاق الجميع و جاء بمـــا لم يجيء به أحد ، فهو يقف في مقدمة " الخطباء البلغاء ، قد ملك ناصية القول ، و استوعب البيان العـــربي ، وتبحر في اللغة العربية و آدابها ، و امتاز بالقدرة على توليد الكلام ، و امتاز بالموهبـــة الأدبيـــة و عـــرف بالارتجال .. و كان يميل إلى الجزالة و الفخامة و يعني بأساليب البلاغة العربية ، من جناس و طباق و توريـــة وتشبيه و استعارة .. و ما إلى ذلك من أنواع البديع و البيان ، فهو من هذه الجهة ينتمي إلى مدرسة البلغاء

---

[1] - د. عبد الله ركيبي – تطور النثر الجزائري الحديث – ص 35.

[2] - نفس المرجع – ص 28.

العرب و كتابهم و خطبائهم المشهورين ، بالقدرة على توليد المعاني و الاحتفال الذي يأتي عفـــو الخـــاطرة ويقصد لذاته أحيانا "[1] و غيرهما من الخطباء البلغاء من رجال الجمعية أصحاب الأساليب الراقية و الـــتي صنعت لنا " نماذج رفيعة في أسلوبها ، و وضعها مساوقة للغرض الذي يتطلبها ، يلقيها الخطيب مرتجلة يستفيد الناس و قلما يعتمد في إلقائها على ورقة ... إنما هي معالجة للأحداث ، و تناول لمختلف الشؤون ، و تعليق على ما يشغل المجتمع و يهمه ، على ضوء الدين و الخلق الكريم ..."[2] .

و هذه الأساليب و أنواع القول فيها استطاعت الخطابة أن تلعب " دورا هاما سواء فيما يتصل بالقضايا الاجتماعية و السياسية للشعب ، أو فيما يتعلق بالناحية الأدبية و الثقافية ، و بذلك ملأت فراغا كبـــيرا في الأدب و النثر بصورة خاصة ، و أسهمت في تطوير اللغة العربية و الإبقاء عليها و على مرونتها ، كما أنهـــا أسهمت في نشر الأفكار والمبادئ و الأهداف التي آمن بها الشعب و ضحى من أجلها "[3] و عملت كذلـــك على إحياء التراث و الارتباط بالماضي المزدهر و الامتداد نحو المشرق أين العرب و العروبة للحفـــاظ علـــى شخصية الإنسان الجزائري التي اكتسبها منذ قرون طويلة .

المطلب الثامن : أدب الرحلة .

و أدب الرحلة ، أو أدب المذكرات من خلال الرحلات و الجولات المتنوعة من الفنـــون القديمـــة في الأدب العربي ، أسهمت الجمعية من جديد و بصورة جديدة و مختلفة و هذا من خلال الرحلات " التي قـــام بهـــا في الغالب رجال الحركة الإصلاحية من علماء و أدباء ، اتجه بعضها إلى داخل الوطن بهـــدف بـــث الفكـــرة الإصلاحية و نشرها بين جماهير الشعب و دعوتهم إلى اليقظة و النهوض ، كما اتجه بعض منها الى المشـــرق العربي ، و بعض الآخر إلى أوروبا والاتحاد السوفياتي . وكان الهدف أيضا خدمة الشعب الجزائري بالتعريف بقضيته من جهة و بنقل مشاهدات تفيده من قريب أو بعيد من جهة ثانيـــة .."[4] و تعـــددت الرحـــلات وتنوعت ، و تعده معها الكتاب و الأدباء الذين عالجوها و " بعد ابن باديس و البشير الإبراهيمي ، و أحمـــد رضا حوحو و الفسيري أبرز رحالة جمعية العلماء ..

فالأول كانت رحلاته و تنقلاته داخل الوطن ، و كان هدفه من هـــذه التنقـــلات بالاضافـــة إلى العمـــل الإصلاحي هو الاطلاع على ما يفكر فيه المسلمون الجزائريون و على مدى احترامهم للعلم و رجاله "[1] كما

---

[1] - المرجع السابق – ص 31/30/29.

[2] - محمد كامل الفقي – الأزهر و أثره في النهضة الحديثة – الجزء الأول – ص 213.

[3] - د. عبد الله ركيبي – الخطابة في النثر الجزائري – الأصالة – العدد 25 – ص 66 .

[4] - د. عبد الله ركيبي – تطور النثر الجزائري – ص 66.

أن ابن باديس بعد " أول من عالج أدب الرحلة في صورة مذكرات نشرها في مجلة الشهاب . و أهم ما كتب كان يتعلق بتجواله عبر بعض الأرجاء في الجزائر ، و قد كتب يوما مذكرات نشرها تحت عنوان [في بعض جهات الوطن] "[2] نستطيع أن نلاحظ ذلك في تلك الجولات المختلفة التي قام بها ابن باديس لعدد من المدن في القطر الجزائري و هو يسميها تنقلات . فيقول : " عرفتني تنقلاتي في بعض القرى ما في قلوب عامة المسلمين الجزائريين من تعظيم للعلم و انقياد لأهله إذا ذكروهم بحكمة و إخلاص "[3] إلى غير ذلك من أهداف هذه الرحلات أو التنقلات التي كان يشير إليها ، و هي من هذه الناحية كما قرر الدكتور ركيبي تمثل نوعا من الدعاية " لذلك اختلف أسلوبها باختلاف موضوعها و مضمونها فرأينا فيها ذلك السرد التسجيلي الذي يعتمد على المباشرة و التقرير لا على التصوير و الإيحاء "[4] .

و بالإظافة إلى ابن باديس الذي يعد رائدا في هذا المجال نجدد كذلك الشيخ البشير الإبراهيمي الذي هو الآخر " له رحلات كثيرة داخل الوطن و خارجه و لعل الكثير منها ما زال مخطوطا ، و يبدو من بعض ما نشر منها أن أسلوبه يمتاز إلى حد كبير بما عرف عنه بالصياغة و البيان و الجمال الأدبي و ما اطلعنا عليه منها يدل على خصوبة في هذه الرحلات إلانها متنوعة "[5] و متعددة ، و الهدف منها هو نفس ما ذكره ابن باديس من قبل .

و ممن اهتم بالرحلة و الكتابة عنها بأسلوب أدبي جميل و تصوير فني مشوق محمد الزاهي الميلي الذي سجل رحلته إلى فرنسا في جريدة البصائر لسنة 1938 م و الذي عنونها [أربعون يوما في الطريق ، من باريس إلى قسنطينة ؛ باريس المحطة ، ليون سانت اتيان ، طولون ، مارسيليا ، البحر ، تونس "[6] وقد بلغ عدد حلقات هذه الرحلة في جريدة البصائر سبع حلقات طوال " و قد وردت في نهاية الحلقة السادسة تحت اسم المؤلف محمد الزاهي الميلي عبارة — تنبيه — و أمامها كتب سيطالع القارئ القصة مستقلة . هكذا جاء و بدون تعليق آخر يذكر . و هو تنبيه هام و يدل دلالة قاطعة على أن الأستاذ الشهيد محمد الزاهي كان يعتزم نشر رحلته

---

[1] – د.محمد مصايف –النثر الجزائري الحديث – ص 113.

[2] – د. عبد المالك مرتاض – فنون النثر الأدبي في الجزائر – ص 293.

[3] – د. عمار طالبي – ابن باديس حياته وآثاره – الجزء الرابع – ص 297.

[4] – د. عبد الله ركيبي – تطور النثر الجزائري ص 67.

[5] – نفس المرجع – ص 69.

[6] – البصائر السلسلة الأولى – العدد124 / جويلية 1938م

في كتاب مستقل ، و هو أمر لم يعثر له على أثر في حدود معلوماتنا إلى هذا اليوم "[1] و هي رحلة تنم عن ثقافة الرحل الواسعة و حسه الأدبي الرهيف و إبداعه الفني و دقة وصفه للمعالم في صور بلاغية و جمالية رائعة ، و التي يبدو من خلالها " في شكل المثقف المتفتح على ثقافة الآخر و الناقد البصير الذي استطاع كيف يستفيد من المظاهر الحضارية التي كانت تعج بها فرنسا و باريس على وجه التحديد "[2] .

و يأتي بعد ذلك محمد منصور الغيسري الذي سجل رحلته عام 1953م إلى المشرق العربي مع وفد من الكشافة الإسلامية الجزائرية إلى مصر ثم التوجه مع الشيخ البشير الإبراهيمي إلى الحج و بعض أقطار المشرق ، فقد كتبها في جريدة البصائر . و نشرت في عشرين حلقة و اختار لها عنوان [عدت من المشرق] و هو في كتابتها يبدي عناية لا بأس بها في مجال الأسلوب و الصياغة و البيان ، و الاهتمام بالجمال الأدبي و إبراز ثقافته الأدبية الواسعة " فهي مواقف كثيرة يستشهد بالشعر قديمه و حديثه مما ينبئ عن ثقافة عربية واسعة "[3] .

و يأتي بعد ذلك أحمد رضا حوحو ليسجل رحلة أخرى ذات أهمية بالغة و التي يبدو أنها استحوذت على ذهن الدكتور ركيبي حين تحدث عنها . و قد كانت هذه الرحلة إلى الاتحاد السوفياتي ، و قد كتبها و نشرها في جريدة [الشعلة][4] و قد عنونها [وراء الستار الحديدي] و التي جاءت وصفا و حديثا مغايرا لما تناوله من سبقه من الأدباء في هذا المجال ، بأسلوب أدبي جميل و جذاب ..

كما كتب آخرون في فن المذكرات أو الرحلات " منهم محمد بوزوزو و حمزة بوكوشة "[5] و هذا أحد رحال جمعية العلماء أدب الرحلات الذي يحتل حيزا معتبرا في التراث العربي الإسلامي خاصة منطقة المغرب العربي التي امتازت عن غيرها في هذا المجال فكانت لها المساهمات العديدة من ابن بطوطة و ابن جبير إلى ابن الفقون و الورتلاني . و قد كانت لتلك الكتابات مساهمات جادة في إحياء الأدب العربي خاصة ما اندثر منه، و تقديم خدمات جليلة للغة العربية و الأدب الجزائري رغم الحصار و التضحيات و العراقيل التي كانوا يعيشونها في ظل الاحتلال الغاشم .

---

[1] - د. عبد الله حمادي – دراسة بعنوان : الأديب الشهيد محمد الزاهي و رحلته من باريس إلى قسنطينة عام 1938م – قدمت إلى الملتقى الوطني الأول للكتاب الشهداء ، من تنظيم اتحاد الكتاب الجزائريين " ونشرت مجموع الدراسات في كتاب بعنوان : الأدباء الشهداء – ص 32 – منشورات المتحف الوطني للمجاهد – الجزائر – دون تاريخ .

[2] - نفس المرجع – ص 36.

[3] - د. عبد الله ركيبي – تطور النثر الجزائري ص 72.

[4] - وهي جريدة إصلاحية كانت تصدر بمدينة قسنطينة

[5] - د. عبد المالك مرتاض – فنون النثر الأدبي في الجزائر – ص 293.

المطلب التاسع : أدب الخلاف و الجدل [أو المناظرة] .

لم تكن جمعية العلماء المسلمين لترضي الاستعمار و أطرافا أخرى جزائرية و قفت في صف المستعمر ضد الجزائريين و ضد جمعيتهم و خاصة الطرقية المنحرفة التي باعت ضميرها للشيطان ، و نتب عن هذا العداء والتنافر صراع طويل الأمد و خلاف كبير من الجانبين ، غير انه كما " يقال فإن لكل شيء جانبا من الخير و جانبا من الشر نسبيا ، فإن هذه الحملة الخلافية كان في رأيي من حسناتها حدوث نوع من اليقظة نحو اللغة العربية و الأدب العربي و تحرك أقلام كانت جامدة ، و بداية وعي من نوع جديد نحو التعليم و التعلم ، وظهور تصور خاص في البحث عن التراث الإسلامي و العقيدة الإسلامية "[1] في خضم هذا الخلاف و هذا الصراع أتيح للأدب أن ينهض من جديد و يظهر ما يمكن أن نسميه فن الجدل أو أدب الجدل و الخلاف كما " أتيح للنثر العربي الحديث في الجزائر أن يفيد من هذا الصراع الحاد فائدة ما كانت لتقع له فيما ظل السكون الفكري قائما ، و الاتفاق في الرأي سائدا إن أجمل المقالات الأدبية و أنقاها أسلوبا ، و أحرهسا عاطفة ، وأقواها حجة، وأوضحها محجة نتجت عن هذا الصراع الفكري العنيف"[2] إضافة إلى هذا حدث بسبب هذا الخلاف و الجدال تطور في الفكر ، و انتشار للثقافة ، و تنوع للأساليب التعبيرية وتعدد مجالات الاستدلال، وقوة و تمكن في توظيف اللغة العربية و" تشعب ميدان الجدل و المناظرة الذي كان بسبب هذا لتطور أو سببا له ، وفي تيار هذه الأحداث ، انساق القلم لاستجلاء مختلف الأفكار التي تعطي القارئ فنونا يدير له ظلام تلك الفترة الحساسة "[3] .

و في هذا المجال برزت عدة مقالات و كتابات تجادل الطريقيين و تحاججهم خاصة جمعية علماء السنة التي كانت تمثلهم ، فكتب الشيخ عبد الحميد بن باديس عدة مقالات في ذلك يؤاخذهم فيها على مواقفهم الغير المشرفة ، كما كتب ضدهم الشيخ العربي التبسي في جريدة [السنة][4] هذا " ومما يمكن إدراجه في باب الصراع الفكري الذي أخصب المقالة الأدبية ، و مكن لها في النمو ثم الازدهار بعض ما كتب الإبراهيمي في عبد الحي الكتاني ، الذي كان كثير الإلمام بالجزائر ، شديد العطف على أهل الزوايا و رجال الطرق فيها ، حيث كان شديد المناوأة ، بادي الخصومة لحركة الإصلاح التي كان الإبراهيمي بعد وفاة ا بن باديس في سنة

---

[1] - عبد الرحمان العقون – الكفاح القومي و السياسي – الجزء الأول - ص 173.

[2] - د. عبد المالك مرتاض – المرجع السابق – ص 89.

[3] - عبد الرحمان العقون – الكفاح القومي و السياسي – الجزء الأول – ص 298.

[4] - انظر مثلا : السنة – العدد الثاني – أفريل 1933م.

أربعين قائدها المغوار و زعيمها الكبار "[1] كما كتب الإبراهيمي مثل ذلك حول مؤتمر الزوايا[2] . و تنوع الصراع والجدل " ووقع التباري في مجال الشعر ، مما كان يكتبه محمد العيد مسافحا عن جمعية العلماء "[3] و معارضا شاعر جمعية علماء السنة محمد الأكحل ، و غيره " و ما كتبه الطيب العقبي من شعر نقلته جريدة [الإصلاح] التي أصدرها هو ، و جريدة [الصراط] "[4] .

و كانت هذه المجادلات و المناظرات تنقلها صحف الجمعية في كثير من الأحيان كردود عما جاء في صحف الطرقيين و جمعية علماء السنة ، مثل جريدة [الجهيم] و [المعيار].. كما أن جريدة البصائر كانت تدعو إلى هذا النوع من الأدب و الجدل من خلال عنوان فيها [الدعوة إلى المناظرة][5] و كان يقف ابن باديس والإبراهيمي و العقبي و محمد العيد في الصف الأول للمنافحين و المدحضين لحجج خصومهم من الطرقيين وحلفائهم من خلال الردود التي ينشرونها في الصحف و المقالات التي يدبجون في ذلك " و مثل ذلك يقال أيضا في حمزة بوكوشة ، و مبارك الميلي، و فرحات بن دراجي "[6] .. و ما كتاب الشيخ مبارك الميلي البليغ [رسالة الشرك و مظاهره] إلا مظهر من مظاهر هذا الصراع و نتاج له .

و مما يمكن إدراجه أيضا في مجال أدب الجدال و المناظرة ما كان يكتبه ابن باديس ضد النواب الذين كانت لهم مواقف مشينة و مخزية من القضية الجزائرية في جميع أبعادها و مما كانت طرحته مجلات الجمعية من مواضيع ساخنة و مثيرة للنقاش و الجدال فيقع فيها الأخذ والرد " كما حدث للمقالة الأدبية التي نشرها عبد الوهاب بن منصور حول الركود الأدبي بعنوان [ما لهم لا يطقون][7] . فقد احتدم النقاش حول هذه المقالة واستمر شهورا طويلة، وأسال أقلاما كثيرة كانت من قبل جامدة و حرك نفوسا كثيرة كانت خامدة و بلور مفاهيم كانت غامضة "[8] .

و قد استمر النقاش حول هذه المقالة ما يقارب سنة كاملة أبدع فيها الكتاب في الردود و إيراد الحجج ،

---

[1] - د. عبد المالك مرتاض – فنون النثر الأدبي في الجزائر – ص 91/90.

ولقد ورد مقال الإبراهيمي عن الكتان في البصائر الثانية – العدد 33 – السنة الثانية – أفريل 1948م.

[2] - البصائر – العدد 31 – السنة الثانية – أفريل 1948م.

[3] - عبد الرحمان العقون – الكفاح القومي و السياسي – الجزء الأول – ص 263

[4] - نفس المصدر – ص 281.

[5] - البصائر السلسلة الأولى – سبتمبر 1939م.

[6] - د. عبد المالك مرتاض – المرجع السابق – ص 91.

[7] - نشرت في البصائر السلسلة الثانية – العدد 207 – السنة الخامسة – نوفمبر 1952م.

[8] - د. عبد المالك مرتاض – المرجع السابق – ص 88/80.

والرد على مخالفيهم .. مما اخرج إنتاجا أدبيا عزيزا ..

فكان من نتاج هذا الصراع الفكري نهضة أدبية راقية و إنتاج ثقافي خصب، و ظهرت الكتابات المحتلفة ذات النفس الطويل ، و الأسلوب الأنيق ، و التحليل المعلقي العميق ، و أحيت اللسان العربي المبين و طرائق التعبير المختلفة و أساليب البلاغة المتنوعة ، فقدم بذلك خدمة جليلة للأدب العربي و اللغة و الثقافة في الجزائر .

المطلب العاشر : الأدب الشعبي ـ التقليدي ـ .

قاومت الجزائر من أجل شخصيتها بشتى الوسائل والطرق، وعملت الجمعية على ذلك باستغلال شتى السبل للمحافظة على هذه الشخصية وتنمية الإحساس بها في الضمير الجمعي للمواطنين ليدافعوا عنها ويصونوها ويتمايزوا بها عن المستعمر وعن بقية الأمم الأخرى .

وكان الأدب الشعبي من بين هذه الوسائل للحفاظ على اللغة العربية – التي هي إحدى مقومات هذه الشخصية – والإبقاء على الروافد التي تزودها بالكلمات والألفاظ وتقربها من فهوم العوام من الناس ، كما أن الأدب الشعبي كان وسيلة مهمة في تقريب معاني اللغة العربية وتذوق بعض جمالياتها إلى الأميين من الناس والعوام منهم .

فكان أن انبرت فئة من الغيورين فعملت على جمع التراث الأدبي التقليدي أو الشعبي وخاصة منه الشعر الملحون ، وهذه الفئة إنما " فعلت ذلك بدافع قوي ، وشعور وطني ، أحست بضعف اللغة الفصحى ، وخافت على اللهجة الدارجة أن تتلاشى أو تضمحل أو تضعف هي الأخرى فعملت على تدوين بعض النصوص وطبعها "[1] ونشرها وتمكين الناس من الإطلاع عليها وقراءتها .

والمهتمون بالأدب التقليدي خاصة منهم شعراء الملحون كانوا يشكلون فئة لا بأس بها ، غير أن هذه الفئة لم تقم بدورها المنوط بها و لم تصبح تيارا واضحا إلا بعد أن تأسست جمعية العلماء المسلمين الجزائريين[2] ، ذلك أن الجمعية عرفت مكانة هذا النوع من الأدب والقائمين عليه ، ويتضح هذا الدور أكثر " في المحافظة على عروبة الفكر الشعبي ، وتمسكه بالدين الإسلامي ، وطوال قرن وزيادة من الاستعمار الفرنسي ظل الأدب الشعبي معتزا بجزائريته ، و لم يبهره بريق الحضارة الغربية، ولا خدعه سراب الثقافة الفرنسية ، مثلما لم يرهبه أسلوب الظلم و الإضطهاد ، و لم يفرق الأديب الشعبي بين أشكال الاحتلال ، وإنما كان موقفه شاملا لكل

---

[1] د.عبد الله ركيبي – الشعر الديني الجزائري الحديث - ص382 .

[2] – نفس المرجع – ص458 .

جوانب عملية الغزو ، حتى ما كان منها في صورة علم وحضارة.

وليس من المبالغة القول : بأن الأديب الشعبي قد صور بصدق وأمانة تاريخ الفكر الجزائري غير المكتوب، وهو يعكس بصورة واضحة وجها آخر من ملامح ثقافة وحضارة الشعب الجزائري "[1] وقد عرفت الجمعية للأدب الشعبي هذه المكانة وهذا الدور فأولته اهتماما وعناية وخاصة بعد أن صدرت جريدة [البصائر] [2] عقب الحرب العالمية الثانية فشجعت أصحاب هذا ا التوجه على الكتابة والنشر في هذه الجريدة وغيرهـا أو على تعاطي هذا النوع من الأدب مشافهة ونشره بين الناس للارتباط بالماضي المجيد والمحافظة على اللسان العربي ولو في لغته العامية وبذلك " انسحب الوعي الشعبي إلى الحكايات والشعر الملحون الفلكلوري لتمجيد الماضي "[3] والدعوة إلى المقاومة والتمايز والحفاظ على الهوية الوطنية .

والدارس للأدب الشعبي خاصة منه الشعر الملحون يسجل ملاحظة غاية في الأهمية وهي أن هذا الأدب يقترب من اللغة الفصحى بصورة كبيرة لكون " الشعر الملحون في معظمه تقليدا للقصيدة المعربة "[4]، والفرق بين الكلمات التي يستعملها والتي ترد في الفصحى " هو في الإعراب..إذ لم يراع الإعراب والقواعد اللغوية المعروفة "[5] وبما أنه " تقليد للشعر الرسمي فإنه استطاع أن يسهم في الإبقاء على القصيدة العربية ، بل على الكلمة ولو كانت عامية ، فحافظ على اللغة العربية ولو كانت ملحونة "[6] وهذا استطاع " الشعر الملحون موضوعا ومحتوى وأسلوبا سد فراغ كبير في نفوس العامة "[7] كما استطاع الشاعر منه أو القاص " أن يحافظ على عروبة وأصالة الفكر الشعبي ، وبالتالي حافظ على عروبة لسان الشعب الجزائري الذي تعرض إلى ثقافة غازية استهدفت لغته وثقافته القومية بالدرجة الأولى ومسخ شخصيته بأي وسيلة "[8].

ولا ينطبق هذا الأمر على الشعر الشعبي التقليدي فقط بل يعمم على الأقاصيص والحكايات والروايات الشعبية التي كانت تتداول بين العوام ، في أسواقهم وأعراسهم ومجالسهم ، من خلال أساليبهم الخاصة

---

[1] - الغلي بن الشيخ – دور الشعر الشعبي الجزائري في الثورة - ص95 .

[2] - الشعلة جريدة فكاهية جزائرية صدرت أواخر الأربعينيات ، وكانت تنشر قصائد بالعامية تهاجم فيها الطرق الصوفية والشعوذة والدجل باسم الدين ، وكانت تضم لفيفا من رجال الحركة الإصلاحية.

[3] - صالح عوض – معركة الإسلام والصليبية - ص218.

[4] - د.عبد الله ركيبي – الشعر الديني الجزائري الحديث ص363.

[5] - نفس المرجع– ص363.

[6] - نفس المرجع– ص556 .

[7] - نفس المرجع - ص556.

[8] - الغلي بن الشيخ – المرجع السابق - ص245/244

وخيالهم الخاص ، وتعابيرهم الخاصة كذلك..ويمكن النظر إلى هذه القصص والروايات الشعبية على أنها "لعبت دورا في الحفاظ على المثل والتقاليد العربية في البيئة الجزائرية، وأيضا حافظت على روح المقاومة ضد الاستعمار لدى الشعب الجزائري ، من جهة فإنها حافظت على اللغة العربية ولو في طبعة عامية أو متفاصحة، كما أبقت على الحس الأدبي لدى المتلقين لهذا اللون من الأدب "[1] من هنا لا يمكن لأحد أن ينكر ما للأدب الشعبي من مكانة ودور في " إرهاف الحس المبدع للشعر، وتنمية الخيال الخلاق للرواية ، وتربية الميول للأمثال المستمدة من تجارب الأيام "[2] والحفاظ على لغة الخطاب في كلماتها العربية وتقريب العامية من الفصحى للحيلولة دون ذوبان الشخصية وانمحائها ، وإعطائها طابعها التمايزي الذي اكتسبته عبر العصور .

المطلب الحادي عشر: الكتابة والتأليف .

وكان من أثر النهضة الثقافية والعلمية التي أحدثتها جمعية العلماء المسلمين بمختلف الوسائل التي أتينا على ذكرها سابقا ، أن وجد جيل بكامله من الكتاب والأدباء والمفكرين ، الذين أثروا الساحة الثقافية والأدبية في الجزائر في تلك المرحلة بكثير من الكتابات والتأليف في مختلف الفنون والعلوم ، وبدأت تظهر في الساحة الجزائرية بعض المؤلفات والكتب والدواوين الشعرية ، وانتشرت الثقافة بشكل ملحوظ مما أدى إلى ظهور اتجاه أدبي خالص " فإذا كتاب يكتبون في المقالات الأدبية ، والقصة ، والمسرحية ، بالإضافة إلى معالجة القصيدة الشعرية التي لم تعدم ازدهارا "[3] وظهرت كتابات في أدب الرحلة ، والجدل والحوار ، وتزدهر الخطابة وفن الإلقاء والمشافهة ، وكتابات كثيرة في علوم الدين والشريعة...وهذا كله في كتابات كثيرة وقوية ، في جرائد جزائرية ومشرقية ، مثل كتابات الزاهري وابن باديس والشيخ الإبراهيمي ، ومبارك الميلي، والطيب العقبي ، وأبي اليقظان ورضا حوحو، وتوفيق المدني ، وأحمد بن ذياب ، والربيع بوشامة ، ومحمد ابن العابد الجيلالي، ومحمد العيد آل خليفة ، وأحمد سحنون ، ونويوات الأحمدي ، وغيرهم...ممن خاضوا في مجالات كثيرة ومتنوعة في الثقافة العربية الإسلامية .

إضافة إلى هذه الكتابات النشيطة ، بدأت تظهر بعض المؤلفات ، علما أن مؤلفات أخرى ظهر قبل ذلك ولكنها قليلة جدا مثل ما كتبه محمد الهادي السنوسي عن الشعر الجزائري الحديث ، وما كتبه الميلي عن تاريخ الجزائر و " الواقع أن هذه الكتابات على اختلاف موضوعاتها، وتباين أساليبها ، وتعدد الغاية منها

---

[1] - د.عبد الله ركيبي – تطور النثر الجزائري - ص122 .

[2] - مصطفى الأشرف – الجزائر الأمة والمجتمع - ص435.

[3] - د.عبد المالك مرتاض - فنون النثر الأدبي في الجزائر - ص83 .

إنما كانت مرحلة تمهيدية ضرورية لظهور كتابات حديثة أكثر عمقا وأوضح موقفا وأشد صدقا "[1] والدارس لهذه المرحلة من تاريخ الحركة الثقافية والأدبية في الجزائر يلاحظ قلة التأليف في النصف الأول من القرن العشرين خاصة على يد رجال الحركة الإصلاحية وهذه القلة في التأليف " يمكن التعليل لها بأن القائمين على الثقافة العربية قد خصصوا كل إمكاناتهم للتعليم والتدريس والاتصال بالشعب عن طريق الكلمة المباشرة كالخطابة ونحوها، وتركوا مهمة الكتابة إلى الجيل الصاعد حيث يزداد الوعي انتشارا وبتكاثر عدد القراء "[2] ورغم هذا فقد رأينا ازدهارا لا بأس به في مجال حركة التأليف " فإذا كثيرا من الفنون الأدبية والعلمية تظهر في عالم الأدب والثقافة بالجزائر ، فيها تاريخ الأدب ، والتاريخ العام ، والجغرافية ، والقصة والمسرحة ، والدراسات الاجتماعية ، والدراسات الإصلاحية ، والدراسات الدينية ، وتفسير القرآن الكريم ، بالإضافة إلى الكتب المدرسية الكثيرة ، وبعض الدواوين الشعرية "[3].

والملاحظة في أغلب هذه التآليف سواء ما تعلق منها بالأدب أو اللغة أو العلوم الدينية والتاريخ أنها تلتزم الصدق في التصوير والبلاغة في التحرير من خلال أساليب لغوية راقية جدا وفي قالب أدبي جذاب والتزام تام بقواعد اللغة ومناهجها في الكتابة والتأليف، ويمكن أن نعطي على ذلك مثالا ، فالشيخ مبارك الميلي في رسالته [الشرك ومظاهره] التي ألفها وطبعت سنة 1997م رغم كونها دراسة في منهج أصول الدين والعقيدة إلا أننا نلاحظ أنه انتهج منهجا لغويا في كثير من مواضيع الدراسة وقد اعتمد في ذلك المنهج اللغوي على أن " يرجع فيه إلى أكابر علماء اللغة مثل الجوهري..والفيروز أبادي والزمخشري والعسكري والأصفهاني وغيرهم، وله تحليلات لغوية بديعة لمعظم المصطلحات التي يستعملها في كتابه، كالشرك، والعبادة، والصلاة، والتبرك ، والولاية ، والكرامة ، والكهانة، والسحر ، والدعاء.. ولا يكتفي مبارك الميلي بمجرد النقل بل يستشهد ويحلل ويوفق ويناقش ويعترض ويقترح الآراء السديدة في كل المواضيع اللغوية التي يخوض فيها، وكثيرا ما يستوحي هذه الآراء السديدة من بلاغة القرآن وفصاحة محمد صلى الله عليه وسلم "[4] وهو في كتابه كما يقول عنه الأستاذ حمزة بوكوشة وهو أحد أعضاء جمعية العلماء المسلمين يقول : "ولقد سمعت من أستاذنا الشيخ محمد البشير الإبراهيمي - رحمه الله - أن علماء الجزائر وأدباؤها لا يلتزمون بالمحافظة على

---

[1] - د.محمد ناصر – الشعر الجزائري الحديث - ص115.

[2] - د.أبو القاسم سعد الله – محمد العيد الخليفة - ص25.

[3] - د.عبد المالك مرتاض – فنون النثر الأدبي في الجزائر - ص83/84

[4] - د.عبد اللطيف عبادة – الشرك ومظاهره عند الشيخ مبارك الميلي وشيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية دراسة مقارنة مجلة الثقافة - السنة15 - العدد85 - ربيع الثاني/جمادى الأولى 1405هـ – يناير/فبراير 1985م - ص128.

استعمال فقه اللغة فيما يكتبون وحتى الأستاذ عبد الحميد بن باديس قد يتسامح أحيانا إلا الشيخ مبارك الميلي فإني تتبعته فوجدته محافظا على فقه اللغة فيما يكتبه ، وهذه شهادة من إمام أئمة اللغة ألا وهو محمد البشير الإبراهيمي ولا ينبئك مثل خبير "[1].

ونفس الشيء نلاحظه على مؤلف ابن باديس | مجالس التذكير | وهو في تفسير القرآن الكريم الذي حمد وطبعه سنة 1948م الأستاذ أحمد بوشمال بالمطبعة الإسلامية الجزائرية ، فرغم كونه يتناول موضوعا في الشريعة وعلوم القرآن إلا أنه جاء في سياق أدبي جميل ، حيث "حرص أن يكون أسلوبه في التفسير في قالب أدبي سائغ يستدعي متابعة القراء ، وينحي عن القارئ الملل "[2] ، هذا "ولا شك أن القارئ المتفحص - لمجالس التذكير- يلمس بوضوح مقدرة ابن باديس اللغوية التي تظهر في ثنايا تفسيره ويتأكد لديه أن للشيخ بصرا سديدا في اللغة، فهو يعرف مواضع الكلم ، ويدرك معاني المفردات ، وله فضلا على ذلك فهم دقيق في مطان استعمالها "[3]. " وكما هو الشأن عند غالبية المفسرين التقليديين فإن ابن باديس يعمد أحيانا إلى الاستشهاد بالفصيح لتوضيح معاني المفردات "[4] ، ويوضح ابن باديس نفسه المنهج الذي اتبعه في تفسير القرآن الكريم خاصة المنهج اللغوي فيقول عن ذلك : " وعمدتنا فيما نرجع إليه من كتب الأئمة تفسير ابن جرير الطبري الذي يمتاز بالتفاسير النقلية السلفية وبأسلوبه الترسلي البليغ في بيان معنى الآية القرآنية وترجيحها تبعا لأولى الأقوال عنده بالصواب ، وتفسير الكشاف الذي يمتاز بذوقه البياني وفي الأسلوب القرآني وتطبيقه فيما ورد البلاغة على آيات الكتاب والتنظير لها بكلام العرب، واستعمالها في أفانين الكلام ، وتفسير أبي حيان الأندلسي الذي يمتاز بتحقيقاته النحوية واللغوية وتوجيهه للقراءات ، وتفسير الرازي بمحوثه في العلوم الكونية مما يتعلق بالجماد والنبات والحيوان والإنسان ، وفي العلوم الكلامية ومقالات الفرق والمناظرة والحجاج في ذلك "[5] ، وكذا الأمر في كتاب مبارك الميلي في التاريخ وغير ذلك مما جاء في أسلوب أدبي رفيع سهل ممتنع يمتاز بالخفة وانسياب العبارات في يسر وسهولة مما يكون له وقعه على القارئ للكتاب .

ولعل هذا الاهتمام بالأسلوب في الكتابة والحرص على سلامة اللغة و دقة المعاني و اختيار الألفاظ و العبارات

---

[1] - حمزة بوكوشة - الأستاذ مبارك الميلي عالم حجة نظار - الثقافة - السنة 15 - العدد 88 - شوال/ ذو القعده 1405هـ - يوليو/أغسطس 1985م - ص120.

[2] - عبد الرحمان سلوادي - ابن باديس مفسرا - ص269 .

[3] - نفس المرجع- ص265.

[4] - نفس المرجع- ص 266.

[5] - الشيخ عبد الحميد بن باديس -مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير - ص49 - مطبوعات وزارة الشؤون الدينية بالجزائر - الطبعة الأولى دار البعث - قسنطينة -الجزائر -1402هـ -1982م.

و تحديد الغاية بدقة في قالب بلاغي و بياني جذاب ، لا يقصد منه فقط تحسين لغة التعبير عن المشاعر والخلجات النفسية و إيصال الأفكار إلى جمهور الناس من القراء و المستمعين ، بل كان الهدف الأسمى من وراء ذلك ما كان يريده أمتال الإبراهيمي فقد " كان بعث اللغة العربية في الجزائر هدفا من أهدافه الكبرى فكرا و تطبيقا ، شغله طوال حياته ، ولعل وراء اهتمام الإبراهيمي بأسلوبه و إسناده إلى لغة التراث في جميع كتاباته مزيد من الحرص على بعث اللغة العربية ، و مزيد من الحث على دراستها و تعلمها "[1] ، وهذا الحرص على بعث اللغة العربية كان هدف جميع الكتاب من رجال جمعية العلماء المسلمين في جميع كتاباتهم ومؤلفاتهم . بل وحتى في خطبهم و خطاباتهم .

وقد تتبعت مرحلة ظهور جمعية العلماء المسلمين إلى قيام ثورة نوفمبر سنة 1954م وأحصيت كل المؤلفات التي ظهرت في تلك المرحلة فوجدتها كثيرة جدا وها أنا أسجلها وفق ظهورها التاريخي، وأبرز هذه المؤلفات[2] :

1- ديوان شعر لأبي اليقظان – الجزء الأول – طبع سنة 1931م .

2- كتاب الجزائر – لأحمد توفيق المدني – طبع سنة 1931م .

3- كتاب تاريخ الجزائر العام الجزء الثاني – للشيخ مبارك الميلي سنة 1932م . وكان الجزء الأول منه قد صدر سنة 1928م.

4- الإسلام في حاجة إلى دعاية وتبشير – لمحمد السعيد الزاهري سنة 1931م ، كما أعيد طبعه للمرة الثانية بدمشق سنة 1933م .

5- كتاب ذكرى الدكتور ابن أبي شنب – لعبد الرحمان محمد الجيلالي سنة 1933م

6- كتاب سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين – لمحمد البشير الإبراهيمي طبع بقسنطينة سنة 1935م.

7- كتاب رسالة الشرك ومظاهره – للشيخ مبارك سنة 1937م

---

[1] - محمد مهداوي – الإبراهيمي نضاله و أدبه – ص 231/230.

[2] - ورد ذكر هذه المؤلفات في المراجع التالية يمكن الرجوع إليها :

أ - فنون النثر الأدبي – د.عبد المالك مرتاض

ب - نهضة الأدب العربي – د.عبد المالك مرتاض

ج - الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرير - د.نور سلمان

د - الشعر الجزائري الحديث –د. محمد ناصر

هـ – ابن باديس مفسرا –حسن عبد الرحمان سلوادي

و - تطور النثر الجزائري – عبد الله ركيبي

ز - جريدتي الشهاب والبصائر لجمعية العلماء.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

8- كتاب تاريخ حكم الأتراك في الجزائر – لأحمد توفيق المدني سنة 1937م.

9- كتاب محمد عثمان باشا داي الجزائر – لأحمد توفيق المدني- سنة 1939م.

10- كتاب مدرسي [أناشيد إسلامية] - لمحمد العابد الجيلالي سنة 1939م

11- كتاب المتوسط الكافي في علمي العروض والقوافي – لأحمد نويوات طبع سنة 1947م بقسنطينة وهو كتاب في البلاغة العربية.

12- كتاب المسلمون في جزيرة صقلية – لأحمد توفيق المدني سنة 1947م.

13- كتاب جغرافية القطر الجزائري – لأحمد توفيق المدني سنة 1948م.

14- كتاب المطوف – لعبد الرحمان محمد الجيلالي –سنة 1948م .

15- كتاب مجالس التذكير – لعبد الحميد بن باديس سنة 1948م ، وكان قد جمعه أحمد بوشمال وقام بطبعه بالمطبعة الإسلامية الجزائرية بقسنطينة .

16- مسرحية مدرسية [الناشئة المهاجرة] – لمحمد الصالح رمضان سنة 1949م.

17- مسرحية[المولد النبوي] – لعبد الرحمان محمد الجيلالي سنة 1949م

18- الذكرى الأدبية لزيارة الفرقة المصرية بإدارة يوسف وهبي – لمحمد الصالح رمضان – طبعت سنة 1950م.

19- مسرحية [حنبعل] – لأحمد توفيق المدني- سنة 1950م.

20- [الخان الفتوة] ديوان شعري – لمحمد الصالح رمضان- سنة 1953م

21- كتاب – مع حمار الحكيم - لأحمد رضا حوحو - سنة 1953م.

22- كتاب [تاريخ الجزائر العام] في جزئين – لعبد الرحمان محمد الجيلالي- سنة 1954.

23- [غادة أم القرى] و [صاحبة الوحي] لأحمد رضا حوحو – سنة 1954م.

24- [امرأة الأب] رواية كتبها ونشرها – أحمد بن ذياب سنة 1954م.

25- [بلال] مسرحية شعرية – لمحمد العيد آل خليفة.

26- عدة كتب مدرسية للشيخ مبارك الميلي.

27- وكان الشيخ عبد الحميد بن باديس قد نشر في حياته رسالة ألفها ردا على شيخ الطريقة العيليوية الصوفية وتقع في 37 صفحة بعنوان [رسالة جواب عن سوء مقال] وطبعتها المطبعة الإسلامية بقسنطينة سنة 1933م مع تقاريض عشرة من العلماء في المغرب .

هذه المؤلفات التي تمكنا من معرفتها، ولعله يوجد بعض منها ضاع وتلاشى في ظل الصراع والصدام مع الاستعمار، خاصة منها ما كان مخطوطا ينتظر الفرصة ليطبع، أو الكتب المدرسية التي ألفت - وهي كثيرة - ثم ضاعت ، ويضاف إلى هذه المؤلفات الكتابات الأخرى لأعضاء الجمعية وأساتذتها والتي نشرت في مجلات وجرائد جزائرية ومشرقية، والتي لو جمعت في تلك المرحلة وطبعت لشكلت أهم مؤلفات تلك المرحلة، غير أننا وجدنا من جمع بعضها بعد الاستقلال وأخرجها في أسفار ضخمة ومجلدات عديدة مثل :

- ما فعله الدكتور عمار طالبي حين جمع آثار ابن باديس في أربعة أجزاء ضخمة تشكل أغلب كتابات ابن باديس.

- كما جمعت آثار الشيخ الإبراهيمي فكونت هي الأخرى خمسة أجزاء ضخمة مع الإشارة أن الشيخ البشير الإبراهيمي كتب عدة مؤلفات وفي علوم وفنون كثيرة بقيت مخطوطة و لم يكتب لها أن تطبع أو تنشر إلى يومنا هذا ولعل الكثير منها قد ضاع.

و أهم هذه المؤلفات هي :

01 – بقايا فصح العربية في لهجة الجزائر .

02 – النقايات و النقايات . وهو أثر لغوي يجمع كل ما جاء على فعالة .

03 – أسرار الضمائر في العربية .

04 – التسمية بالمصدر .

05 – الصفات التي جاءت على وزن فعل .

06 – الاطراد و الشذوذ في العربية .

07 – ما أعلت به كتب الأمثال من الأمثال السائرة .

08 – قصة كاهنة أوراس .

09 – حكمة مشروعية الزكاة في الإسلام .

10 – شعب الإيمان .

11 – مخارج الحروف .

12 – الملحمية الرجزية في التاريخ .

13 – فتاوى متناثرة .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- كما جمعت آثار الشيخ التبسي في خمسة أجزاء تحت عنوان [مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية في الجزائر] جمعها الأستاذ أحمد شرقي الرفاعي.

- وظهور ديوان محمد العيد آل خليفة الذي نشرت أغلب قصائده في صحافة جمعية العلماء المسلمين.

- وظهور ديوان الشاعر الفحل — الربيع بوشامة.

وغير ذلك وهو الكثير مما لم يجمع من الآثار التي حفلت بها صحافة جمعية العلماء في جميع الميادين العلمية والثقافية.

ولا شك أن هذه المؤلفات التي أتينا على ذكرها ويضاف إليها الكتابات الأخرى كانت بلغة عربية راقية وصحيحة، وبأساليب جميلة وجذابة كلها فن وبلاغة، تعبر عن مدى أصالة الفكر والثقافة الجزائرية والتي منبعها القرآن واللغة الفصحى، فلا يمكننا " أن نتجاهل دورها في إحياء التراث وفي تثبيت الثقافة الجزائرية "[1] وفي إحياء اللغة العربية وآدابها وعلومها والمحافظة على تداولها بين الناس، وربط الأجيال اللاحقة خاصة منها الشباب بتاريخه وتاريخ أجداده وآبائه ولغة دينه وماضيه وحضارته — ليحافظ على شخصيته ويدافع عن قوميته ويتمايز عن غيره متمسكا بخصائص أمته ليحيا عزيزا مكرما ضارب الجذور نحو الماضي منطلقا نحو المستقبل .

[1] د.نور سلمان —الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرير ص١٥٩.

المبحث الثاني

أراء رجال الجمعية في اللغة العربية – نماذج –

– النموذج الأول : الشيخ عبد الحميد بن باديس

– النموذج الثاني : الشيخ البشير الإبراهيمـــي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

بعد ما أتينا على النظرة العامة في حقبة جمعية العلماء لإحياء وخدمة اللغة العربية وبيان مكانتها ودورهـــا في حياة الأمة ، وأهم الأساليب التي تذرعت بها في هذا المجال ، وما نتج عن ذلك من أعمال أدبية وثقافيـــة ، لا يفوتنا أن نشير إلى أهم الشخصيات ودورها وجهودها في هذا الميدان كحقبة لجمعية العلماء في خدمة اللغـــة العربية ، وأهم الآراء التي تبنوها في ذلك .

وكان اختيارنا للشيخين الفاضلين والعالمين الجليلين : السيد الإمام سماحة الشيخ عبد الحميد بـــن باديس ، والإمام المصلح الشيخ الرئيس البشير الإبراهيمي كنموذج فقط ، وهذا للاعتبارات التالية :

أولا : أن كلا منهما كان رئيسا مباشرا للجمعية .

ثانيا : أن كلا منهما له بصماته الواضحة في المسار العام لجمعية العلماء المسلمين الجزائريـــين ، أكـــثر مـــن غيرهما.

ثالثا : يتفرد كل منهما بنظرته العميقة والشاملة حول دور اللغة العربية في عملية الإحياء ، وأنها تدخـــل في الإستراتيجية العامة في الوقوف في وجه مخططات الاستعمار الفرنسي .

رابعا : كتابات كل منهما حول اللغة العربية تمثل نظرية اجتماعية وقومية وتاريخية حول مكانة اللغة وأهميتـها في بناء الشخصية الجزائرية بمعديها العربي والإسلامي.

خامسا : أن مجال عملهما كله كان يدور حول الثلاثية المقدسة – الإسلام كدين ، والعربية كلغة ، والجزائـر كوطن – وأن مفهوم العروبة الذي عملا على نشره بين الناس مفهوم حضاري، وليس مفـــهوم جنـــس أو عرق .

سادسا : أن ، كلا منهما خدم اللغة العربية من جانبين :

الجانب الأول : نظريا وسياسيا : وتمثل هذا الجانب أساسا في المقالات الكتابات العديدة حول اللغة العربية ، أو حول جوانب أخرى لها علاقة بخدمة اللغة العربية ، كما تمثل في معارضة القوانين الاســـتعمارية الخاصـــة بالتضييق على اللغة العربية ومحاولة الرد عليها بكل الوسائل ، وتصوير ذلك الصراع المرير حول اللغة العربيـة مع المستعمر وبيانه للشعب الجزائري وللعالم الخارجي ، من خلال فضح أساليبه المتعددة في ضرب اللغـــة ، والتضييق عليها ، وعلى جمعية العلماء ورجالها ومؤسساتها.

الجانب الثاني : عمليا تطبيقيا : وتمثل هذا الجانب أساسا في المؤسسات الضخمة التي أقاماها في الميدان ، مـــن مدارس ، ومساجد ، ونوادي ، وصحف ، ومطبعة ، وجمعيات ثقافية واجتماعية وشبابية ، كالكشافـــــة

الإسلامية وغيرها..، وإرسال البعثات العلمية إلى الجامعات والمعاهد في الدول العربية ، والتأليف والكتابة والتدريس ، والوعظ والخطابة ، كل هذا من أجل المحافظة على اللغة العربية وإحيائها وصيانتها من الاختلال[1] . هذه نقاط وجوانب مشتركة بين الرجلين ، ونأتي الآن إلى الحديث عن كل شخصية على حدى ، ونظرتهما إلى اللغة العربية .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

[1] كنا قد أشرنا إلى كل هذه الوسائل التي اتخذها الجمعية في خدمة اللغة العربية وذلك في الفصل الأول، فيمكن الرجوع إليه عند الضرورة.

المطلب الأول : الشيخ عبد الحميد بن باديس آراؤه في اللغة العربية

أولا : اللغة العربية قضية سياسية :

لم يكن الشيخ عبد الحميد بن باديس سياسيا ولا رجل سياسة ، ولم يؤسس حزبا ، ولم يدخل الانتخابات ولم يرشح نفسه لها يوما ، غير أنه – رحمه الله – كان أقدر الناس على استغلال وتكييف الوسائل السياسية لخدمة أهدافه وغاياته التي كان يرمي إليها .

ولعل ابن باديس هو أول من جعل اللغة العربية كقضية سياسية ، حيث دفع كل الأحزاب والسياسيين والجمعيات والنواب الجزائريين يتناولون قضية اللغة العربية ويجعلونها من أهم مطالبهم مع الحكومة الفرنسية وتسجل كأهم نقطة في المطالب السياسية ، بل كانت أهم مطلب عند ابن باديس في مختلف المراسلات واللوائح والعرائض والمطالب التي كان يتقدم بها إلى السلطات الاستعمارية في كل مرة .

وكان من بينها التلغراف[1] الذي أرسله إلى السيد الوالي العام للجزائر ، يطالب فيه باسم جمعية العلماء النظر في الوضعية الناشئة عن منع الوعاظ والمرشدين من المساجد ، والتضييق على حرية التعليم العربي ، وتعطيل الجرائد التي تصدرها الجمعية ، ورفع الحواجز في وجه التعليم والإرشاد والصحافة .

كما وجه عريضة[2] باسم جمعية العلماء المسلمين إلى جناب مدير الشؤون الأهلية العام – ميسو – بنفس المطالب.

كما استغل الشيخ ابن باديس انعقاد المؤتمر الإسلامي سنة 1936م ، فقدم لمكتب المؤتمر مجموعة مطالب خاصة بالدين الإسلامي واللغة العربية ليتقدم بها إلى السلطات الفرنسية ، ومما جاء فيها : " تعتبر اللغة العربية رسمية مثل اللغة الفرنسية ، وتكتب بها مع الفرنسية جميع المناشير الرسمية ، وتعامل صحافتها مثل الصحافة الفرنسية وتعطي الحرية في تعليمها في المدارس الحرة مثل اللغة الفرنسية "[3]

و جاء فيها أيضا " تؤسس كلية لعلوم الدين ولسانه العربي لتخريج موظفي المساجد من أئمة وخطباء ومدرسين ومؤذنين وقيمين وغيرهم "[4].

وقد وقف ابن باديس وقفة قوية ، وصاح صيحة مدوية في وجه كل القرارات الفرنسية سواء كانت إدارية أو

---

[1] - د.عمار طالبي – ابن باديس حياته وآثاره – الجزء الثالث - ص434 .

ولقد نشر في الشهاب – العدد الخامس – الجزء9 - المجلد10 /أوت 1934م.

[2] - نشرت في البصائر السلسلة الأولى - العدد 21 - السنة الأولى / ماي 1936م.

[3] - نشرت هذه المطالب في – البصائر السلسلة الأولى - العدد 24 السنة الأولى / جوان 1936م.

– الشهاب – الجزء 4 - المجلد11 / جويلية 1936

[4] - نفس المصدر

وزارية التي تذرعت بها لضرب اللغة العربية وتهميشها وإبعادها عن واقع الجزائريين ، وكان أقوى رد فعل ضد قرار وزير الداخلية الفرنسي ميشال شوطان ، الذي صدر في 08 ماي سنة 1936م ، والذي اعتبر ضربة مطيرة موجهة لنشاط الحركة الإصلاحية في المجال الثقافي والتعليمي ، وقد نص هذا القرار على إغلاق المدارس العربية الحرة التي لا تتمتع برخصة عمل ، ومنع كل معلم من مزاولة التعليم في المدارس المرخصة إلا بعد الحصول على رخصة تعليم من السلطات المسؤولة ، وأخطر ما ورد في هذا القرار ، اعتبار اللغة العربية لغة أجنبية في الجزائر .

وقد شن ابن باديس حملة عنيفة على هذا القانون ، وتقدم بعدة احتجاجات إلى حكومة باريس بشأن ما ترتب عليه من آثار سلبية على حركة التعليم العربي الحر ، ومن ذلك شكوى وجهها إلى رئيس وزراء فرنسا باسم جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في سنة 1939م جاء فيها : " يا جناب الوزير إلى اليوم وفي هذه الظروف ما يزال التضييق متواليا ومتزايدا على التعليم الإسلامي ، فالمساجد مهجرة ، وكثير من الكتاتيب القرآنية مغلقة ، وكثير من المعلمين متابعون في المحاكم ، مئات الآلاف من أبنائنا مشردون في الشوارع ، يمتثل الشيوخ للقانون فيطلبون رخص التعليم ويقدمون جميع اللوازم فلا يسمع لهم صوت ، بل كثيرا ما نزعت الرخص من أيدي أصحابها ، كل هذا من آثار قانون 08 مارس المطبق على التعليم الإسلامي تعليقا جائرا مغرضا بمنع الرخص عن أهلها ويتزعها عنهم ، بينما التعليم الأجنبي يتمتع لكل حرية واحترام "[1].

وقبل هذا كان ابن باديس قد شن على هذا القانون حملة صحفية قوية في جرائد الجمعية ، فقد كتب : [حول قانون 08 مارس المشؤوم ، كيف فهمت الأمة معاكسته لتعليم الدين والعربية ؟][2] ، وقد وضح في هذا المقال الغاية من إصداره، ووجوب مجاهدته والعمل على إلغائه.

ومما زاد من ثورة ابن باديس على هذا القانون أنه كان موجها فقط ضد التعليم العربي الحر ، دون غيره من التعليم الفرنسي الحر الذي تقوم به الهيئات المسيحية ، أو الهيئات العبرية ، فيقول : " ويلاحظ أن قانون 08 مارس سنة 1938م كان موجها نحو التعليم العربي الحر وحده و لم يشمل التعليم الحر الفرنسي الذي تقوم به الهيئات التبشيرية المسيحية في الجزائر ، كما لم يشمل التعليم العبري الذي تقوم بنشره المعابد اليهودية ، لأن أتباع هاتين الديانتين كانت لهم الحرية الكاملة في ممارسة شعائرهم الدينية ونشاطهم الديني ، كما كانت لهم

---

[1] - البصائر السلسلة الأولى - العدد 151 - السنة 4 / فبراير 1939م.

[2] - البصائر السلسلة الأولى - العدد 155 - السنة 4 / جوان 1939م.

الحرية الكاملة كذلك في فتح المدارس والمعابد والكنائس والبيع ، في أية جهة من جهات القطر الجزائري بدون أية معارضة أو عرقلة من الاحتلال "[1].

كما كتب مقالا آخر يصف فيه هذا القانون [بقانون العقاب الرهيب] وقد عنونه : [يا لله ! للإسلام والعربية في الجزائر (كل من يعلم بلا رخصة يغرم ثم يغرم ويسجن)] ومما جاء فيه " أن أعداءنا عاقبوا ألا بناء للإسلام إلا بتعليم عقائده وأخلاقه وآدابه ، وأحكامه ، وألا تعليم له إلا بتعليم لغته فناصبوا تعليمها العداء وتعرضوا لمن يتعاطى تعليمها بالمكروه والبلاء.. "[2]. وقال أيضا : " فهمت الأمة كل هذا ، وفهمت أن هذا القانون سلاح جديد أشهر لمحاربتها في أعز عزيز عليها ، وأقدس مقدس لديها ، وهو قرآنها ودينها ، ولغة دينها وقرآنها...وفهمت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الممثلة للأمة في دينها وقرآنها ، والناطقة في الدفاع عنها في هذه الناحية بلسانها ، والمعاهدة لله وللأمة على ذلك الدفاع إلى آخر رمق من حياتها "[3]. ثم يعلن ابن باديس ، بكل حزم ، عزم جمعية العلماء على تجاهل هذا القانون ومقاومته ، والمضي في حركة نشر التعليم العربي وتدريس الدين الإسلامي لأبناء الأمة مهما كانت الشدائد والمحن ، فيقول : " قد فهمنا -والله - ما يراد بنا ، وإننا نعلن لخصوم الإسلام والعربية أننا عقدنا على المقاومة المشروعة ، عزمنا وسنمضي - بعون الله - في تعليم ديننا ولغتنا رغم كل ما يصيبنا ، ولن يصدنا عن ذلك شيء ، فنكون قد شاركنا في قتلهما بأيدينا ، وإننا على يقين من أن العاقبة - وإن طال البلاء - لنا ، وإن النصر سيكون حليفنا ، لأننا عرفنا إيمانا ، وشاهدنا عيانا ، أن الإسلام والعربية قضى الله بخلودهما ولو اجتمع الخصوم كلهم على محاربتهما "[4].

وكان نتيجة هذه الحملة العنيفة المناهضة للقانون أن هبت الأمة كلها وتحرك " الرأي العام الجزائري بكل فئاته وبلغ الأمر من فظاعة هذا القرار ونتائجه على مستقبل التعليم العربي عموما بما فيه التعليم القرآني حدا دفع النواب الجزائريين وهم من المرضى عنهم من الفرنسيين في مجلس النيابة المالية - وهي أعلى نيابة في الوطن - على المطالبة بحرية تعليم الدين ، ولغة الدين ، وقدموا تقريرا في جلسة 15 جوان 1938م يشتمل على لزوم إعطاء رخص التعليم الإسلامي إلى الجميع ، مع إحداث المراقبة على المدارس العربية الحرة "[5].

---

[1] - البصائر السلسلة الأولى - العدد90 - السنة3 / ديسمبر 1938م.

[2] - د.عمار طالبي - ابن باديس حياته وآثاره - الجزء الثالث - ص243.

[3] - نفس المصدر - ص 243.

[4] - نفس المصدر ص 243.

[5] - نفس المصدر - ص258.

وبعد ثورة الأمة كلها بهيئاتها الشعبية والرسمية لتحميد وإلغاء هذا القانون ها هو ابن باديس بعد أكثر من أربعة أشهر يعاود الكتابة عن ذلك القانون المشؤوم بمقال بعنوان | بماذا نعود ؟ ودار لقمان على حالها. والقيد باق والطواشي صبيح | يصف فيه هذه الحال فيقول : " لقد هز قانون 08 مارس الذي صدر لعرقلة تعليم الإسلام ولغة الإسلام بهذه البلاد ، الشعب الجزائري هزة عنيفة ، ورفعت الأمة بلسان نوابها وهيئاتها وعلمائها صوتها عاليا بالاحتجاج والاستنكار ، ووالت – البصائر – الكتابة في المظلمة الفادحة خمسة أشهر... "[1].

وكان نتيجة لهذا الجهاد السياسي لقضية غير سياسية في الأصل أن تعاضت السلطات الفرنسية عن تطبيق القانون خوفا من ثورة شعبية عارمة خاصة وأنها كانت على أبواب الحرب العالمية الثانية ، ثم تواصلا مع جهاد الإبراهيمي تعلن السلطات الفرنسية في 20 سبتمبر سنة 1947م ترسيم اللغة العربية في التعليم الثانوي وذلك بعد 117 عاما من الاحتلال ، ظلت تحارب فيها العربية وتطاردها في كل مكان .

" وقرار عام 1947م وإن بقي حبرا على ورق إلا أنه يعتبر انتصارا للإرادة الشعبية التي صممت على النضال في سبيل لغتها ودينها ، وأجبرت المستعمر على الرجوع في قراره باعتبار اللغة العربية أجنبية في الجزائر "[2] ، فقرار التراجع هذا وثورة الأمة قبله ما كان له أن يحدث لولا وقفة ابن باديس –رحمه الله– وجمعية العلماء المسلمين وجميع الأمة بكل هيئاتها من ورائها.

ثانيا : عروبة ووحدة الجزائر.

كانت محطة عمل الشيخ ابن باديس – رحمه الله – هو إثبات عروبة الجزائر ، لأن ذلك معناه تمايز واختلاف الأمة الجزائرية عن فرنسا ، وهو هذا يحاول الرد على الاستعمار وأعوانه الذين ينكرون ذلك ، ويثيرون النعرات والصراعات العرقية من أجل التضليل والتزييف ، وهو في رده يستلهم التاريخ والواقع والحجج الدامغة، لأن " عروبة الجزائر عند باعث همتها ليست عروبة خطاب أو تمريح أو حماس أجوف ، انه وهو يذكيها بأنفاسه الملتهبة ويرويها من عرقه المتصبب ، ويرعاها العشرات من السنين يعطيها من الدراسة النظرية حقها ، ويستمد لها من التاريخ العميق أصالتها ، ويواجه أعداءها المنكرين لها ، أو الناكرين لها : مواجهة الحجة بالحجة ، ويقف من عروبة الجزائر موقفه من العروبة عامة ، لا ينكر ما أثبته التاريخ من أصل مازيغي للجزائر ، لأن العروبة فوق السلالات "[3] ، ولأن التاريخ والواقع لم يثبتا غير عروبة الجزائر ، فكان ابن باديس

---

[1] – المصدر السابق – ص258 .

[2] – عبد المنعم خلف الله – تأملات في مسيرة التعريب بالجزائر – مجلة الأمة – العدد 34 – ص 70 .

[3] – د.صالح خرفي – في رحاب المغرب العربي – ص133.

" يرى أنه لا يوجد رابطة أخرى تربط بين ماضي الجزائر المجيد ، وحاضرها الأغر ، ومستقبلها السعيد إلا هذا الحبل المتين الذي هو اللغة العربية ، لغة الدين ، لغة الجنس، لغة القومية ، لغة الوطنية المغروسة . إنها وحدها الرابطة بيننا وبين ماضينا ، هي وحدها المقياس الذي نقيس به أرواحنا بأرواح أسلافنا ، وبها يقيس من يأتي بعدنا من أبنائنا وأحفادنا الغر الميامين أرواحهم بأرواحنا ، وهي وحدها اللسان الذي نعتز به ، وهي الترجمان عما في القلب من عقائد ، وما في العقل من أفكار ، وما في النفس من آلام وآمال "[1] فيقول في هذا السياق : "..ولا رابط بين ماضينا المجيد ، وحاضرنا الأغر ، والمستقبل السعيد إلا هذا الحبل المتين : اللغة العربية ، لغة الدين ، لغة الجنس ، لغة القومية لغة الوطنية المغروسة...إن هذا اللسان العربي العزيز الذي قدم وخدم العلم ، وخدم الإنسان ، هو الذي نتحدث عن مآثره منذ زمان ، ونعمل لإحيائه منذ سنين، فليحقق الله أمانينا "[2].

وإذا كان التاريخ قد أثبت عروبة الجزائر وأنها هي الرابطة بين الماضي والحاضر والمستقبل ، فإن ابن باديس لا ينكر بعد هذا ، أو يتجاهل الأصل الأمازيغي للجزائر كما يفعل البعض ، بل يثبته ، ثم يعطي مفهوما للعربية والتي يراها تتمثل في اللسان لا في العرق ، لأن الشعب الجزائري قد تكون عبر العصور من انصهار السكان الأصليين للجزائر وهم الأمازيغ —البربر – مع العرب الذين حملوا الإسلام واللغة العربية إلى الجزائر ، حيث أسلم الأمازيغ ، وتعلموا اللغة العربية طائعين ، ثم امتزج الجنسان عن طريق المصاهرة والعشرة الطويلة "وهكذا أصبحوا شعبا واحدا متحد غاية الاتحاد ، ممتزجا غاية الامتزاج ، وأي افتراق يبقى بعد أن اتحد الفؤاد واتحد اللسان "[3] ، ثم أن "ابن باديس لا يقف عند هذا الحد في تقريره هذه الحقيقة فهو يلاحظ بعد ذلك بقليل أن واقع الجزائر أكبر دليل على ما يقدمه ، لأن اللغة العربية والآداب العربية هي لسان الأمة الجزائرية كلها ، أما اللغة المازيغية — كما يسميها – فلا تستعمل إلا في بعض النواحي القليلة استعمالا شفاهيا محليا ، ثم اللغة العربية هناك هي لغة الكتابة والخطابة والتعليم "[4]. وهذا التأكيد على عروبة الجزائر دون اعتبار الجنس أو العرق أو الطائفة استمده ابن باديس من أصله ومنبعه عند الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم عندما خطب في الناس مدافعا عن بلال الحبشي ، وسلمان الفارس ، وصهيب الرومي ، فقال:

---

[1] – د.لركبي رابح — ابن باديس فلسفته وجهوده ....– ص 229.

[2] – د.عمار طالبي — ابن باديس حياته وآثاره – الجزء الثالث – ص265/266 .

– و البصائر السلسلة الأولى – العدد 171 – السنة4/جوان1939م.

[3] – محمد الميلي — ابن باديس وعروبة الجزائر – ص48

[4] نفس المرجع — ص 48.

" أيها الناس الرب واحد ، وإن الدين واحد ، وليست العربية بأحدكم من أب ولا أم . وإنما هي اللسان فمن تكلم بالعربية فهو عربي "[1] ويعلق ابن باديس على هذا الحديث في مقال له بعنوان [محمد صلى الله عليه وسلم رجل القومية العربية] فيقول : " على أن العرب رشحوا لهداية الأمم التي تدين بالإسلام ، وتقبل هدايته ، ستتكلم بلسان الإسلام ، وهو لسان العرب ، فينمو عدد الأمة العربية بنمو عدد من يتكلمون لغتها. ويهتدون بمثلها بهدي الإسلام ، علم هذا فبين أن من تكلم بلسان العرب فهو عربي ، وإن لم ينحدر من سلالة العرب "[2].

والعرقية التي يذكيها المستعمر في كل شبر عربي ليمزق بها وطن العروبة ، والطائفية التي يغذيها ليغذي بصراعها وجوده وتسلطه ، هي ذاتها التي ينطلق منها ابن باديس كحجة على المستعمر وفلسفته. و منها ذاتها يصبغ العروبة بصبغة قدسية تنزه عن النعرة الطائفية والعرقية..ولا يذهب ابن باديس بعيدا في التماس الحجة وإقامة الدليل فواقع المستعمر حجة عليه " فإذا نظرت إلى كثير من الأمم الأوروبية اليوم وفي مقدمتها فرنسا ، فإنك تجدها خليطا من دماء كثيرة و لم يمنعها ذلك من أن تكون أمة واحدة لاتحادها فيما تتكون به الأمم "[3]. ومن ثمة يقول ابن باديس : " تكاد لا تخلص أمة من الأمم لعرق واحد وتكاد لا تكون أمة من الأمم تتكلم بلسان واحد ، فليس الذي يكون الأمة ويربط أجزاءها ويوحد شعورها ويوجهها إلى غايتها هو هبوطها من سلالة واحدة ، وإنما الذي يفعل ذلك هو تكلمها بلسان واحد ، ولو وضعت أخوين شقيقين يتكلم كل واحد منهما بلسان ، وشاهدت ما بينهما من اختلاف نظرا وتباين قصد وتباعد تفكير ، ثم وضعت شاميا وجزائريا — مثلا – ينطقان باللسان العربي ورأيت ما بينهما من اتحاد وتقارب في ذلك كله ، لو فعلت هذا لأدركت بالمشاهدة الفرق العظيم بين الدم واللغة في توحيد الأمم "[4] ، ويختم ابن باديس كلامه في مفهوم العروبة ، أن يحييه الله ويميته في خدمة العروبة قدوة برسول الإنسانية ورجل القومية العربية : " هذا هو رسول الإنسانية، ورجل الأمة العربية الذي تهتدي بهديه ، وتخدم القومية العربية خدمته ، وتوجهها توجيهه ، وتخيل وتموت عليها ، وإن جهل الجاهلون...وخدع المخادعون...واضطرب المضطربون..."[5] لتبقى الجزائر كما كانت عربية اللسان طولا وعرضا وعمقا .

---

[1] – حديث رواه ابن عساكر في تاريخ بغداد

[2] – الشهاب – الجزء3 – المجلد12 / جوان1936م

[3] – د.صالح عرقي – في رحاب المغرب العربي – ص128/127

[4] – الشهاب الجزء3 – المجلد12 /جوان 1936

[5] – نفس المصدر .

ثالثـــا : العربيـــة والقوميـــة

ينطلق الشيخ عبد الحميد بن باديس في دعوته إلى القومية العربية في محاولة منه ببيان أن الامتـــداد الطبيعـــي للجزائر هو الوطن العربي ، بحكم علاقة الدين والتراث والتاريخ ، وخاصة علاقة اللغة.. والرد على المستعمر الذي ظن أنه قضى على شخصية هذه الأمة وعروبتها وأنه أدمجها في منظومته وفصلها عن الامتداد العـــربي.. وللرد على المستعمر تحدث ابن باديس عن الوحدة العربية الشاملة ، وعن وحدة الشمال الإفريقي — المغـــرب العربي – اعتمادا على الروابط التي تربط بين أجزاء الأمة الواحدة وقد أشار بعض الباحثين إلى موقفه هـــذا مثل: محمد الميلي في كتابه [ابن باديس وعروبة الجزائر][1] ومحمد عمارة في كتابه [مسلمون ثوار][2].

" والذي يرجع إلى كتابات ابن باديس خلال الثلاثينيات يجده قد تطور في نظرته القومية..فأصبح من أنصـــار القومية العربية ، وإقامة اتحاد بين الدول العربية المستقلة في انتظار أن تلحق بذلك الاتحاد الشعوب العربية التي ما تزال تحت الاستعمار كالجزائر وتونس والمغرب ، وفي هذا الصدد انتصر لشكيب أرسلان ضد ســـليمان الباروني وكتب عن نضال فلسطين ومصر وسورية والعراق ضد الاستعمار والصهيونية "[3].

ومجال دعوة ابن باديس إلى القومية العربية واضح وبين وفق منهج مدروس ، فقد كتب في سنة 1936م مقـــالا بعنوان [محمد رجل القومية العربية] يفسر فيه هذه التسمية ويعللها تعليلا منطقيا فيقول : " فمحمد صلـــى الله عليه وسلم هو رسول الإنسانية كانت أول عنايته موجهة إلى قومه ، وكانت دعوته على ترتيب حكيـــم بديع ، لا يمكن أن يقيم إصلاح إنسانيا أو شعبيا إلا بمراعاته "[4] ثم يقول: " كل شعب من شعوب البشـــر لا يستطيع أن ينفع البشرية ما دام مهملا مشتتا لا يهديه علم ، ولا يمتنه خلق ، ولا يجمعه شـــعور بنفســـه ولا بمقوماته ولا بروابطه "[5] ثم يختم كلامه بقوله : " هذا هو رسول الإنسانية ورجل الأمة العربية الذي تهتـــدي بهديه وتخدم القومية العربية بخدمته وتوجهها بتوجيهه "[6] وابن باديس هذا يريد التنبيه إلى المنهج الذي سيسلكه في دعوته إلى القومية العربية ، يسلك فيه نفس الترتيب المنطقي الذي استنتجه من عمل خاتم النبيين – عليـــه الصلاة والسلام – بحيث يبدأ بالجزائر قومه كدائرة أولى ، نحو القومية ثم يتدرج في دعوته إلى دائرة وســـعلى

---

[1] – طبع بالجزائر – الشركة الوطنية للنشر والتوزيع – سنة 1973م.

[2] – طبع ببيروت – المؤسسة العربية للدراسات والنشر – لبنان سنة 1979م.

[3] – د.أبو القاسم سعد الله –هموم حضارية – ص12.

[4] – الشهاب – الجزء3 – المجلد12 / جوان1936م

[5] نفس المصدر .

[6] نفس المصدر .

وهي الشمال الإفريقي — أو المغرب العربي- ثم الدائرة الكبرى وهي الوطن العربي الإسلامي.

فقد أكد في محاضرة ألقاها بتونس سنة 1937م بطلب من جمعية الطلبة الجزائريين ، والوداذية الجزائرية بتونس وكانوا قد طلبوا منه أن يكون موضوع المحاضرة هو الجزائر ، فقال في بداية خطابه : "..إن الجمعيتين اختارتا أن يكون الكلام عن الجزائر ، وأنا احب أن يكون الحديث عن عموم المغرب العربي لأني أؤمن بأن هذا الشمال الإفريقي لا ينهض إلا بتضامنه مع بعضه بعضا " ، ونجده يغضب وربما يثور إذا أتهم المغرب العربي بأنه انسلخ عن عروبته أو قوميته أو وطنه العربي الكبير ، فحين كتب عبد الحميد العبادي في [الرابطة العربية] مقالا تحت عنوان [بلاد عربية تحتضر فيها العروبة] فقال : لست أقصد أيها القارئ الكريم تلك البلاد إلا المغرب الإسلامي، وأعاد الشيخ ابن باديس نشر المقال في الشهاب واحتفظ له بنفس العنوان وعلق عليه باسم الشهاب بقوله : " كلا بل هي اليوم تزدهر ، فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم "[1] وجاء في الفقرة الأخيرة لمقال العبادي " الحق أن العروبة والإسلام ماتا في الأندلس بالسيف ، أما في المغرب فيقضيان صبرا، فعلق الشهاب بقوله: " لا "

فما مات من كان بقاياه مثلنا * شباب تسامي للعلا وكهول"[2]

وابن باديس يقف بالمرصاد في وجه كل من يشك في عروبة الجزائر أو عروبة الشمال الإفريقي ، وهو يلوم بشدة إخواننا المشارقة الذين كادوا أن ينسوا منطقة المغرب العربي كجزء من العالم العربي ، فكانت دعوته إلى الوحدة العربية والقومية العربية أنه لا ينبغي تناسي جناح المغرب العربي من الطرف الآخر من المشرق العربي...

فحين أصدر محب الدين الخطيب عددا ممتازا من مجلة [الفتح] بمناسبة دخولها السنة الثانية عشر ، خصصه لذوي الفضل عليه ، وعلى حركته الإصلاحية ، وجهاده في سبيل العروبة والإسلام، فكان منهم من المغرب العربي : الشيخ طاهر الجزائري ، سليمان الباروني الطرابلسي ، والشيخ محمد الخضر حسين الجزائري ، والشيخ تقي الدين الهلالي المراكشي ، والشيخ إبراهيم طفيش الجزائري، اغتنم ابن باديس فرصة ذلك وأعاد نشر ما كتبه محب الدين الخطيب ثم علق عليه بقوله : " مضت حقبة من الدهر كاد فيه المشرق العربي أن ينسى هذا المغرب العربي ، وإلى عهد قريب كانت صحافة الشرق — غالبا - لا تذكره إلا كما تذكر قطعة من أواسط إفريقية ومجاهلها ، بل في هذه الأيام يغمط حقه ، ويتجاهل وجوده في كتب لها قيمتها ، كضحى الإسلام ، وغيره ، ولكن هذا المغرب العربي - رغم التجاهل والتناسي من إخوانه المشارقة - كان يبعث من

---

[1] - الشهاب — الجزء3 - المجلد13 / سنة 1937 م

[2] - نفس المصدر .

أبنائه من رجال السيف والقلم من يذكرون به ، ويشيدون باسمه ، ويلفتون نظر إخوانه المشارقة إلى ما فيه من معادن للعلم والفضيلة ، ومنابت للعز والرحولة ومعاقل للعروبة والإسلام "[1] ثم يبين أن هذه المنطقة -الشمال الإفريقي - واحدة متحدة لا ينفصم أجزاؤه بعضها عن بعض : " حيثما توجهنا إلى ناحية من نواحي التاريخ وجدنا هذا المغرب العربي ، طرابلس ، تونس ، الجزائر ، مراكش يرتبط بروابط متينة روحية ومادية تتجلى بها وحدته للعيان ، ولسنا نريد هنا أن نتحدث عن التاريخ القديم وإنما نريد أن نعرض صفحة من التاريخ الحديث الجاري "[2].

وقد وضح بعد ذلك أن القومية العربية تمتد إلى الوطن العربي كله في نهاية المطاف ، فقد أجاب على من تساءل من الناس على امتداد حدود وطنهم بقوله : نعم إن لنا وراء هذا الوطن أوطان ، الوطن العربي ، والوطن الإسلامي ، ثم تساءل هو شخصيا في مقال آخر بعنوان [الوحدة العربية] هل بين العرب وحدة سياسية ؟ ويجيب " الوحدة السياسية لا تكون إلا بين شعوب تسوس نفسها " وهي لأشد دعوة للنهوض ضد الاستعمار ومحاولة العمل على اتحاد الدول العربية لأنها أقدر على سياسة نفسها بنفسها وهي في ظل الحرية والاستقلال .

وبهذه الفلسفة يمكننا أن نستنتج " أن ابن باديس بهذا التحليل أعطى القومية العربية منذ سنة 1936م المحتوى الذي يتجه نحوه الفكر العربي التقدمي الحديث الآن"[3]

رابعا : العربية والإسلام .

يعد الشيخ عبد الحميد بن باديس خبيرا في الشخصية الجزائرية ، و مدركا لأهم عناصر تكوينها ، و هي العربية و الإسلام ، بحيث تلاحما بشكل لا يقبل الانفصام في تكوين هذه الشخصية ، و هو بهذا يعتبر" أكثر الناس إدراكا لمعنى العروبة و علاقتها بالإسلام ، و لم يتميع مفهوم العروبة لديه في إطار آخر ، كما كان الشأن في الكتابات الأولى لشكيب أرسلان ، و من قبله جمال الدين الأفغاني ، و محمد عبده.."[4]و ابن باديس حين دعا إلى هذه العلاقة بين اللغة الدين ، لأن اللغة وحدها هي التي تعبر عن الدين ، ولأنها وحدها التي تنقل تراثنا من عند الأجداد ، و هي وحدها التي تصلنا بهم ، و هي وحدها التي تربط أبناء الأمة بالروابط الروحية و العاطفية و الفكرية لأن " الذي ينتقد لغته يمزق الخيط الذي يصله بالأجداد ، و يفقد معها حلقات

---

[1] - الشهاب - الجزء5 - المجلد13 / فيفري 1937م.

[2] - نفس المصدر .

[3] - محمد الميلي – ابن باديس وعروبة الجزائر - ص57.

[4] - د.أحمد بن نعمان - التعريب بين المبدأ و التطبيق - ص289

ماضية ، و يشعر بفجوة عميقة حقيقية في تطوره ، و ينقطع عن أهله : كجلمود سخر انفصل عن الصخرة الأم ، و حطه السيل من عل ، فحرفه و قذف به بعيدا إلى أعماق الذوبان و الامحاء و اللاوجود "[1].

و"نفس الشيء بالنسبة لموقع اللغة العربية من الإسلام و الحضارة الإسلامية،إ ذ تعتبر الوعاء المادي الذي حوى إنتاج المجتمع الإسلامي ، و بما أنه لا يمكن لأي شعب أن يبني مستقبله منفصولا عن ماضيه ، و ابن باديس رأى أن إمكانات مستقبل المجتمع الجزائري تكمن في ماضي و حاضر حضارته عبر اللغة العربية التي تشكل أداة التواصل بينهما "[2] ، فهو يقول: " إن أعداءنا علموا أن لا بقاء للإسلام إلا بتعليم عقائده و أخلاقه وآدابه و أحكامه ، و أن لا تعليم له إلا بتعليم لغته ، فناصبوا تعليمها العداء و تعرضوا لمن يتعاطى تعليمها بالمكروه و البلاء "[3] فمحاربة اللغة العربية هو محاربة للدين الإسلامي ، و ضعف اللغة العربية ، هو ضعف الدين الإسلامي، و الدعوة إلى اللغة العربية ، هو دعوة إلى الدين الإسلامي ، و إحياء اللغة العربية هو إحياء الدين الإسلامي، والعكس بالعكس صحيح ،ف كل دعوة أو عمل...للدين أو ضده ،هو دعوة أو عمل للغة العربية أو ضدها..و من هنا يمكننا أن نسجل الملاحظة التالية : " أن للغة تأثيرا في الدين بقدر ما للدينيين من دور في نشر اللغة و الحفاظ عليها ، و بالقدر الذي كان الدين دافعا للكتاب و الفلاسفة و العلماء على التفكير و إنتاج الآثار الأدبية الرائعة ، دفاعا عنه و نشرا له ، كانت اللغة وسيلة مؤثرة في الدين بوصفها أداة تبليغ للآخرين ، و كلما كانت غنية في بلاغتها ، و أجادت التعبير عن التعاليم التي يبشر بها الدين كلما ساعدت على نشره و أرسخت مبادئه و رغبت فيه "[4].

و من هنا يمكننا القول بقوة العلاقة بين الدين و اللغة و تأثير كل منهما في الآخر " فبقدر ما يكون الدين منتشرا في المجتمع بقدر ما تكون علاقته باللغة أقوى تأثيرا و تأثرا ، و العكس صحيح في بعض الأحيان ، أي بقدر ما يبتعد أفراد المجتمع عن الدين تكون لغة هذا الدين ضعيفة في المجتمع "[5]. و هذا هو المفهوم الديني للتعريب الذي يربط بين الإسلام و العروبة ، بمعنى أن تتولى الأمة العربية اعتمادا على أصالتها الحضارية والثقافية ، و بناءا على لسانها الناطق بلغة القرآن المنزل قيادة المحيط الإسلامي . " و قد أبرز المفهوم الديني للتعريب ، في المغرب العربي الجناح الغربي لتيار [الجامعة الإسلامية] الذي قاده ابن باديس وجمعية العلماء

---

[1] – مولود قاسم – اللغة و الشخصية في حياة الأمم – الأصالة – العدد17/18 – ص52.

[2] – ابن مرسلي حسين – الرد التربوي لابن باديس – ص105.

[3] – البصائر السلسلة الأولى– السنة الثالثة – العدد21/أفريل1938م.

[4] – د.أحمد بن النعمان – التعريب بين المبدأ و التطبيق – ص103.

[5] – نفس المرجع – ص 103.

المسلمين بالجزائر ضد فرنسة الجزائر تمهيدا لتحويلها إلى امتداد فرنسي عبر البحر المتوسط .."[1]
و هذا الذي كان يرمي إليه ابن باديس للوقوف في وجه المستعمر و إبراز علاقة الدين باللغة كقوة ضاربة في وجه الاستعمار و مخططاته،للحفاظ على شخصية الأمة الجزائرية.

المطلب الثاني : الشيخ البشير الإبراهيمي آراؤه في اللغة العربية .

أولا : اللغة العربية قضية سياسية.

و الشيخ البشير الإبراهيمي- هو الآخر - عد السياسة من أنجع الوسائل في الدفاع عن اللغة العربية والحفاظ عليها ، فجعل منها قضية سياسية تهم جميع الجزائريين ، و في جميع المستويات ، عند الأحزاب والجمعيات و النواب و غيرهم...و قد كانت له صولات و جولات مع الحكومة الفرنسية حول مطالب جمعية العلماء عن اللغة و التعليم العربي الحر ، و الدين الإسلامي.

و يعد الإبراهيمي رائدا و متفردا بكتاباته التاريخية عن مأساة اللغة العربية في الجزائر في عهد الاستعمار ، خاصة منها القوانين التي وضعت لضرب التعليم العربي و اللغة العربية ، و قد سجل هذا الصراع مع المستعمر حول التعليم الحر و اللغة العربية في سلسلة مقالات نشرها في البصائر سنة 1949م بعنوان [التعليم العربي والحكومة] " تعد بحلقاتها التسع وثيقة تاريخية هامة صورت تطور الصراع العنيف بين الجزائر و الإدارة الاستعمارية حول قضية التعليم العربي الحر ، و فضحت أساليبها المتعددة في محاولة الحد من نشاط رجاله المخلصين ، بالترغيب حينا و بالترهيب أحيانا "[2]. يقول في إحدى هذه الحلقات : " كل الوسائل التي تتذرع بها حكومة الجزائر لمقاومة التعليم العربي هي: إما قوانين أصدرها مجلس الأمة في فرنسا ، في أوقات مختلفة ، ولأسباب متنوعة ، و إما قرارات إدارية فردية مصدرها الجزائر ، و مبناها على إيعازات بوليسية توجبها الروح الاستعمارية ..يحرم الاستعمار الفرنسي التعليم على مسلمي الجزائر و يفرضه على أبنائه في وطنه ، فاعجب لشيء واحد يحرم في وطن و يفرض في وطن . ومن عرف الاستعمار معرفتنا به لم يعجب و لم يندهش ، خصوصا في وطن كالجزائر لغته العربية ، و دينه الإسلام "[3].

كما دعا في السلسلة من المقالات الشعب الجزائري إلى تحدي هذه القوانين التي تعرقل التعليم العربي، وتجاهلها ، و مقاومتها مقاومة مشروعة ، و المضي في حركة التعليم و نشر العربية لأبناء الأمة مهما كانت

---

[1] - د.محمد عمارة - مسلمون ثوار - ص261 المؤسسة العربية للدراسات و النشر - بيروت لبنان -1979م.

[2] - عبد الرحمان شيبان - الإمام الشيخ محمد البشير الإبراهيمي و اللغة العربية - مجلة الثقافة - -العدد 87 - ص81 - السنة 15

[3] - البشير الابراهيمي - عيون البصائر - ص225 .

الشدائد ، و مهما طال الأمد.

و رغم أن الاستعمار تراجع عن هذه القوانين و أعلن في 20 سبتمبر سنة 1947م ترسيم اللغة العربية في التعليم الثانوي ، و هو ما يعتبر انتصارا شعبيا.. غير أنه بقي حبرا على ورق ، وبقيت معه فرنسا تحارب اللغة والتعليم العربيين .

و هذا ما جعل الإبراهيمي لا يسكت عن الجهر بكلمة الحق ، و المناداة في كل مناسبة ، و في كل مكان ، بأحقية الأمة الجزائرية في تعلم لغتها ، و أن تكون لها مدارسها و مؤسساتها الخاصة ، و إلغاء جميع القوانين التي تحد من ذلك .

فها هو يستشير في الأعضاء المسلمين بالمجلس الجزائري عروبتهم ، و دينهم ، و نخوتهم ، لعلهم يتحركون ويضغطون على الاستعمار من أجل رفع يديه و الكف عن ظلم هذا الوطن في دينه و لغته ، فكانت هذه الصيحة المدوية و هي[كتاب مفتوح إلى الأعضاء المسلمين بالمجلس الجزائري] يقول فيه : " أيها السادة..إن لغتكم العربية مصفدة بالسلاسل و الأغلال من القوانين و القرارات و إن مدارسها - على ضعفها و قلتها - معرضة للإغلاق ، و إذا كانت اللغة سائرة إلى المحو و الاندثار بسبب هذه التضييقات فإن النتيجة الحتمية لذلك هي محو الدين و اندثاره ، لأنها الوسيلة الوحيدة التي يتوقف عليها حفظه و بقاؤه "[1]. فكان الإبراهيمي مثل سلفه ابن باديس يتذرع بالسياسة و السياسيين ليدفعهم إلى تبني و حمل قضية غير سياسية لينصفوها و يعيدوا لها الاعتبار ، لتأخذ مكانها الطبيعي الذي وجدت له عبر العصور .

ثانيا : عروبة و وحدة الجزائر.

إن المعركة التي وقف الإبراهيمي لها نفسه مع الاستعمار ،هي معركة بقاء و وجود ، هي معركة الأمة تمايزها.. هي معركة الحرف العربي و عروبة الجزائر ، لهذا عمل الإبراهيمي كأخيه ابن باديس على تثبيت عروبة الجزائر عبر التاريخ و تمايزها عن فرنسا. و بخاصة في لغتها ، لأن القضاء عليها يعني القضاء على عروبة هذا الوطن و إسلامه و ثقافته و تراثه.. و هي أصول هذا الشعب و مقوماته ، فأخذ يناضل من أجل ذلك عشرات السنين "..لأن موضوع العروبة و العربية في الجزائر هو الذي قسمه الله لي ، و جعله ميدان أعمالي وأحاديثي و مجال قلمي عشرات السنين "[2]. و حين يدلل على عروبة الجزائر فإنه يستلهم لها التاريخ والواقع ، و يناقش كل المسائل المرتبطة بذلك . كما انه لا ينكر بعد ذلك ما أثبته التاريخ من أصل أمازيغي

---

[1] - البصائر السلسلة الثانية - العدد33 - السنة 3 - أوت 1948م.

[2] - البشير الإبراهيمي – أنا - مجلة الثقافة - العدد87 - السنة15.

للجزائر لأن العروبة فوق السلالات و فوق العرقيات . " و الإبراهيمي يميل في مناقشته لمسألة اللغة إلى طريق الإقناع فيبني حديثه على أسلوب التقابل ، فيعلل و يشرح كيفية حل المعادلات بعد أن يقدم الافتراضات "[1].

و قد عالج عروبة الجزائر في مقال بعنوان [اللغة العربية عقيلة حرة ليس لها ضرة] جاء فيه : " اللغة العربية في القطر الجزائري ليست غريبة و لا دخيلة ، بل هي في دارها و بين حماتها و أنصارها ، و هي ممتدة الجذور مع الماضي ، لأنها دخلت هذا الوطن مع الإسلام على ألسنة الفاتحين ترحل برحيلهم و تقيم بإقامتهم . فلما أقام الإسلام بهذا الشمال الإفريقي إقامة الأبد ، و ضرب بجرانه فيه أقامت معه العربية لا تريم و لا تبرح مادام الإسلام مقيما لا يتزحزح.

و من ذلك الحين بدأت تتغلغل في النفوس ، و تنساغ في الألسنة و اللهوات و تنساب بين الشفاه والأفواه ، يزيدها طيبا و عذوبة ، أن القرآن بها يتلى ، و أن الصلوات بها تبدأ و تختم ، فما مضى عليها جيل أو جيلان حتى اتسعت دائرتها وخالطت الحواس و الشواعر ، و جاوزت الإبانة عن الدين إلى الإبانة عن الدنيا ، فأصبحت لغة دين ودنيا معا ، و جاء دور القلم و التدوين فدونت بها علوم الإسلام و آدابه وفلسفته وروحانيته "[2].

و هو بهذا التدليل يثبت عروبة الجزائر و يرد على المستعمر و أذنابه الذين حاولوا " تقسيم الشعب بإحياء النزعة البربرية و تغذيتها في نفوس ضعاف العقول من الجزائريين بل و جند لها طائفة من أعوانه كان قد جندهم ثقافيا و اجتماعيا للقيام بتلك المهمة على أحسن وجه و هيأ لهم من الوسائل ما يمكن من بلوغ مقصده "[3] . فتصدى لهم الإبراهيمي و فند مزاعمهم ، و بين نوايا المستعمر من هذه النعرة ، و رد على الدعاوى القائلة بأن الأمازيغ – البربر – أكرهوا على الإسلام و على العروبة ، و أن اللغة العربية غريبة عن هذه الديار بحجة وجود لهجات مختلفة كثيرة..فيواصل حديثه في نفس المقال السابق فيقول : " و عرف العرب عن طريقها – أي العربية – ما لم يكونوا يعرفون ، و سعت إليها حكمة يونان ، تستمدها البيان، وتستعديها على الزمان فأمدت و أعدت. و طار إلى البربر منها قبس لم تكن لتطيره لغة الرومان ، و زاحمت البربرية فأحالتها عربية ، كل ذلك باختيار لا أثر فيه للجبر ، و إقناع لا يد فيه للقهر ، و ديمقراطية لا شيوعية فيها للاستعمار .وكذب وفجر كل من يسمي الفتح الإسلامي استعمارا ، و إنما هو راحة من الهم الناصب و رحمة من العذاب الواهب ، و إنصاف للبربر من الجور الروماني البغيض .

---

[1] –محمد عباس–الإبراهيمي أديبا – ص128

[2] –البشير الإبراهيمي–عيون البصائر–ص213

[3] –محمد مهداوي– الإبراهيمي نضاله و أدبه–ص88

من قال إن البربر دخلوا في الإسلام طوعا ، فقد لزمه القول بأنهم قبلوا العربية عنوة ، لأنهما شيئان متلازمان حقيقة و واقعا ، لا يمكن الفصل بينهما ، و محاولة الفصل بينهما كمحاولة الفصل بين الغرفدين ، و من شهد أن البربرية مازالت قائمة الذات في بعض الجهات ، فقد شهد للعربية بحسن الجوار ، و شهد للإسلام بالعدل و الإحسان ، إذ لو كان الإسلام دين جبرية وتسلط ، لمحا البربرية في بعض قرن ، فإن تسامح ففي قرن...فالعدل هو الذي أخضع البربر للعرب ، و لكنه خضوع الأخوة لا خضوع القوة...و العلم هو الذي طوع البربرية للعربية ، و لكنه تطويع البهرج للجيدة ، لا طاعة الأمة للسيدة ، لتلك الروحانية في الإسلام ولذلك الجمال في اللغة العربية أصبح الإسلام في عهد قريب صبغة الوطن التي لا تتصل و لا تحول ، وأصبحت العربية عقيلة حرة ليس لها بهذا الوطن ضرة ".[1]

" فليس – إذا – في المسألة مفاضلة بين العربية و البربرية إلا بما تمتاز به كل لغة منهما من خصال حضارية و جاذبية فطرية و نفسية "[2].

و حين تنشئ الحكومة الفرنسية موجة من الإذاعة الفرنسية باللسان القبائلي موجه إلى سكان القبائل ، يتصدى لهذا الأمر و يفضحه و يبين أن الهدف منه ليس سوى ضرب اللغة العربية و القضاء عليها ، و يرد على المستعمر في مقال بعنوان [موجة جديدة] يقول فيه : " ما هذه النغمة السمجة التي ارتفعت قبل سنين في راديو الجزائر بإذاعة الأغاني القبائلية و إذاعة الأخبار باللسان القبائلي ، إن القبائل مسلمون عرب ،كتابهم القرآن يقرأونه بالعربية ، و لا يرضون بدينهم و لا بلغته بديلا "[3]، و يقول في موضع آخر : " و قد فات هذه الحكومة التي تنفق أموال الأمة في مالا يفيدها ، أن اللهجات البربرية بهذا الوطن متعددة متباعدة بحيث لا يفهم أهلها بعضهم عن بعض "[4]

و هكذا يأتي الإبراهيمي على كل ادعاءات المستعمر يفندها جميعا ، فتتهاوى صريعة ، فيما لا يدع مجالا للشك في عروبة هذا الوطن ، و أنه لا يرضى غير العربية لغة ، لأنها هي الرابطة بين أفراده ، تاريخا وحضارة و عادات و تقاليدا و فنونا و تراثا لا يمكن لأي لغة أو لهجة أخرى أن تزاحمها في دارها في ذلك .

ثالثا : العربية و القومية .

ينطلق البشير الإبراهيمي في دعوته إلى القومية العربية كالشيخ ابن باديس ، لغرض بيان أن الأمة العربية هي

---

[1] – البشير الإبراهيمي – عيون البصائر – ص221/222.

[2] – محمد عباس – الإبراهيمي أديبا – ص126.

[3] – البشير الإبراهيمي– عيون البصائر – ص223.

[4] – نفس المصدر – ص 223.

الامتداد الطبيعي للجزائر ،بحكم علاقة الدين،و التاريخ،و التراث،و الأخلاق،و خصوصا اللسان العربي " إن الشعب الجزائري فرع باسق من تلك الدوحة الفينانة ، و زهرة عبقة من تلك الروضة الغناء ، عدت عليه عوادي الدهر ، فنسي مجد العروبة و لكنه لم ينس أبوتها.."[1]. و إذا كانت الجزائر لم تنس عروبتها فلأنها بكل بساطة مازالت تعد نفسها مرتبطة بالعرب و بالأمة العربية . يقول الإبراهيمي: " و قومي هم العرب أولا، والمسلمون ثانيا ، فهم شغل خواطري ، و هم مالئوا أرجاء نفسي و مالكو أزمة تفكيري "[2] . فالعرب هم قومه الحقيقيون ، و العربية هي لغته الطبيعية لهذا نجده دائم التفكير فيهم و في أحوالهم ، يتألم لآلامهم ، ويسعد لأفراحهم ، " و أفكر في قومي العرب فأجدهم يتخبطون في داجية لا صباح لها ، و يفتنون في كل عام مرة أو مرتين ، ثم لا يتوبون و لا هم يذكرون ، و أراهم لا ينقلون قدما إلى الأمام ، إلا تأخروا خطوات إلى وراء ، و قد أنزلوا أنفسهم من الأمم منزلة الأمة الوكعاء من الحرائر، عجزت أن تتسامى لعلاهن ، أو تتحلى بحلاهن ، فحصرت همها في إثارة غيرة حرة على حرة ، و تسخير نفسها لنصرة نكاية في ضرة.. "[3]. و إذا كانت الجزائر جزءا من هذه الأمة العربية التي ينتمي إليها كل جزائري ، فإن الرابطة التي تربطنا بهذه الأمة العربية هي اللغة ، التي تربط بين الأجزاء كلها " إن مواطن العروبة متفرقة متباعدة و إن الرابط الطبيعي بينهما هو هذه اللغة ، و قد ألم بها من أحداث الدهر ما أضعف تلك الرابطة ، حتى رثت حبالها.. و لكنها لم تبلغ بداء مبلغ هذا الداء العقام الذي نسميه الاستعمار ، و لو أنصفنا أسميناه الطاعون ، فهو الذي أخ عليها عن قصد و تعمد حتى كاد يزهق روحها ، لإيقانه بمبلغ تأثيرها في تثبيت الروابط بيننا. و من بلاء العربية أن هذا الداء تسلط على جميع أقطار العروبة فتمكن من حرب العربية في جميعها بوسائل شيطانية ، لولا عناية الله و ما أودعه فيها من القوة و المناعة لقضى عليها.. "[4] و يقول أيضا : "..فالعالم العربي بهذه العروبة المكينة كالجسد الواحد إذا ألم بجزء من أجزائه حادث أو نزلت به مصيبة تداعت له سائر الأجزاء بالنصرة والعون أو بالتوجع و الامتعاض .. و من آيات بغض الاستعمار لكلمة العروبة و نفوره منها أنه لا يريد أن يعترف بأثر من آثارها الطبيعية ، من تراحم و تعاطف "[5]. و بهذا تكون اللغة العربية عند الإبراهيمي" هي الحبل المتين الذي يشد أطراف الوطن العربي من المحيط إلى الخليج ، و هي سجل تاريخهم المشترك ، و وعاء حضارتهم

---

[1] - المصدر السابق – ص 35 /36.

[2] - نفس المصدر - ص546/547.

[3] - نفس المصدر - ص546/547 .

[4] - مجلة مجمع اللغة العربية -الجزء 16 - القاهرة 1963م.

[5] - البشير الإبراهيمي - عيون البصائر - ص479/480.

وهي مخزن كبير لكل ما لهذه الأمة من ذخائر في الفكر و الفلسفة و الدين والعلم و الآداب و غيرها من المكتسبات التي كونتها عبر مسيرة الزمن وتعاقب الأجيال "[1] . و العربية عند الإبراهيمي ليست فقط ترابطا في الفكر و الأدب و الدين و العلم و الفلسفة...بل هي كذلك ترابط بين العقليات والأفكار والمشارب والأذواق لذا نجده يقول : " فاللغة العربية منذ دخلت في ركاب الإسلام على الأمم التي أظلها ظله كانت سببا في تقارب تفكيرهم ، وتشابه عقليا تهم ، وتمازج أذواقهم ، وتوحيد مشاربهم ، وإن هذا لمن المناهج السديدة في توحيد الأمم المختلفة الأجناس ، ولولا العربية لاختلفت الأمم الإسلامية في فهم حقائق الدين باختلاف العقليات الجنسية "[2].

وإذا كانت هذه هي نظرة الإبراهيمي إلى القومية العربية وما يجب أن تمتاز به من ترابط وتلاحم وتآزر وامتداد تاريخي وحضاري فيما بين أجزائها المختلفة فهو يرد بعد ذلك بقوة على ادعاءات المستعمر بأن الشمال الإفريقي – المغرب العربي – لم يكن عربيا ولا امتداد له مع الأوطان العربي ة، فنجده يعد : "عروبة الشمال الإفريقي..عروبة فطرية طبيعية مهما اختلفت الأصول التي انحدرت منها الدماء ، ومهما تعددت مناورات الاستعمار في إثارة الدفائن والأحقاد ، وبث التفرقة بين أبنائه ، فهي عروبة راسخة الجذور ، قائمة على أسس ثابتة من دين ولغة وآداب ، ومنزع ، وتشريع ، وتاريخ ممتد ، ودين قويم "[3] ، يقول الابراهيمي في هذا المجال : "عروبة الشمال الإفريقي بجميع أجزائه طبيعية كيفما كانت الأصول التي انحدرت منها الدماء ، والينابيع التي جاءت منها العادات والتقاليد ، وهي أثبت أسسا ، وأقدم عهدا ، وأصفى عنصرا من إنجليزية الإنجليز وألمانية الألمان..قضت العروبة بقوتها وروحانيتها وسمو خصائصها ، وامتداد عروقها...وزاد العروبة تثبيتا وتمكينا في هذا الشمال هذه الأبجدية العربية الشائعة التي حفظت أصول الدين وحافظت على متون اللغة ودونت الآداب والشرائع ، وكتبت التاريخ ، وسجلت الأحكام والحقوق ، وفتحت الباب إلى العلم وكانت السبيل إلى الحضارة ، كل هذه العوامل صيرت هذا الشمال عربيا قار العروبة على الأسس الثابتة ، من دين عربي ، ولغة عربية ، وكتابة عربية ، وآداب عربية ، ومنازع عربية ، وتشريع عربي. جاء التاريخ – وهو الحكم في مثل هذا – فشهد وأدى ، وجاءت الجغرافيا الطبيعية فوصلت هذا الشمال بمنابت العروبة من جزيرة العرب...وأن غروبة هذا الوطن جرت في مجاريها طبيعية مناسبة لم يشبها إكراه ،

---

[1] –محمد مهداوي–الإبراهيمي نضاله و أدبه–ص96

[2] – البشير الابراهيمي – آثار الإبراهيمي– الجزء الأول – ص263.

[3] – عبي الدين صابر – محمد البشير الإبراهيمي والدعوة القومية – مجلة الثقافة – العدد87 – السنة15 – ص111 – شعبان/رمضان 1405هـ – مايو/يونيو 1985م.

ولم يشبها عنف ، ولم يؤثر فيها عامل دخيل ، ولم تقم على تحليل أو استغلال ، وإنما هي الروح عرفت الروح ، والفطرة سايرت الفطرة ، والعقل أعدى العقل... إن كل ما يحتج به النادحون في عروبة هذا الشمال هو حجة عليهم ، فالدول التي قامت فيه – كالمتونية ، والرستمية ، والموحدية ، والصنهاجية ، والمدينية ، والزيانية – ليس لها من البربرية إلا النسبة العرقية ، وهي فيما عدا ذلك عربية صحيحة : عربية في الضروريات المقومة للدولة ، كوظائف القلم من إدارية ومالية ، ووظائف القضاء من عقود وتسجيلات ، وعربية من الكماليات التي تقتضيها الحضارة والترف ، كالغناء والموسيقى والشعر ، فما علمنا أن شعراء البلاط في تلك الدول تقربوا إلى الملوك بالشعر البربري إلا أن يكون في النادر القليل وفي حال الاصطباع بالبداوة الأولى "[1].

هذا الدفاع عن عروبة الشمال الإفريقي ، وعن ارتباط الجزائر بالوطن العربي ، وعن دور اللغة العربية في توحيد أجزاء هذا الوطن ، جعل الإبراهيمي لا يغفل عن الحديث والكتابة عن أي جزء من الأقطار العربية في محنها و أفراحها " فقد كتب عن الحجاز والمدينة المنورة وبلاد الشام ، وخص القضية الفلسطينية بأوفر ما كتبه كاتب مغربي ، كما كتب عن مصر ، والعراق ، إضافة إلى كتاباته عن أقطار المغرب العربي ، تونس ، والمغرب الأقصى ، وليبيا ، كل ذلك من أجل تأكيد اللحمة العربية ، وانطلاقا من شعوره بالانتماء إلى الأمة العربية ، وانتماء الشعب الجزائري إلى هذا الوطن الأرحب الذي يمتد من المحيط إلى الخليج "[2].

والإبراهيمي بهذا التحليل يكون قد أعطى مفهوما حضاريا للقومية العربية والوحدة العربية مما يدعو إليه مفكروا العروبة والقومية العربية اليوم .

رابعا : العربية والإسلام .

يرى الإبراهيمي أن العلاقة بين العربية والإسلام متينة ومتحدة بحيث لا يمكن فصلهما عن بعض مهما تعددت الأسباب واختلفت الظروف ، ومهما كانت الدواعي إلى ذلك ، لأنهما متلاحمان متفاعلان يؤثر كل منهما في الآخر سلبا و إيجابا ، لأنه " كما ترتبط اللغة بالثقافة ترتبط بالدين أيضا ، وخاصة إذا كان الدين سماويا

---

[1] – البشير الإبراهيمي – عيون البصائر – ص77/78/79/80 .

[2] – د.محي الدين صابر – محمد البشير الإبراهيمي والدعوة القومية – مجلة الثقافة – العدد87 – السنة15. – ص110 .

وقد وردت كتابات الإبراهيمي عن الأقطار العربية في الأعداد التالية من البصائر

– العدد 5 لسنة 1947م ، الأعداد 21/22/23/24/25/30/35/40/41/52/53/60 لسنة 1948م ، العددين 112/113 لسنة 1950م .

العدد 174 لسنة 1951م ، العدد 178 لسنة 1952م .

وقد نزل بتلك اللغة ، كما هو الشأن بالنسبة للإسلام واللغة العربية ، إذ تدعم اللغة العربة الدين الإسلامي وتنشره كما ينشر الدين الإسلامي اللغة العربة ويفرضها على الألسن لكونها لغة تأدية شعائره.."[1] ، يقول الإبراهيمي في هذا الشأن : " لغة الأمة هي ترجمان أفكارها ، وخزانة أسرارها ، والأمة الجزائرية ترى في الأمة العربية – زيادة على ذلك القدر المشترك – أنها حافظة دينها ، ومصححة عقائدها ، ومدونة أحكامها ، وأنها صلة بينها وبين ربها...فهي لذلك تشد عليها يد الضنانة ، وما ترد أن تبدل بها لغات الدنيا ، وإن زخرت بالآداب ، وفاضت بالمعارف...وهي قبل وبعد كل شيء حاضنة الإسلام ، ودليله إلى العقول ، وقائده إلى الأفكار ، دخلت به إلى الهند والصين، وقطعت به البحار والفلوات.."[2].

فاللغة العربية بهذا المفهوم هي اللسان الرسمي للدين الإسلامي ، وهي ترجمان حاله في كل المجالات ، ومبلغة مفاهيمه وأبعاده وأحكامه في كل حين ، لذا كان حقا على الأمة أن تتعلم لغتها لتعرف دينها ، وتتفقه لغتها لتتفقه دينها..يقول الإبراهيمي :" اللغة العربية هي لغة الإسلام الرسمية ومن ثم فهي لغة المسلمين الدينية والرسمية ، ولهذه اللغة على الأمة الجزائرية حقان أكيدان ، كل منهما يقتضي تعلمهما فكيف إذا اجتمعا ، حق من حيث أنها لغة دين الأمة ، بحكم أن الأمة مسلمة ، وحق أنها لغة جنسها ، بحكم أن الأمة عربية الجنس ، ففي المحافظة عليها محافظة على جنسية ودين معا.."[3].

ولما كانت العلاقة بين الدين واللغة تمثل هذا المفهوم ، عمل المستعمر كل جهده للقضاء عليها ، لأن في موتها موتا للإسلام ، وفي بقائها بقاء للإسلام ، وهذا ما لا يريده المستعمر ، فإذا علمنا هذا ، عرفنا أن مشكل العروبة والعربية في الجزائر سببها الاستعمار لأنه عدو للعربية وللدين ، وهذا ما أشار إليه الإبراهيمي في قوله: " وبيان ذلك مع الإيجاز أن الاستعمار الفرنسي صليبي النزعة فهو – منذ احتلال الجزائر – عامل على محو الإسلام لأنه الدين السماوي الذي فيه من القوة ما يستطيع به أن يسود العالم ، وعلى محو اللغة العربية لأنها لسان الإسلام ، وعلى محو العروبة لأنها دعامة الإسلام ، وقد استعمل جميع الوسائل المؤدية إلى ذلك ، ظاهرة وخفية ، سريعة ومتأنية ، وأوشك أن يبلغ غايته بعد قرن من الزمن متصل الأيام والليالي في أعمال المحو لولا أن عاجلته جمعية العلماء المسلمين الجزائريين على رأس القرن بالمقاومة لأعماله ، والعمل على تخييب آماله "[4].

فالاستعمار بنزعته الصليبية اندفع للقضاء على اللغة العربة والإسلام ، لأن في القضاء على أحدهما يعني القضاء

---

[1] – محمد مهداوي – الإبراهيمي نضاله وأدبه – ص81.

[2] – البشير الإبراهيمي – عيون البصائر – ص910.

[3] – نفس المصدر – ص24.

[4] – مشكلة العروبة في الجزائر – محاضرة للشيخ البشير الإبراهيمي في ندوة الأصفياء سنة 1952م – ص207 – دار مصر للطباعة 1955 م.

على الآخر وهذا الذي أدركه رجال جمعية العلماء المسلمين وفي مقدمتهم الإبراهيمي — رحمه الله — الذي كان يؤمن إيمانا راسخا بأن اللغة العربي هي وعاء الإسلام وحافظة قرآنه وتراثه ؛ وأن المحافظة على اللغة في الجزائر يعني بقاء الإسلام في الجزائر وبقاء العروبة في الجزائر ، وأن محاولة فرنسا القضاء عليها إنما يستهدف عروبتها وإسلامها في الدرجة الأولى ، وهذا الذي لن يكون أبدا .

خامسا : العربية والبعد الحضاري .

اللغة العربية التي هي لغة الوطن ، ولغة القومية ، ولغة الدين ، لا يمكن لها إلا أن تكون لغة حضارة ومدنية لكل الأمم التي قبلت الإسلام دينا والعربية لغة ، وهذه النظرة هي التي امتاز بها الإبراهيمي عن غيره ، بحيث كان يرى بعمق ، ويعي بدقة ، الأبعاد الحضارية لهذه المسألة ، وتحليله العلمي الدقيق لكل جوانبها المختلفة ، التاريخية ، والسياسية ، والاجتماعية ، والثقافية ، وبخاصة فهمه العميق لوظيفة اللغة في تطور الأمم والمجتمعات، وصناعة الحضارة والمدنيات ، يقول الأستاذ عبد الرحمان شيبان : أن الإبراهيمي " قد أولى هذه القضية الخطيرة عناية كبيرة ، فلم تمنعه فترة الاستعمار الحالكة من معالجتها معالجة علمية دقيقة ، فبين ما تنطوي عليه اللغة العربية ذاتها من أسباب القوة وعناصر الكمال ، وما تتميز به عن سائر اللغات ، ثم فصل القول في أفضالها على العلم والمدنية بالرغم مما كان يدعيه الاستعمار "[1].

فاللغة العربية لو لم تكن لغة مدنية وحضارة ، وفيها من الخصائص ما يؤهلها لأن تكون كذلك ، وتحتضن جميع النظم والعلوم والفنون والفلسفات...وتصوغها بخصائص العربية لتكون بها حضارة متميزة، غير التي أخذت منها ، يقول الإبراهيمي في هذا : " لو لم تكن اللغة العربية لغة مدنية وعمران ، لو لم تكن لغة متسعة الآفاق ، غنية بالمفردات والتراكيب ، لما استطاع أسلافكم أن ينقلوا إليها علوم اليونان وآداب فارس والهند لألزمتهم الحاجة إلى تلك العلوم بتعليم تلك اللغات ، ولو فعلوا لأصبحوا عربا بعقول فارسية وأدمغة يونانية ، ولو وقع ذلك لتغير مجرى التاريخ الإسلامي برمته .

لو لم تكن اللغة العربية لغة عالمية لما وسعت علوم العالم ، وما العالم إذ ذاك إلا هذه الأمم التي نقل عنها المسلمون"[2].

وهذا دون شك فلسفة عميقة وشاملة للتعريب تفرد بها أسلافنا وتفردت بها اللغة العربية بين اللغات ، ويواصل الشيخ الإبراهيمي شرحه لهذا المفهوم بقوله : " قامت اللغة العربية في أقل من نصف قرن بترجمة

---

[1] - عبد الرحمان شيبان — الإمام الشيخ محمد البشير الإبراهيمي واللغة العربية -مجلة الثقافة - العدد 87 - السنة15 - ص77/78 .

[2] - البشير الإبراهيمي — آثار الإبراهيمي- الجزء الأول - ص261.

علوم هذه الأمم ونظمها الاجتماعية وآدابها ؛ فرعت الفلسفة بجميع فروعها ، والرياضيات بجميع أصنافها ، والطب والهندسة والآداب والاجتماع ، وهذه هي العلوم التي تقوم عليها الحضارة العقلية في الأمم الغابرة والحاضرة ، وهذا هو التراث العقلي المشاع الذي ما يزال يأخذه الأخير عن الأول ، وهذا هو الجزء الضروري في الحياة ، الذي ما إن تنتقله إليك فيكون قوة فيك ، أو أن تنقل إليه في لغة غيرك فتكون قوة في غيرك ، وقد تفطن أسلافنا إلى هذه الحقيقة فنقلوا العلم و لم ينتقلوا إليه "[1] وهذا الأخذ المتنوع والمتعدد المصادر تكون اللغة العربية قد قدمت خدمات جليلة وعظيمة لجميع الأمم ، لأنها قاربت بين جميع العلوم والفلسفات والنظم..لتتقدم بعد ذلك في صورة أخرى متكاملة وبخصائص أخرى لجميع الأمم..يقول الإبراهيمي : " إن اللغة العربية لم تخدم مدنية خاصة بأمة ، وإنما خدمت الإنسانية العامة ، مدنية الخير العام والنفع العام، و لم تخدم علما خاصا بأمة وإنما خدمت العلم المشاع بين البشر بجميع فروعه النافعة ، ومن يستقرئ خاصة هذه اللغة لعلم الطب وحده يتبين مقدار ما أفاءت هذه اللغة على البشرية من خير ونفع "[2].

وبهذا يكون الفضل الوافر فيه للغة العربية بتأثيرها حتى في الحضارة الحديثة " إن كثيرا من العلوم التي بنيت عليها الحضارة الغربية لم تصلها إلا على طريق اللغة العربية بإجماع الباحثين منا ومنهم ، وإن المنصفين منهم ليعترفون للغة العربية بهذا الفضل على العلم والمدنية ويوفونها حقها من التمجيد والاحترام "[3].

و لم يقف تأثير اللغة العربية على هذه الأمم في مجال الحسيات والعقليات ، بل تعداه إلى مجال الوجدانيات والعواطف والانفعالات النفسية " إن اللغة العربية هي التي قاربت بين الفكر الفارسي المنفعل القلق ، وبين الفكر البربري الرصين الهادئ ، ثم هيأت لكل فكر قابليته ، واللغة العربية هي التي سهلت لهذه الأمم المختلفة أسباب العلم والمدنية ، ومهدت لها الطرائق المؤدية إليها حتى أخذت كل أمة حصتها منها "[4] .

وما كان للغة العربية أن تحقق كل هذا لولا الخصائص ، والمميزات ، والدقائق ، والأسرار ، والقدرة العلمية والفنية التي تملكها وتتميز بها عن غيره ا، والتي أمدت علماء الإسلام والعربية بها ليقوموا بما تمليه عليهم من واجب خدمة الإنسانية والعلم والحضارة ، " فاللغة العربية هي التي أفضلت على علماء الإسلام بكنوزها ودقائق أسرارها ، وأمدتهم بتلك الثروة الهائلة من المصطلحات العلمية والفنية التي تعجز أي لغة من لغات العالم عن إحضارها بدون استعانة واستعارة ، فبحثوا في كل علم ، وبحثوا في كل فن ، وملئوا الدنيا مؤلفات

---

[1] – المصدر السابق – ص261.

[2] – نفس المصدر – ص262/261/260 .

[3] – نفس المصدر – ص 262/261/260.

[4] – نفس المصدر – ص 263/262.

ودواوين ، ومن عرف كتاب أبي حنيفة الدينوري في النبات ، وكتاب أبي عبيدة في الخيل ، وكتاب الهمداني في تخطيط جزيرة العرب ، وكتاب الجاحظ في الحيوان ، وكتب الأنمة في الطب والنجـــوم والإبـــل ، رأى العجب من اتساع هذه اللغة وغزارة مادتها ، وعلم مقدار أفضالها على الأمة العربة ، كما أنه من يقرأ شـــعر شعراء النفسيين من الفرس بهذه اللغة ، وشعر شعراء الوصافين من الأندلس ، يتجلى له أي أفضال أفضلتـــه العربية على تلك القرائح الوقادة التي وجدت في العربية فيضا لا ينقطع مدده "[1].

وللعجب أن اللغة العربية قامت بكل هذا الإنجاز الحضاري والعلمي والمدني لوحدها ، في وقت تعجز فيـــه كثير من اللغات عن ذلك إلا إذا اجتمعت وتعاونت فيما بينها ، يقول الإبراهيمي : " ومن العجائب أن هذه الحضارة القائمة الآن تساندت في تكوينها وفي تلوينها عدة لغات مختلفة الأصول ، و لم تستطع أن تقوم بها لغة واحدة ، على حين أن العربية قامت وحدها ببناء حضارة شامخة البنيان و لم تستعر من اللغات الأخـــرى إلا قليلا من المفردات "[2].

هذا هو فضل العربية على أمة العروبة وعلى أمة الإسلام ، بل وعلى الإنسانية جمعاء ، فهل يعي المســـلمون والعرب – خاصة منهم الجزائريون – ما يمكن أن تقوم به لغتهم العربية اليوم في ميدان العلم والحضارة ، لـــو وجدت من أهلها الرعاية والعناية والاهتمام ؟؟!

---

[1] – المصدر السابق – ص261/262.

[2] – نفس المصدر – ص262/263.

الخاتمـــــــة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الخاتمـــــــة

وهي عبارة عن أهم النتائج المتوصل إليها في هذه الدراسة وقد أوردتها في شكل نقاط مختصرة كما يلي :

أولا : قبل دخول الاستعمار واحتلاله للجزائر ، كان لهذا الوطن ثقافته وتراثه وتاريخه وأدبه.. الخاص به ، مكتوب بلغة واحدة هي اللغة العربية دون غيرها ، وهذه اللغة كانت مزدهرة من خلال وجـــود العلمـــاء والأدباء والمفكرين والفلاسفة...ووجود مراكز ومؤسسات وخاصة ثقافيـــة وعلميـــة وتربوية متنوعـــة ومتعددة..ووجود إنتاج أدبي وفكري وثقافي متنوع...وكانت اللغة منتشرة في كل مكان حـــتى أن نســـبة الأمية كانت قليلة جدا بالمقارنة مع دول أخرى .

ثانيا : أن قضية اللغة لم تطرح إطلاقا قبل الاحتلال ، وأنه لم تكن هناك لغة أخرى تنافس اللغة العربية ، ـــي كانت هي لغة التعامل والحوار ، لغة التعليم والثقافة والأدب . لغة التفكير ، لغة الإدارة والمراســـلة ، لغـــة الخطابة ، ولم تنافسها في ذلك أي لغة أخرى – إلا ما كان في بعض جوانب الإدارة من اســـتعمال للغـــة التركية أحيانا – .

ثالثا : عند دخول الاستعمار محتلا أرض الجزائر عمل بكل قوة ومستعملا كل الوسائل لضرب اللغة العربيـــة والقضاء عليها حتى لا تقف في طريقه بقوة روحها فتعرقل مخططاته ، فعمل على تهميل التعليـــم ، وتهـــديم المؤسسات التي تحتضن هذه اللغة وتعلمها ، وقتل وتهجير العلماء والمثقفين والأدباء والعلماء..الذين يحملـــون هذه اللغة ويعلمونها ويبشرون بها بين الناس.. وعزل الجزائر عن العالم الخارجي ، ومسح ومسخ كل التراث من أجل القضاء على اللغة العربية.

رابعا : عمل المستعمر للقضاء على اللغة العربية على إحلال لغة أخرى محلها ، إلى استبدال لغة بلغة أخـــرى . فأصبحت الفرنسية هي لغة الإدارة ولغة التعامل ، ولغة المراسلة ، ولغة التعليم ، ولغة الإعـــلام ، خـــلال القوانين والمراسيم وقوة التنفيذ حتى كادت اللغة العربية أن تزول لولا ركونها إلى زوايا ضيقة جدا .

خامسا : لأول مرة في تاريخ الجزائر – إبان الاحتلال – تطرح القضية اللغوية وبشكل غريب جدا ، هـــل هي اللغة العامية بحروف لاتينية ؟ أم هي اللغة الفرنسية لغة العلم والحضارة ؟ أم هي اللغة الأمازيغيـــة لغـــة التاريخ والتراث والأمجاد ؟ كما يزعم المستعمر ، وأبعدت اللغة العربية نهائيا كأن لا وجود لها .

سادسا : تفرنس المحيط الجزائري وانتشرت الأمية وتقهقرت اللغة العربية ، وتقهقرت معها الحركة الأدبيـــة والثقافية..ولم يعد للغة العربية أي دور وأي سلطان في حياة الناس وواقعهم.

سابعا : كانت نقطة البداية في عمل جمعية العلماء المسلمين الجزائريين هي النهوض بالعقلية الجزائرية وتحريرها من الاستعمار وتخطيطاته ولاسترجاع شخصية وهوية هذه الأمة لتعرف ذاتها ونفسها وتتطلع نحو المستقبل بكل خوف ولا وجل . لذا كانت معركة إثبات الحرف العربي من أهم المعارك التي خاضتها جمعية العلماء .

ثامنا : كانت خطة جمعية العلماء أن تكون اللغة العربية في كل شيء وبكل شيء ولامس ذلك تأثيرها كل فئات المجتمع ، من خلال الصحافة ، والمساجد ، والمدارس ، والنوادي ، والجمعيات ، والمنظمات والأحزاب، فاستطاعت أن تجد للغة العربية كل هذه المؤسسات ، فأسست بذلك ما يشبه دولة داخل دولة من خلال هذه المؤسسات ، و من خلال التمرد على القوانين الفرنسية الاستعمارية .

تاسعا : يمكن القول أن اللغة العربية أشرفت على الاضمحلال هذه الديار لولا أن تداركتها جمعية العلماء وأخذت بيدها وانتشلتها من الحضيض الذي وصلت إليه . فاستعادت على يدها شبابها ، وأصبحت الجزائر في مدة قصيرة تفاخر أمصار العربية الكبرى ومنابتها الأصلية بأدبها وكتابها وشعرائها ونهضتها الأدبية والثقافية التي صنعتها..

عاشرا : استطاعت الجمعية أن تجعل من العربية هي القضية الأولى لدى الجزائريين أعطت لها مفهوما حضاريا وحدويا دينيا ، يرتبط مع الماضي ويمتد نحو المستقبل ، ويشمل كل من يتكلم العربية . فكان بذلك كل الجزائريين يلوذون بها كردة فعل مباشرة لتحدي الاستعمار ، وكنوع من التعويض بنجوتهم إلى ماضي لغتهم المجيد .

حادي عشر : تعتبر هذه المرحلة 1931م/1951م بحق مرحلة التعريب الحقيقي ، وتجربة رائدة كان لها انعكاسها على الثورة التحريرية ، فهي تجربة رائدة بلا شك في التعليم والإدارة والإعلام . والثقافة بشكل عام بل وكان ذلك سببا مهما في دفع عجلة التعريب والتعليم العربي في الجزائر في سنوات الاستقلال الأولى خاصة ، لأنها هي التي حملت رسالة الأدب والثقافة فيما بعد إلى الجيل اللاحق .

ثاني عشر : إن اللغة العربية بكل اختصاصاتها سواء علم النحو أم البلاغة ، أم فقه اللغة ، أم الأدب العربي ، أم النقد ، أم العروض ، كل ذلك كان مطلب الجمعية التي لم تكن مستعدة لأن تأخذ جزءا وتترك الآخر فلم يحدث أن فرطت في شيء من ذلك بحجة أن الزمن قد تجاوزه .

ثالث عشر : يمكن تفسير إصرار جمعية العلماء المسلمين الجزائريين على اللغة العربية لأنها ترى فيها — كما يرى ابن حزم – أن الأمة إذا فقدت دولتها وسلطتها ضعفت لغتها واندثرت ، فكانت دعوتها إلى التمسك باللغة دعوة واضحة لإقامة الدولة التي تحفظ اللغة المعبر القوي عن المستوى الحضاري لأمة ما .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

رابع عشر : نجحت الجمعية في إلفات الأنظار إلى تاريخ [illegible] العربي ، فاعتبرى الشعب يقاوم المستعمر دفاعا عن لغته مقاومة لم تقل حدتها وضراوة عن مقاومته من أجل حرية أرضه .

خامس عشر : كان من عمل الجمعية أن استطاعت اللغة العربية أن تسترد مكانتها . فوجد نخبة من المثقفين باللسان العربي المبين ، فكان منهم المصلح الداعية ، والمربي الرائد . والكاتب الهادف ، والمبدع الشاعر . والمنافح الصحافي ، والحاذق الأديب ، والخطيب المصقع . والناقد البصير ، والمؤرخ الذكي... فاسترجعت الجزائر وجهها الحقيقي وأصالتها العميقة .

سادس عشر : استطاعت الجمعية أن تجعل من اللغة العربية كما كانت ، لغة عقيدة ، ولغة ثقافة ، ولغة خطاب بين الناس وبين المتعلمين من أبنائها ، ولغة علم وأدب وفكر وفن وتقنية وحضارة ، وأحد الكتاب يطوعونها للتعبير عن عواطفهم وأفكارهم بلغة فنية راقية ظهرت في الإنتاج الأدبي كله . من الشعر إلى المسرح والمقالة ، والنقد والخطابة . والقصة . والتراجم . والبحث والدراسة وغيرها . فعادت اللغة إلى سابق عصرها وسالف أزمانها .

سابع عشر : أن أغلب الكتاب والشعراء والمثقفين الذين برزوا في تلك الفترة تعلموا العربية وتشبعوا بروحها في أحضان جمعية العلماء ومؤسساتها ، بل تعدى ذلك أن تحول بعض المتعلمين بالفرنسية إلى العناية بالعربية وعشقها ثم حذقها والبراعة فيها ، حتى أصبحوا من معلميها وأساتذتها وهذا كله بفضل جمعية العلماء ومؤسساتها وتأثيرها .

ثامن عشر : استطاعت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين إحداث نهضة ثقافية واسعة . استطاعت أن تقف في وجه التيارات الفكرية و الثقافية التغريبية الفرنسية ، و أن توجد لها حيزا واسعا في الثقافة العربية و الفكر العربي بالكتابات و المساهمات التي أبدعها رجال و تلاميذ الجمعية في جميع الميادين الثقافية و الفكرية في ذلك الوقت .

تاسع عشر : الواقع أن جمعية العلماء لعبت دورا بالغ الأهمية في تاريخ الجزائر الحديث بل لا نغالي إذا قلنا إنها هي المنظمة الوحيدة التي يعود إليها الفضل في بقاء الإسلام والعربية بكل أبعادها الحضارية في الجزائر حتى اليوم ، وتجنبت الجزائر من مخاطر سياسة الإدماج والفرنسة .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ملـــــــــــحق

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ملحـــق

ملحق خاص بالأدباء والشعراء والمفكرين من أعضاء وعلماء وتلامذة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين . الذين كانوا يساهمون بإنتاجهم ، خاصة الأدبي منه في صحف جمعية العلماء ، وقدموا خدمات جليلة للأدب الجزائري واللغة العربية ، وحافظوا على لسان هذه الأمة ، و هذا بإشارة موجزة ، وعبارة مختصرة ، وأحلنا على بعض المراجع لمن أراد التوسعة .

1- محمد الأمين العمودي :

ولد سنة 1890م وتوفي سنة 1957م.

من رجال الحركة الإصلاحية ، شارك في تأسيس جمعية العلماء وكان كاتبا عاما لها.

كان شاعرا مقلا ، وأديبا وكاتبا باللسانين العربي والفرنسي ، اشتغل بالمحاماة في بسكرة ، يعتبر من زعماء الحركة الأدبية في الجزائر في وقته ، ومن فحول اللغتين العربية والفرنسية ، وهو خطيب بليغ ، وكاتب مبدع، متعدد المواهب .

كتب في حل صحف الجمعية ، كما كانت صحف الجزائر بين الحرب العالمية الأولى والثانية لا تخلو من كتابات العمودي [كالنجاح] ، و [الاقدام] ، و [والإصلاح] ، و [صدى الصحراء] ، كما أصدر جريدة [الجحيم] مع السعيد الزاهري لكشف خصوم الشعب ومهاجمة الاستعمار.

اغتاله المنظمة السرية الفرنسية أثناء الثورة التحريرية [1].

2- محمد السعيد الزاهري :

ولد سنة 1899م وتوفي سنة 1957م .

حاصل على شهادة التطويع من تونس ، أحد تلاميذ وأعضاء جمعية العلماء.

عين ممثلا لها بالغرب الجزائري ، فاشتغل بالمدارس الحرة التي تشرف عليها الجمعية وتنقل بين الأغواط وتلمسان والجزائر العاصمة.

---

[1] - انظر - د نور سلمان — الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرير.

- د.محمد ناصر — الشعر الجزائري الحديث .

- د.أحمد دوغان — شخصيات من الأدب الجزائري المعاصر - المؤسسة الوطنية للكتاب - الجزائر 1989م.

- د صالح خرفي — من أعماق الصحراء - دار الغرب الإسلامي- بيروت لبنان- 1991م.

- أ.حمزة بوكوشة مقال [الأمين العمودي] - الثقافة - العدد 66 - السنة 01 - ذو القعدة 1391هـ / جانفي 1972م.

السالحي — محمد الأمين العمودي الشخصية المتعددة الجوانب — المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر.1988م.

كان أديبا بارعا وشاعرا مصلحا ، عنيفا في نقده للطرقية وهجومه على البدع.

كتب في [الشهاب] ، و [الصراط] ، كما كان يكتب بصحف المشرق العربي في النصف الأول من القرن العشرين ، نشر في [الفتح] في القاهرة ، كما نشر في [الرسالة] ، و في [المقتطف] ، وفي جريدة [النهضة التونسية].

له بعض المؤلفات منها : [الإسلام في حاجة إلى دعاية وتبشير] عالج كتابة القصة ، والمقال الإصلاحي والقصيدة الشعرية ، وقد قتل أثناء الثورة التحريرية [1].

3- حمزة بوكوشة :

ولد سنة 1907م وتوفي سنة 1908م.

حاصل على شهادة التطويع من تونس

-1931م حضر الاجتماع التأسيسي لجمعية العلماء ، وعين عضوا نشيطا فيها.

- 1936م انتقل إلى تيزي وزو لإدارة مدرسة هناك، ثم انتقل إلى قسنطينة لمساعدة ابن باديس في دروس الجامع الأعظم.

- 1938م انتخب عضوا في المجلس الإداري لجمعية العلماء.

- 1938م أرسلته الجمعية إلى ليون بفرنسا لإلقاء محاضرات ودروس للمهاجرين هناك

- 1944م أسندت إليه نيابة الكاتب العام لجمعية العلماء .

- 1947م عين في هيئة تحرير البصائر الثانية.

- 1956م باشر التدريس بفرع معهد ابن باديس ببلكور بالجزائر

-1948م زار المغرب واتصل بشخصيات مغربية علمية كثيرة تبادل معها الرأي حول النهضة الثقافية والوطنية في الجزائر ، نشر حول رحلته إلى المغرب مقالا طويلا بالبصائر الثانية تحت عنوان [أربعون يوما في المغرب الأقصى][2].

يعتبر كاتبا اجتماعيا قديرا ، وشاعرا وأديبا كبيرا ، وناقدا ، خفيف الروح والحركة سريع الجواب ، بديع

---

[1] - انظر - د.عبد المالك مرتاض – فنون النثر الأدبي في الجزائر .

- د.نور سلمان – الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرير.

- د.محمد ناصر - الشعر الجزائري الحديث .

- د.صالح خرفي – محمد السعيد الزاهري.

[2] - نشر في البصائر الثانية – العدد60 لسنة 1948م.

الخطاب ، أغلب كتاباته وأشعاره بالبصائر الثانية [1].

4- أحمد رضا حوحو :

ولد سنة 1911م وتوفي سنة 1956م.

درس في الكتاب ثم سافر إلى مصر والحجاز وتخرج من هناك .

- 1946م ينظم إلى جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، كان مديرا لمدرسة التربية والتعليم بقسنطينة.
- 1947م يعين كاتبا عاما لمعهد ابن باديس إلى أن استشهد سنة 1956م .
- أصدر جريدة أسبوعية سماها [الشعلة] سنة 1946م . وأسس جمعية المزهر القسنطينية .
- سنة 1947م يعين كاتبا عاما لمعهد ابن باديس إلى أن استشهد سنة 1956م .

يعتبر أديبا وقاصا ورائدا في فن القصة والمسرح في الحجاز والجزائر . كتب الكثير من المقالات والدراسات النقدية والقصص والمسرحيات خاصة في البصائر.

يمتاز أسلوبه بالسخرية ، ولعله أول من استعمل هذا النوع من الأساليب في الأدب الجزائري ، ألف ما يربو عن ثلاث عشرة مسرحية ، ومن مؤلفاته : غادة أم القرى سنة 1947م ، حمار الحكيم سنة1953م ، أحاديث قصصية سنة1954م ، قصص قصيرة ونماذج بشرية سنة 1955م[2].

5- محمد المنصوري الغسيري :

ولد سنة 1912م وتوفي سنة 1974م.

تتلمذ في البداية على يد الشيخ محمد خير الدين ببسكرة بمدرسة الإخاء الإصلاحية ،.

---

[1] - انظر — د.عبد المالك مرتاض — فنون النثر الأدبي في الجزائر .
- د.عبد المالك مرتاض — الثقافة العربية .
- د.محمد ناصر — الشعر الجزائري الحديث .
- الشيخ محمد الصالح بن عتيق — أحداث ومواقف .
- صالح خرفي - شهيد الثورة الجزائرية أحمد رضا حوحو في الحجاز 1934م/1945م - دار الفكر الإسلامي — بيروت لبنان - الطبعة الأولى 1412هـ — 1992م.

[2] - انظر — د.عبد المالك مرتاض — فنون النثر الأدبي في الجزائر .
- د.صالح خرفي - من أعماق الصحراء .
- د.نور سلمان - الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرير .
- د.أحمد دوغان - شخصيات من الأدب الجزائري المعاصر .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- سنة 1932م انتقل إلى قسنطينة وانتظم في دروس الشيخ عبد الحميد بن باديس.

- وفي سنة 1937م يعين مدرسا بمدرسة التربية والتعليم بقسنطينة ، ثم عضوا بلجنة التعليم العليا ثم مفتشا بمدارس الجمعية ، ثم يعين مديرا لمدرسة الإرشاد بسكيكدة ، كما كان يشرف على تحرير مجلة [الحياة] التي تصدر عن الكشافة الإسلامية الجزائرية التي كان قائدا لها .

- وفي سنة 1953م قام برحلة جاب خلالها معظم أقطار المشرق وصور انطباعاته حول هذه الرحلة في مذكرات نشرها في البصائر الثانية ، أغلب مقالاته وكتاباته في البصائر [1].

6- مبارك بن محمد الميلي :

ولد سنة 1898م و توفي سنة 1945 م .

تلقى تعليمه الأول في ميلة ، ثم تابع دروسه بقسنطينة على يد الشيخ ابن باديس و استكمل تحصيله في الزيتونة بتونس .

- انتخب سنة 1931م أمينا لصندوق جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، وبعد عضوا نشيطا فيها.

- تولى نشر التعاليم الإصلاحية في واحة الأغواط .

- بعد وفاة الشيخ ابن باديس انصرف إلى التدريس في الجامع الأخضر بقسنطينة .

- كتب بجريدة [المنتقد] ، كما كان رئيس تحرير [البصائر الأولى] .

- له عدة مؤلفات منها : [تاريخ الجزائر في القديم و الحديث] الذي صدر الجزء الأول منه سنة 1929م والجزء الثاني سنة 1932م ، و كتاب [رسالة الشرك و مظاهره] الذي صدر سنة 1937م ، كما أن له عدة كتب مدرسية[2] .

7 – أحمد توفيق المدني :

ولد سنة 1896م بتونس.

ساهم في تأسيس جمعية العلماء سنة 1931م و انتخب أمينا لسرها. يعتبر كاتبا و محاضرا .كان يحرر« منبر

---

[1] – انظر – د.عبد المالك مرتاض – فنون النثر الأدبي في الجزائر .

– محمد الصالح الصديق – الشيخ محمد الفسيري في سطور مقال في الثقافة – العدد45 – السنة08 – جمادى الثانية/ رجب 1398هـ – يونيو / يوليو 1978م – ص105/106/107.

[2] – انظر – د. عبد المالك مرتاض – فنون النثر الأدبي في الجزائر .

– محمد علي دبوز – أعلام الإصلاح في الجزائر – الجزء الثالث .

– د. نور سلمان – الأدب الجزائري في رحاب الرفض و التحرير .

السياسة العالمية » في البصائر الثانية . و « الشعر السياسي » في مجلة الشهاب . له عدة مؤلفات منها [الجزائر] صدر سنة 1931م ، و [محمد عثمان باشا داي الجزائر] سنة 1939م ، و [المسلمون في جزيرة صقيلية] سنة 1947م ، و [جغرافية القطر الجزائري] سنة 1948م ، و [حنبعل] المسرحية التاريخية سنة 1950م[1] .

8 – الطيب العقبي :

ولد سنة 1890م و توفي سنة 1960م.

درس بالحجاز ، من مؤسسي جمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة 1931م. أسندت له رئاسة تحرير البصائر الأولى سنة 1935م. أصدر جريدة [الإصلاح] ببسكرة . كانت له جلسات أدبية في [حنينة البايليك] ببسكرة حيث يقيم حوارات أدبية يحضرها أدباء و مثقفون أمثال الأمين العمودي و محمد العيد آل خليفة وغيرهما . انفصل عن جمعية العلماء بعد خلافه معها .

يعتبر عالما و شاعرا و مصلحا .هاجم الطرقية بعنف شعرا و نثرا .حاول طبع شعره لكن معظمه فقد وضاع بسبب ظروف تنقله وهجرته[2] .

9 – إبراهيم أبو اليقظان :

ولد سنة 1888م و توفي سنة 1973م.

من منطقة وادي ميزاب ، أحد مؤسسي جمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة 1931م .عالم أديب و شاعر وصحافي متمرس .أصدر عدة صحف إصلاحية بمنطقة ميزاب منها : جريدة [النور] سنة 1931م . [البستان] سنة 1933م ، و [النبراس] سنة 1933م ، و [الأمة] سنة 1933م ، و [الفرقان] سنة 1938م . له ديوان شعر[3] .

---

[1] – انظر – د. عبد المالك مرتاض – فنون النثر الأدبي في الجزائر .

– د. نور سلمان – الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرير .

[2] – انظر – د. عبد المالك مرتاض – فنون النثر الأدبي في الجزائر .

– د. نور سلمان – الأدب الجزائري في رحاب الرفض و التحرير .

– محمد الطاهر فضلاء – من أعلام النهضة الوطنية الشيخ الطيب العقبي – مقال بالثقافة – العدد 66 – السنة 11 – محرم/صفر 1420هـ – نوفمبر/ديسمبر 1981م.

[3] – انظر – د. محمد ناصر – الشعر الجزائري الحديث :

– د. عبد المالك مرتاض – فنون النثر الأدبي في الجزائر .

– محمد علي دبوز – أعلام الإصلاح في الجزائر – الأجزاء الأول – الثاني – الثالث .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

10 – الشيخ العربي التبسي :

درس في الزيتونة بتونس ، و الأزهر بالقاهرة ، متفوق في علوم الشريعة وأصول الفقه و قواعد اللغة العربية وفنون الأدب ، و هو بهذا يعتبر أحد أئمة عصره في المغرب العربي فقها و أدبا ، يوصف بأنه أديب المعنى ، صحيح الفكر ، فصيح اللسان ، قوي الحجة ، حلو العبارة .

كانت له اتصالات قوية بكبار رجال العلم و السياسة في تونس ، حاول استغلال هذه الاتصالات لربط علاقات قوية بين المعهد الباديسي بقسنطينة و الجامعة الزيتونية بتونس[1] .

11 – محمد العيد آل خليفة :

درس بجامع الزيتونة بتونس .

أسهم في تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، و كان عظوا نشطا فيها ، عمل بمدارس الجمعية مدرسا و مديرا ، كتب و نشر في عدة مجلات منها [صدى الصحراء] ، و [المنتقد] ، و [الشهاب] و[الاصلاح] ، و [البصائر] ، و [الصراط] ، و [الشريعة] ، و [المرصاد] ، و [الثبات].

يعد أحد رواد النهضة الفكرية و الأدبية في الجزائر في العصر الحديث ، من أكثر الشعراء الجزائريين[2] قرضا للشعر ، مزج في أدبه و شعره بين القديم و الحديث .

12 – محمد الصالح رمضان :

ولد سنة 1914م .

درس على يد الشيخ عبد الحميد بن باديس بقسنطينة ، عمل بين سنتي 1937م و 1947م مدرسا بمدرسة التربية و التعليم بقسنطينة .

---

[1] – انظر – د. عبد المالك مرتاض – الثقافة العربية .

– محمد علي دبوز – أعلام الإصلاح في الجزائر – الجزء الأول و الثني .

– حفناوي زاغر – الإمام الشيخ العربي التبسي – مقال بالثقافة – العدد 34 – السنة 16 – ذو القعدة/ذو الحجة 1406هـ – يوليو/أغسطس 1986م.

[2] – انظر – د. أبو القاسم سعد الله – تجارب في الأدب و الرحلة .

– د. أبو القاسم سعد الله – محمد العيد خليفة .

– محمد العيد آل خليفة – الديوان – تصدير و تقديم الشيخ البشير الإبراهيمي .

– د. نور سلمان – الأدب الجزائري في رحاب الرفض و التحرير .

– د. صالح خرفي – محمد العيد خليفة .

سنة 1944م عين مدرسا بمدرسة درا الحديث بتلمسان ، ثم مديرا لها ، ثم مفتشا بمدارس الجمعية ، ثم عضوا في لجنة التعليم العليا للجمعية . كان أحد محرري مجلة [الحياة] التي كانت تصدرها الكتابة الإسلامية الجزائرية ، نشر عدة مقالات و قصائد شعرية في مجلة الحياة و البصائر الثانية[1] .

13 – أحمد بن صالح بن ذياب :

- ولد سنة 1914م .
- رحل سنة 1933م إلى قسنطينة و تتلمذ على يد الشيخ ابن باديس سنتين . ثم انتقل إلى الزيتونة بتونس .
- من سنة 1942م إلى 1948م مديرا بمدرسة برج بوعريريج .
- من سنة 1950م إلى 1953م مديرا بمدرسة العلمة .
- من سنة 1953م إلى 1956م أستاذا بمعهد عبد الحميد ابن باديس .
- نشر مقالاته و قصائده الشعرية في البصائر الأولى و الثانية [2] .

14 – عبد الكريم العقون :

- من تلاميذ الشيخ عبد الحميد بن باديس ، كما تتلمذ على يد الشيخ موسى الأحمدي نوبوات.
- من مواليد سنة 1918م و توفي سنة 1959م.
- انتقل إلى تونس و درس بالزيتونة في تونس .
- أشتغل بالتدريس مدة 15 سنة بمدرسة الفلاح ثم بمدرسة التابعة لمسجد المرادية .
- أغلب شعره في البصائر السلسلة الثانية [3] .

15 – محمد العابد الجيلالي :

- ولد سنة 1830م توفي سنة 1967م .
- كان عضوا نشيطا بالجمعية ، و كان زميلا للشيخ عبد الحميد بن باديس و أحد مساعديه .
- من سنة 1930م إلى 1940م عمل مدرسا بمدرسة التربية و التعليم بقسنطينة .
- في سنة 1934م أصدر جريدة [أبو العجائب] بقسنطينة .
- سنة 1939م صدر له كتاب مدرسي بتونس و هو [الأناشيد المدرسية] .

---

[1] – انظر – د. عبد المالك مرتاض – فنون النثر الأدبي في الجزائر .

[2] – نفس المرجع .

[3] – انظر – د.محمد ناصر – الشعر الجزائري الحديث .

- سنة 1940م عين معلما بمدرسة بسكرة و مديرا لها .

- كتب في [المنتقد] ، و [الشهاب][1] .

16 – الربيع بوشامة :

- ولد سنة 1916م و توفي سنة 1956م .

- من بلاد القبائل ، و من تلاميذ الشيخ عبد الحميد بن باديس .

- عمل بالمدارس الحرة لجمعية العلماء وبعثته جمعية العلماء إلى فرنسا مندوبا عنها ليعلم المهاجرين ، بعد رجوعه من فرنسا أدار مدرسة الثبات مدة طويلة .

- يعتبر من رموز الشعر الجزائري الحديث ، و من شعراء الحركة الإصلاحية في الجزائر ، أغلب شعره في جريدة البصائر[2] .

17 – محمد الشبوكي :

- ولد سنة 1916م.

- تتلمذ على يد الشيخ العربي التبسي ، عمل معلما بمدارس جمعية العلماء .

- وهو أديب و خطيب ، و شاعر مطبوع ، له ثقافة واسعة ، أوتي فصاحة في اللسان و قوة في البيان.
له أناشيد في أغراض مختلفة وطنية و قومية[3] .

18 – محمد الصالح باويه :

- ولد سنة 1930م .

- من تلاميذ جمعية العلماء في معهد ابن باديس .

- طبيب وشاعر ، بدأ حياته الشعرية منذ سنة 1952م ، له ديوان شعر [أغنيات نضالية] .

- نشر في عدة صحف وطنية و عربية ، كما نظم قصائد في الشعر الحر[4] .

---

[1] – انظر – د. عبد المالك مرتاض – فنون النثر الأدبي في الجزائر .

[2] – انظر – د. محمد ناصر – الشعر الجزائري الحديث .
– د. صالح خرفي – من أعماق الصحراء .

[3] – انظر – د. محمد ناصر – الشعر الجزائري الحديث .
– الشيخ ابن عتبن – أحداث و مواقف في مجال الدعوة الإصلاحية و الحركة الوطنية .

[4] – انظر – د. محمد ناصر – المرجع السابق .
– د. نور سلمان – الأدب الجزائري في رحاب الرفض و التحرير .

19 – أحمد بن عاشور :

- ولد سنة 1907م .
- رحل إلى قسنطينة سنة 1931م و درس على يد الشيخ عبد الحميد بن باديس سنتين أو ثلاث .
- مارس التعليم بمدارس جمعية العلماء ، كتب حوالي مائة (100) أقصوصة و عدة مقالات أخرى ، أغلب ما نشر في البصائر الثانية خاصة[1] .

20 – محمد الهادي السنوسي :

- ولد سنة 1902 و توفي سنة 1974م .
- من تلاميذ الشيخ عبد الحميد بن باديس . عمل بالشهاب و المنتقد ، كما عمل بالتعليم في المدارس الحرة للجمعية ، كما عمل أيضا ممثلا لها في فرنسا للوعظ و الإرشاد.
- يعتبر كاتبا و شاعرا و خطيبا[2] .

21 – عبد القادر المسعدي :

- ولد سنة 1884م و توفي سنة 1956م.
- من جنوب الجزائر ، شاعر تقليدي . انظم إلى جمعية العلماء و أشتغل بالتدريس . له مؤلفات عديدة منها شرحه للامية الأفعال لابن مالك . له أشعار كثيرة في الدين و الإصلاح لكنها مخطوطة[3] .

22 – أحمد معاش الباتني :

- ولد سنة 1928م .
- من تلاميذ جمعية العلماء المسلمين الجزائريين .
- يعتبر شاعرا مقلا ، أغلب شعره في البصائر السلسلة الثانية[4] .

---

[1] – انظر – د. محمد ناصر – الشعر الجزائري الحديث .
– د. عبد المالك مرتاض – فنون النثر الأدبي في الجزائر .

[2] – انظر – محمد ناصر – المرجع السابق .
– حمزة بوكوشة – الشيخ الهادي السنوسي – مقال في الثقافة – العدد 24 – السنة 4 – ذو القعدة/ذو الحجة 1394هـ – ديسمبر/ جانفي 1975م .

[3] – انظر – د. نور سلمان – الأدب الجزائري في رحاب الرفض و التحرير .

[4] – انظر – د. محمد ناصر – المرجع السابق .
– د. نور سلمان – المرجع السابق .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

23 – مبارك جلواح العباسي :

- ولد سنة 1908م و توفي سنة 1943م .
- عمل مع الحركة الإصلاحية المتمثلة في جمعية العلماء .
- مات في ريعان شبابه ، ترك ديوانا شعريا عنوانه [دخان اليأس] فيه ما يقارب 60 قصيدة ، نشر عدة قصائد في البصائر[1] .

24 – محمد الصالح خبشاش :

- ولد سنة 1943م.
- من شعراء الإصلاح المجيدين ، تتلمذ على الشيخ عبد الحميد بن باديس مدة ثماني سنوات ، بدأ ينظم الشعر في المسابقات التي يعقدها الشيخ ابن باديس .
- له إنتاج شعري كثير[2] .

25 – علي مرحوم :

- ولد سنة 1913م.
- التحق بقسنطينة سنة 1932م و تتلمذ على يد الشيخ ابن باديس إلى غاية سنة 1940م ، و عين مدرسا بمدرسة التربية و التعليم بقسنطينة سنة 1937م ، ثم أصبح مفتشا ، ثم في سنة 1947م يعين عضوا في لجنة التعليم العليا.
- نشر عدة مقالات في البصائر الأولى و الثانية[3] .

26 – موسى الأحمدي نويوات :

- من تلاميذ الشيخ عبد الحميد ابن باديس ، بعثه ليدرس بتونس 04 سنوات ، من سنة 1930م إلى سنة 1937م مارس التعليم المسجدي ، و من سنة 1937م إلى سنة 1956م مدرسا و مديرا لمدارس جمعية العلماء .
- يصدر سنة 1947م كتابه القيم [المتوسط الكافي في علمي العروض و القوافي][4].

27 – الشيخ أحمد سحنون :

- ولد سنة 1907م

---

[1] – انظر – د.محمد ناصر المرجع السابق .

، – د. عبد الله ركيبي – الشاعر جلواح من التمرد إلى الانتحار .

[2] – انظر – د. نور سلمان – المرجع السابق .

[3] – انظر – د. عبد المالك مرتاض – المرجع السابق .

[4] – انظر – أحمد دوغان – شخصيات من الأدب الجزائري المعاصر .

- من تلاميذ الشيخ محمد خير الدين • و هو واعظ و مرشد ، و خطيب بليغ ، و شاعر إسلامي قوي • كتب شعره في مجلة البصائر ، له عدة مؤلفات ، يمتاز بصدق اللهجة ، و سلامة المبنى ، و سمو المعنى[1] .

28 – أحمد جلول البدوي :

- ولد سنة 1906م.

- ظهر إنتاجه الشعري في البصائر بكثرة . كما نشر قبل ذلك في الشهاب[2] .

29 – الطاهر بوشوشي :

- ولد سنة 1916م .

- من تلاميذ الشيخ محمد العيد آل خليفة ، كتب في الشهاب و البصائر[3] .

30 – مصطفى رحمون :

- ولد سنة 1921م .

- من تلاميذ الشيخ عبد الحميد بن باديس • عمل مع الزاهري محررا في جريدة [الوفاق] ، كما عمل معلما في المدارس الحرة لجمعية العلماء[4].

31 – محمد بن الحاج إبراهيم الطرابلسي :

- ولد سنة 1887م و توفي سنة1948م .

- من أعضاء جمعية العلماء ، له أشعارعديدة في جرائد جمعية العلماء[5].

32 – الشيخ الجيلالي الفارسي :

- من بلدة الشلف بالغرب الجزائري ، مارس التعليم في المدارس الحرة لجمعية العلماء ، من خريجي جامع الزيتونة • له قدرة على التعبير و الإدراك وعمق التفكير[6] .

---

[1] – انظر – الشيخ ابن عتيق – أحداث ومواقف .

[2] – انظر – د. محمد ناصر – الشعر الجزائري الحديث .

[3] – انظر – نفس المرجع .

[4] – انظر – نفس المرجع .

[5] – انظر – نفس المرجع .

[6] – انظر – الشيخ محمد الصالح بن عتيق – أحداث ومواقف .

جمعية الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

قائمة المصادر والمراجع

أبو القاسم سعد الله

01 – تاريخ الجزائر الثقافي – الشركة الوطنية للنشر و التوزيع – الجزائر 1401هـ/1981م.

02 – الحركة الوطنية – الشركة الوطنية للنشر و التوزيع – الجزائر – الطبعة الثانية 1983م.

03 – تجارب في الأدب و الرحلة – المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر 1983م.

04 –دراسات في الأدب الجزائري الحديث – الدار التونسية للنشر – المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر – الطبعة الثالثة 1985م.

05 – هموم حضارية – دار الأمة – الجزائر – الطبعة الأولى 1993م.

06 – أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر – دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان – الطبعة الثانية 1990م

07 – شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون داعية السلفية – دار العرب الإسلامي – بيروت لبنان – الطبعة الأولى 1406هـ/1986م .

08 – محمد العيد آل الخليفة رائد الشعر الجزائري في العصر الحديث – دار المعارف – جمهورية مصر العربية– 1961م .

أحمد بن نعمان

09 – التعريب بين المبدأ و التطبيق – الشركة الوطنية للنشر و التوزيع – الجزائر–1401هـ/1981م.

10 – فرنسا و الأطروحة البربرية في الجزائر (الخلفيات ، الأهداف ، الوسائل ، البدائل) – مطبعة دحلب– الجزائر .

أحمد دوغان

11 – شخصيات في الأدب الجزائري – المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر 1989م.

أحمد طالب

12 – الالتزام في القصة القصيرة الجزائرية المعاصرة 1931م /1976 م – ديوان المطبوعات الجامعية – الجزائر 1989م .

أحمد طالب الإبراهيمي

13 – من التحرير إلى الثورة الثقافية 1962م/1972م – الشركة الوطنية للنشر و التوزيع – الجزائر – 1973م.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أحمد لطفي بركات

14 – التربية و التقدم في الوطن العربي – دار المريخ الرياض– المملكة العربية السعودية –1390هـ/19[illegible].

أحمد منور

15 – قراءات في القصة الجزائرية – مكتبة الشعب – الجزائر 1981م.

أحمد توفيق المدني

16 – كتاب الجزائر – دار الكتاب – البليدة – الجزائر – الطبعة الثانية 1382هـ/1963م.

أحمد الخطيب

17 – جمعية العلماء المسلمين و دورها الإصلاحي في الجزائر – المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر 1985م.

أنور الجندي

18 – الثقافة العربية إسلامية أصولها وانتمائها – دار الكتاب اللبناني – مكتبة المدرسة – الطبعة الأولى بيروت – لبنان – 1982م.

19 – الفكر و الثقافة المعاصرة في شمال إفريقيا – الدار القومية للطباعة والنشر – القاهرة – جمهورية مصر العربية 1385هـ/1965م .

20 – العالم الإسلامي و الاستعمار السياسي و الاجتماعي و الثقافي – دار الكتاب اللبناني - مكتبة المدرسة بيروت لبنان – الطبعة الثانية – 1983م.

إسماعيل العربي

21 – المقاومة الجزائرية تحت لواء الأمير عبد القادر– الشركة الوطنية للنشر و التوزيع – الجزائر –

22 – الدراسات العربية في الجزائر في عهد الاحتلال الفرنسي – المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر– 1986م.

ابن علي

23 – أشعار جزائرية – تقديم و تحقيق و تعليق الدكتور أبو قاسم سعد الله – المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1988م

واسيني الأعرج

24 – اتجاهات الرواية العربية في الجزائر (بحث في الأصول التاريخية و الجمالية للرواية الجزائرية) – المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر–1986م.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الزبير سيف الإسلام

25 – تاريخ الصحافة في الجزائر – المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر 1985م.

حسن عبد الرحمان سلوادي

26 – عبد الحميد بن باديس مفسرا – المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر 1984م.

كامل الفقي

27 – الأزهر و أثره في النهضة الأدبية الحديثة – مجمع البحوث الإسلامية – جمهورية مصر العربية – 1402هـ / 1982م

كاظم حطيط

28 – أعلام و رواد في الأدب العربي – الشركة العالمية للكتاب – بيروت لبنان – الطبعة الأولى – 1407هـ / 1987م.

مبارك الميلي

29 – تاريخ الجزائر القديم و الحديث – المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر.

مولود قاسم [نايت بلقاسم]

30 – أصالية أم انفصالية – المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر – الطبعة الأولى 1411هـ / 1991م.

محمد الأخضر السائحي

31 – محمد الأمين العمودي الشخصية المتعددة الجوانب – المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر 1988م

محمد بن ميمون الجزائري

32 – التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية – تحقيق و تقديم الدكتور محمد بن عبد الكريم – الشركة الوطنية للنشر و التوزيع – الجزائر – الطبعة الأولى 1392هـ / 1972م.

محمد البشير الإبراهيمي

33 – أثار الشيخ محمد البشير الإبراهيمي – الجزء الأول – المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر – الطبعة الأولى 1398هـ – 1978م.

34 – أثار الشيخ محمد البشير الإبراهيمي – الجزء الثاني – المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر – 1987م.

35 – أثار الشيخ محمد الإبراهيمي – الجزء الثالث – المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر – 1987م.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

36 – عيون البصائر – دار المعارف– القاهرة – جمهورية مصر العربية – 1963م.

37 – سجل المؤتمر الخامس لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين المطبعة الإسلامية – قسنطينة 1935م.

محمد الطاهر فضلاء

38 – الإمام الرائد الشيخ محمد البشير الإبراهيمي في ذكراه الأولى – مطبعة البحث قسنطينة – الجزائر 1387هـ/1967م.

محمد طمار

39 – الروابط الثقافية بين الجزائر و الخارج – الشركة الوطنية للنشر و التوزيع – الجزائر 1983م .

40 – تاريخ الأدب الجزائري – الشركة الوطنية للنشر والتوزيع – الجزائر 1969 م.

محمد مهدادي

41 – البشير الإبراهيمي نضاله و أدبه – دار الفكر دمشق – سورية – الطبعة الأولى 1408هـ/1988م.

محمد الميلي

42 – ابن باديس و عروبة الجزائر – الشركة الوطنية للنشر و التوزيع – الجزائر 1983م .

محمد مصايف

43 – النثر الجزائري الحديث – المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر 1983م.

44 – النقد الأدبي الحديث في المغرب العربي – المؤسسة الوطنية للكتاب – الطبعة الثانية 1984م.

محمد ناصر

45 – الشعر الجزائري الحديث – اتجاهاه و خصائصه الفنية 1925م/1975م – دار الغرب الإسلامي – بيروت لبنان – الطبعة الأولى 1985م.

محمد نسيب

46 – زوايا العلم و القرءان بالجزائر– دار الفكر دمشق – سورية و دار الفكر بالجزائر.

محمد عباس

47 – البشير الإبراهيمي أديبا – ديوان المطبوعات الجامعية – الجزائر .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

محمد العيد آل خليفة

48 – الديوان – منشورات وزارة التربية الوطنية للجزائر – الشركة الوطنية للنشر و التوزيع – الجزائر 1967م.

محمد علي دبوز

49 – نهضة الجزائر الحديثة و ثورتها المباركة – المطبعة التعاونية – الطبعة الأولى –1375ه 9م

50 – أعلام الإصلاح في الجزائر – دار البعث – قسنطينة – الجزائر – الطبعة الأولى 1400هـ / 1980م.

محمد علي الحوماني

51 – ندوة الأصفياء – دار مصر للطباعة – جمهورية مصر العربية 1955م .

محمد العربي الزبيري

52 – الغزو الثقافي في الجزائر 1962م/1982م– المؤسسة الجزائرية للطباعة – الجزائر 1986م.

محمد عمارة

53 – مسلمون ثوار – المؤسسة العربية للدراسات و النشر – بيروت – لبنان 1979م.

محمد صادق الكاشف

54 – صحافة الصعيد المحلية و دورها في الحياة الأدبية 1882م/1952م – مكتبة الخانجي – القاهرة جمهورية مصر العربية .

محمد الصالح بن عتيق

55 – أحداث و مواقف في مجال الدعوة الإصلاحية و الحركة الوطنية بالجزائر – مطبعة دحلب – الجزائر.

محمد خير الدين

56 – مذكرات – المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر.

محمد الغزالي

57 – مشكلات في طريق الحياة الإسلامية – مطبعة رحاب – الجزائر.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

معوض أحمد نازلي

58 – التعريب و القومية العربية في المغرب العربي – مركز دراسات الوحدة العربية – بيروت – لبنان– الطبعة الأولى 1986م.

مصطفى الأشرف

59 – الجزائر الأمة و المجتمع – ترجمة الدكتور حنفي ابن عيسى – المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر – 1983م .

ناصر الدين سعيدوني

60 – دراسات و أبحاث في تاريخ الجزائر – المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر 1984م

نور سلمان

61 – الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرير – دار العلم للملايين – بيروت لبنان – الطبعة الأولى –

ساطع الحصري (أبو خلدون)

62 – ما هي القومية ؟ أبحاث و دراسات على ضوء الأحداث و النظريات – مركز دراسات الوحدة العربية بيروت لبنان 1986م.

سعاد محمد خضر

63 – الأدب الجزائري المعاصر – المكتبة العصرية – صيدا بيروت – لبنان 1968م.

عائشة عبد الرحمان (بنت الشاطئ)

64 – لغتنا و الحياة – دار المعارف – القاهرة – جمهورية مصر العربية – الطبعة الثانية .

عايدة أديب بايمة

65 – تطور الأدب القصصي الجزائري 1925م/1967م– ترجمة محمد صقر – ديوان المطبوعات الجامعية – الجزائر .

عبد الحميد بن باديس

66 – مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير – مطبوعات وزارة الشؤون الدينية بالجزائر – دار البعث

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

بقسنطينة الطبعة الأولى 1402هـ / 1982م.

عبد الكريم بوصفصاف

67 – جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و دورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية 1931/1945م – دار البعث بقسنطينة – الجزائر – الطبعة الأولى 1401هـ / 1981م.

عبد الكريم خليفة

68 – اللغة العربية و التعريب في العصر الحديث – منشورات مجمع اللغة العربية – عمان الأردن – الطبعة الأولى 1407هـ/1987م.

عبد الله سرور

69 – الإعلام و الثقافة و أثرهما في الأدب السكندري – دار المعرفة الجامعية – جمهورية مصر العربية 1986م.

عبد الله ركيبي

70 – القصة الجزائرية القصيرة – المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر –1983م.

71 – الشعر الديني الجزائري الحديث – الشركة الوطنية للنشر والتوزيع – الجزائر – الطبعة الأولى 1401هـ / 1981 م .

72 – عروبة الفكر و الثقافة أولا – المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر –1986م.

73 – الفرنكفونية مشرقا و مغربا – شركة دار الأمة – الجزائر 1993م.

74 – الشاعر جلواح من التمرد إلى الانتحار – المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر 1986م.

75 – قضايا عربية في الشعر الجزائري المعاصر – المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر .

76 – تطور النثر الجزائري الحديث 1930م/1974م– المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر 1983م.

عبد المالك مرتاض

77 – فنون النثر الأدبي في الجزائر 1931م/1954م – ديوان المطبوعات لجامعية – الجزائر 1983م

78 – نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر 1925/1954م الشركة الوطنية للنشر و التوزيع – الجزائر – الطبعة الثانية 1983م.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

79 – الثقافة العربية في الجزائر بين التأثير و التأثر – دار الحداثة بالتعاون مع ديوان المطبوعات الجامعية – الجزائر – الطبعة الأولى 1982م .

عبد العزيز عبد المجيد

80 – اللغة العربية – دار المعارف – جمهورية مصر العربية – الطبعة الثالثة –1961م.

عبد القادر جغلول

81 – الاستعمار و الصراعات الثقافية في الجزائر- ترجمة سليم قسطون – دار الحداثة – بيروت لبنان- الطبعة الأولى –1984م.

عبد الرحمان بن إبراهيم بن العقون

82 – الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر – الفترة الأولى 1920م–1936م – المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1983م.

عبد الرحمان سلامة (ابن الدوايمة)

83 – التعريب في الجزائر من خلال الوثائق الرسمية – الشركة الوطنية للنشر والتوزيع – الجزائر 1981م

علال الفاسي

84 – الحركات الاستقلالية في المغرب العربي – مطبعة الرسالة القاهرة – جمهورية مصر العربية–1948م .

عمار طالبي

85 – ابن باديس حياته و أثاره – دار اليقظة العربية دمشق سورية – الطبعة الأولى 1388هـ/1968م .

عثمان سعدي

86– عروبة الجزائر عبر التاريخ – الشركة الوطنية للنشر و التوزيع – الجزائر1982م.

87 – قضية التعريب في الجزائر كفاح الشعب ضد الهيمنة الفرنكفونية – شركة دار الأمة الجزائر .

88 – قضية التعريب في الجزائر – دار الكتاب العربي – القاهرة جمهورية مصر العربية . 8م.

فرحات عباس

89 – ليل الاستعمار – ترجمة أبو بكر رحال – مطبعة فوظالة – الرباط- المملكة العربية .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

صالح عوض

90 – معركة الإسلام و الصليبية في الجزائر 1830م/1962م- مطبعة دار دحلب – الجزائر 1997م

صالح خرفي

91 – من أعماق الصحراء – دار الغرب الإسلامي – بيروت لبنان – 1991م.

92 – شهيد الثورة الجزائرية أحمد رضا حوحو في الحجاز 1934م/1945م – دار الغرب الإسلامي – بيروت لبنان الطبعة الأولى 1412هـ – 1992م.

93 – في رحاب المغرب العربي – دار الغرب الإسلامي – بيروت لبنان الطبعة الأولى – 1985م.

94 – محمد العيد خليفة – المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1986م.

95- الشعر الجزائري الحديث – المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1984م.

96 – عمر بن قدور الجزائري – المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1984

97- شعر المقاومة الجزائرية – الشركة الوطنية للنشر والتوزيع-الجزائر.

98 – محمد السعيد الزاهري – المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1986م.

رابح تركي

99 – مشكلة الأمية في الجزائر – مكتبة الشعب – الشركة الوطنية للنشر و التوزيع – الجزائر 1981م.

100 – الشيخ عبد الحميد بن باديس فلسفته و جهوده في التربية و التعليم 1900م/ 1940م- الشركة الوطنية للنشر و التوزيع – الجزائر .

101 – دراسات في التربية الإسلامية – المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر – الطبعة الثانية 1987م.

102 – التعليم القومي و الشخصية الجزائرية 1931/1956م الشركة الوطنية للنشر والتوزيع – الجزائر الكبعة الثانية 1981م .

ريمون طحان و دنيز بيطار طحان

103 – اللغة العربية و تحديات العصر- دار الكتاب اللبناني – مكتبة المدرسة –بيروت لبنان – الطبعة الثانية 1984م.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الخوري شحاته

104 - القضية اللغوية في الجزائر و انتصار اللغة العربية – مطبعة الكاتب العربي – دمشق سورية 1991م

التلي بن الشيخ

105 – دور الشعر الشعبي في الثورة 1830/1945م- الشركة الوطنية للنشر و التوزيع – الجزائر-1983م.

حمدان بن عثمان خوجة

106 – المرآة – تقديم و تعريب و تحقيق الدكتور محمد العربي الزبيري – الشركة الوطنية للنشر و التوزيع – الجزائر 1975م.

107 - كتاب محاضرات الملتقى الخامس للتعرف على الفكر الإسلامي -وهران- إصدار وزارة التعليم الأهلي والشؤون الدينية بالجزائر.1971.

108 - الأدباء الشهداء – منشورات المتحف الوطني للمجاهد – الجزائر.

رسائل الماجستير :

محمد بن حمو

109 - دور التبشير والاستشراق في الثقافة العربية الإسلامية في الجزائر – رسالة ماجستير من جامعة عين شمس بكلية الآداب – قسم اللغة العربية بالقاهرة 1409هـ/1989م.

عبد المجيد بن عدة

110 - مظاهر الإصلاح الديني والاجتماعي والتربوي في الجزائر من خلال جهود الرواد 1925/م، رسالة ماجستير من جامعة الجزائر –معهد التاريخ- 1991/1992م.

علي حشلاف

111 - المواقف السياسية لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين من خلال صحفها 1931/1939م، رسالة ماجستير من جامعة الجزائر معهد علوم الإعلام والاتصال سنة 1414هـ/1994م.

الصحف والمجلات :

112- البصائر السلسلة الأولى.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

113- البصائر السلسلة الثانية

114- الشهاب.

115- مجلة الثقافة – الجزائر – الأعداد التالية :

ع06 – ع08 – ع09 – ع24 – ع26 – ع33 – ع34 – ع37 – ع45 – ع50 – ع60 – ع66

ع81 – ع85 – ع87 – ع88 – ع94.

115- مجلة الأصالة الأعداد التالية :

العدد الممتاز لسنة 1972 – ع17/18 – ع24 – ع25 – ع32

116- مجلة الفيصل الأعداد التالية :

ع52 – ع87 – ع256

117 – مجلة الأمة الأعداد التالية :

ع34 – ع49.

118 – مجلة مجمع اللغة العربية بمصر الأعداد التالية :

ع21 – ع26.

119 – المجلة التاريخية المغربية العدد :

ع02

120 – مجلة الثقافة –مصر– العدد :

ع99

121 – مجلة العربي – العدد :

ع335

المصادر الأجنبية :

-123 Paul Grafferel – L'Algerie – impremerie de l'institut - Paris 1883.

-124 Maurice paulard – L'enseignement pour les indigenes - Alger - 1910

-125 - L'enseignement avant 1830 Alger - 1910

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الموضوعات

الإهداء .....ص د

شكر وتقدير .....ص ج

المقدمة .....ص 01

الفصل الأول : اللغة العربية في العهد العثماني و الاستعمار الفرنسي إلى سنة 1930م...ص 07

المبحث الأول : اللغة العربية في العهد العثماني .....ص 10

المطلب الأول : مراكز الثقافة و الأدب .....ص 13

المطلب الثاني : التعليم .....ص 15

المطلب الثالث : انتشار الثقافة و اللغة العربية .....ص 19

المطلب الرابع : رجال الثقافة و الأدب .....ص 21

المطلب الخامس : النتاج الثقافي و الأدبي .....ص 22

المطلب السادس : المكتبات الخاصة و العامة .....ص 26

المبحث الثاني : اللغة العربية في العهد الاستعماري إلى غاية سنة 1930م.....ص 29

المطلب الأول : وضع اللغة العربية في العهد الاستعماري .....ص 30

المطلب الثاني : الأهداف الثقافية للاستعمار .....ص 34

أولا : تحقيق الفرنسة .....ص 34

ثانيا : محاربة التعليم العربي .....ص 35

ثالثا : عزل الجزائر عن المشرق و العالم العربي و الإسلامي .....ص 38

رابعا : تهجير العلماء و الكوادر الثقافية .....ص 39

المطلب الثالث : أساليب المستعمر لضرب اللغة و الثقافة العربية في الجزائر ...ص 41

أولا : إصدار القوانين و المراسيم .....ص 41

ثانيا : فرض التعليم الفرنسي .....ص 43

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ثالثا : إرسال أبناء الأعيان للتعلم بفرنسا .....ص 46
رابعا : محاربة العربية البريدية .....ص 46
خامسا : التشجيع و التمكين العامية .....ص 48
سادسا : إتلاف التراث القومي و حرق المخطوطات .....ص 50
سابعا : محاربة العربية بالإعلام و المؤلفات الفرنسية .....ص 51
المطلب الرابع : نتائج محاربة الثقافة و اللغة العربية .....ص 53
أولا : فرنسة المحيط الاجتماعي .....ص 53
ثانيا : انتشار الأمية .....ص 54
ثالثا : ضعف الحركة الأدبية و الثقافية .....ص 54
رابعا : ضعف اللغة العربية و تقهقرها .....ص 55
الفصل الثاني: جهود جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في خدمة اللغة العربية ....ص 58
المبحث الأول : دوافع و أهداف نشأة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ...ص 60
المطلب الأول : ممهدات وإرهاصات نشأة جمعية العلماء.....ص 61
أولا : حيل المصلحين الأوائل .....ص 61
ثانيا : دور صحافة .....ص 62
ثالثا : عودة الطلبة الذين تلقوا تعليمهم بالمشرق .....ص 63
رابعا : الثورة التعليمية التي أحدثها ابن باديس .....ص 64
خامسا : الإحساس بالوضع العام للجزائر ووجوب تغييره .....ص 64
المطلب الثاني : نشأة جمعية علماء المسلمين و رجالها .....ص 65
المطلب الثالث : أهداف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين .....ص 68
المطلب الرابع : مكانة اللغة العربية من اهتمام الجمعية .....ص 70
أولا : صلة اللغة بالدين .....ص 70
ثانيا : صلة اللغة بالتراث .....ص 70
ثالثا : صلة اللغة بالإنسان .....ص 71
رابعا : اللغة و التحدي .....ص 71

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المطلب الخامس : أسباب نجاح الجمعية في مسعاها لخدمة اللغة العربية .....ص 74
أولا : الإحساس العام بواقع اللغة و وجوب تغييره .....ص 74
ثانيا : توحيد صفوف العلماء .....ص 77
ثالثا : الامتداد نحو الجنوب .....ص 78
رابعا : تقاسم مناطق الوطن .....ص 78
خامسا : وجود خطة ومنهجية للعمل .....ص 79
المبحث الثاني:وسائل خدمة اللغة العربية و المحافظة عليها عند جمعية العلماء .....ص 80
المطلب الأول : التعليم العربي الحر .....ص 82
أولا : أهداف التعليم العربي الحر .....ص 82
ثانيا : منظومة الجمعية التعليمية .....ص 83
1- مدارس الجمعية .....ص 83
2- معلمو الجمعية .....ص 84
3- المنهج المقرر .....ص 85
ثالثا : تطوير التعليم .....ص 86
1- تطوير أساليب التعليم .....ص 86
2- كيفية تدريس اللغة العربية .....ص 88
3- اختيار الكتب ... .ص 89
4- إحداث الشهادة الابتدائية ... .ص 90
5- توحيد برامج التعليم .....ص 90
رابعا : نماذج من مدارس الجمعية والتعليم بالخارج ... .ص 91
1- النموذج الأول : دار الحديث بتلمسان ....ص 92
2- النموذج الثاني : المعهد الباديسي ... .ص 93
3- البعثات إلى الخارج.....ص 95
4- التعليم بين المغتربين ... .ص 97

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المطلب الخامس : أسباب نجاح الجمعية في مسعاها لخدمة اللغة العربية .....ص 74
أولا : الإحساس العام بواقع اللغة و وجوب تغييره .....ص 74
ثانيا : توحيد صفوف العلماء .....ص 77
ثالثا : الامتداد نحو الجنوب .....ص 78
رابعا : تقاسم مناطق الوطن .....ص 78
خامسا : وجود خطة ومنهجية للعمل .....ص 79
المبحث الثاني:وسائل خدمة اللغة العربية و المحافظة عليها عند جمعية العلماء .....ص 80
المطلب الأول : التعليم العربي الحر .....ص 82
أولا : أهداف التعليم العربي الحر .....ص 82
ثانيا : منظومة الجمعية التعليمية .....ص 83
1- مدارس الجمعية .....ص 83
2- معلمو الجمعية .....ص 84
3- المنهج المقرر .....ص 85
ثالثا : تطوير التعليم .....ص 86
1- تطوير أساليب التعليم .....ص 86
2- كيفية تدريس اللغة العربية .....ص 88
3- اختيار الكتب ... .ص 89
4- إحداث الشهادة الابتدائية ... .ص 90
5- توحيد برامج التعليم .....ص 90
رابعا : نماذج من مدارس الجمعية والتعليم بالخارج ... .ص 91
1- النموذج الأول : دار الحديث بتلمسان ....ص 92
2- النموذج الثاني : المعهد الباديسي ... .ص 93
3- البعثات إلى الخارج.....ص 95
4- التعليم بين المغتربين ... .ص 97

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

خامسا : التعليم في المساجد و الزوايا ... .ص 98
01 – التعليم المسجدي ....ص 98
02 – التعليم في الزوايا ....ص 100
سادسا : بعض نتائج التعليم ....ص 100
01 – محو الأمية ....ص 101
02 – الوقوف في وجه التعليم الفرنسي ....ص 102
03 – إحداث نهضة تعليمية وثقافية .....ص 102
04 – تعزيز موقع اللغة العربية بين الجزائريين .....ص 103
05 – تحقيق التعريب ....ص 103
06 – الإقبال المتزايد على التعليم ....ص 104
07 – تخريج كفاءات و كوادر ثقافية معربة .....ص 104
المطلب الثاني : وسيلة الصحافة .....ص 105
أولا : صحف الجمعية .....ص 106
ثانيا : صحف إصلاحية أخرى ..... ص 106
ثالثا : نشأة صحافة الجمعية .....ص 107
رابعا : كتاب الصحافة .....ص 108
01 – الكتاب من الجزائريين .....ص 108
02 – الكتاب من غير الجزائريين.....ص 108
03 – الكتاب من الشباب المبتدئين.....ص 110
خامسا : القضايا التي عالجتها الصحافة الإصلاحية. .....ص 111
01 – الحرية الدينية .....ص 111
02 – التاريخ القديم .....ص 111
03 – الحرية السياسية .....ص 112
04 – ميدان الأدب.....ص 112

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

05 — اللغة العربية .....ص 112
سادسا : أسلوب الصحافة.....ص 113
سابعا : الصحافة و النهضة الأدبية .....ص 114
01 — ميدان النثر .....ص 115
02 — ميدان الشعر.....ص 116
ثامنا : دور الصحافة في حفظ و نشر الثقافة و اللغة العربية .....ص 117
01 — دورها في حفظ ونشر الثقافة العربية .....ص 117
02 — دورها في حفظ ونشر اللغة العربية .....ص 118
تاسعا : اضطهاد الصحافة.....ص 119
عاشرا : نماذج من صحافة الجمعية .....ص 119
01 — الشهاب .....ص 119
02 — البصائر .....ص 122
المطلب الثالث : النوادي .....ص 125
المطلب الرابع : المطبعة .....ص 130
المطلب الخامس : الكشافة الإسلامية .....ص 132
المطلب السادس : التواصل و الاتصال مع الشرق.....ص 134
المطلب السابع : إحياء التراث .....ص 141
الفصل الثالث : الإنتاج الأدبي و اللغوي و آراء رجال جمعية العلماء.....ص 144
المبحث الأول : الإنتاج الأدبي و اللغوي لجمعية العلماء و دوره في خدمة اللغة..ص 146
المطلب الأول : الحركة الأدبية .....ص 147
المطلب الثاني : الشعر .....ص 153
المطلب الثالث : القصة والرواية .....ص 160
المطلب الرابع : المقال .....ص 164
المطلب الخامس : النقد الأدبي .....ص 168
المطلب السادس : المسرح.....ص 172

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المطلب السابع : فن الخطابة .....ص 175
المطلب الثامن : أدب الرحلة .....ص 182
المطلب التاسع : أدب الخلاف و الجدل – المناظرة – .....ص 185
المطلب العاشر : الأدب الشعبي .....ص 187
المطلب الحادي عشر : الكتابة و التأليف .....ص 189
المبحث الثاني : آراء رجال الجمعية في اللغة العربية – نماذج – [ابن باديس ، الإبراهيمي].....ص 196
المطلب الأول : الشيخ عبد الحميد بن باديس وآراؤه في اللغة العربية .....ص 199
أولا : اللغة العربية قضية سياسية .....ص 199
ثانيا : العربية ووحدة الجزائر .....ص 202
ثالثا : العربية و القومية .....ص 205
رابعا : العربية و الإسلام .....ص 207
المطلب الثاني : الشيخ البشير الإبراهيمي و آراؤه في اللغة العربية .....ص 209
أولا : اللغة العربية قضية سياسية.....ص 209
ثانيا : العربية ووحدة الجزائر .....ص 210
ثالثا : العربية و القومية .....ص 212
رابعا : العربية و الإسلام .....ص 215
خامسا : العربية و البعد الحضاري .....ص 217
الخاتمة .....ص 220
ملحق .....ص 224
قائمة المصادر و المراجع .....ص 236
فهرس الموضوعات .....ص 247

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية